المجتمع المغربي

... كما عرفته خلال خمسين سنة

1350-1400هـ

تأليف: محمد بن أحمد اشماعو

المجتمع المغربي

... كما عرفته

خلال خمسين سنة

1350 - 1400 هـ

تأليف: محمد بن أحمد اشماعو

صور الكتاب ماخوذة من

- مجلة المغرب السياحي لوزارة السياحة
- بطائق بريدية صادرة في المغرب
- بعض الكتب والمجلات والجرائد

فشكرا

كل مراسلة حول الكتاب تكون
باسم المؤلف الى صندوق البريد
232 ـ الرباط

الحقوق محفوظة للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أُهدي كتابي هذا - الذي أعتز به - إلى أولئك الشبان والفتيان من الوطنيين، الذين بادروا بالنهوض للدفاع عن أمتهم ووطنهم، وبذلوا الكثير في استرجاع استقلاله العزيز الغالي، وتحملوا ما شاء الله لهم أن يتحملوا، من أجل أن يبثوا الوعي في طبقات شعبهم، ومن أجل أن يحرروا مواطنيهم من المهانة والجمود.

لم يكونوا معززين إلا بصبرهم وإيمانهم، ولا مسلحين سوى بالروح الإسلامية الأصيلة، الباعثة على العزة والكرامة. فكان النصر حليفهم، وذلكم النصر المؤزر أمام جحافل الاستعمار بعساكره الجرارة، وبسياسته الدهاة، وبأساليبه الخبيثة العاتية...

تحية خالدة لهم لا تبليها الأيام

مقـــدمـــــــــة

حقاً إنني معتز بتحرير هذا الكتاب خاصة على كثرة ما حررت ـ بعون الله ـ خلال خمس وعشرين سنة

لقد كانت أمنية بالنسبة لي أن أتمكن يوماً مــن انجاز كتاب يصور مجتمعي المغربي كما شاهدته وعايشته وتأثرت بــه مدة خمسين عاماً وهي فترة ـ كما سنرى ـ ثمينة مــن تاريخ وطننا الكريم

والحديث عن المجتمع المغربي ليس جديداً فلقد تناولته عدة كتب ، ودراسات جامعية ، ومقالات صحفية .... من بعض الجوانب ولكني لم أعتمد على أي شيء منها ، في كتابي هذا كما انني لم آخذ أية دراسة اجتماعية غير مغربية لأقتدي بهــا وبخطتها في البحث والاستنتاج وما ذلك إلا لكي أتمكن من تصوير الوقائع وذكرها كما شاهدتها شخصياً ولكي أتمكن كذلك من التعبير عــن ذلك بطريقتي الخاصة وأسلوبي الشخصي تاركــاً للمتخصصين أن يستخرجوا من هذه المادة الخام ما شاءوا ومفسحاً المجال للنقاد ليقولوا كلمتهم في الموضوع إذا أرادوا

لا أظنني أغفلت أي جانب يستحق الذكر أو الاشارة من حياة المجتمع الذي عايشته انما تبين لي أن هنـاك فصولاً من الكتاب يمكن أن يتوسع فيهــا بالمزيد مــن البحث والاستقصاء والاستنتاج والمقارنة وحسن التبويب إلى أن تصيــر كتبــاً قائمة بذاتها

انه عمل تطلب جهداً ولا بأس ان تحملت هذا الجهد ما

دام فيه خدمة للوقيقة المشاهـدة المعاشة تلك الحقيقة هي أن مجتمعنا نشيط ومتطور وآخذ بأسباب الحضارة بما لهذه الحضارة وما عليها

أخيراً أقول ان الآراء والاستنتاجات الواردة في الكتاب كلها شخصية وباجتهاد مني فأنا الذي تحمد لي أو لا تحمد وبالله التوفيق وهو سبحانه من وراء القصد

م. ش

1 ـ تمهيد للكتاب

المجتمع المغربي الحالي الـذي نعيش فيه ومعه ونحن الآن في أواخر القرن الرابع عشر الهجري وأوائل القرن الخامس عشر ، مجتمع مختلف كثيراً عن المجتمع الذي فتحنا أعيننا عليه ونحن أطفال أو فتيان فيهمنا أن نحكي للاجيال الشابة الحاضرة وللاجيال التي ستأتي من بعدنا إلى ما شاء الله نحكي لها عما شاهدناه بأعيننا وما عشناه بأنفسنا نحكي لهم عما كان وهـو كثير ونصور لهم مشاهد من أنماط الحياة ونذكر لهم أنواعاً من العقليات ومن التصرفات وأشكالاً من السلوك الاجتماعي ومـن التقاليد والعادات التي كان يأخذ بها المجتمع ثم نعرج على واقع المجتمع الحالي باقتضاب وبذلك تصح المقارنة ان اعتقادنا جازم بأن ما حصل في الخمسين سنة الاخيرة ، ليس له مثيل في أية فترة من فترات التاريخ لوطننا

ويدفعنا لهذا العمل الدقيق ـ كذلك ـ أننا نحن الكتاب والباحثين ، في كل عصر ، نحتاج الى أن نتعرف على صور من الماضي لفترة من الفترات لا يكفي أن نطالع من أجلها كتب التاريخ التي قلما تعتني بهذه الجوانب وليس من شأنهـا أن تتوسع فيهـا ولا كتب الادب التي قد تلمس هذه المواضيع ولا تتعمق فيها انما يكفي ويحقق الرغبـة أن نطالع نصوصاً وأخبـاراً من رواة صادقين وآية صدقهم أن يكونوا من الشاهدين الحاضرين الواعين بالاحداث وان يتحلوا بمزية المواطنة الخيرة المتزنة وأن يلتزموا الصدق ـ ما استطاعوا ـ فيما يروون وأن يتحروا الدقة والامانة فيما يحكون ، وألا يتجنبوا من الاخبار إلا ما فيه مساس بشرف أو حرمة أو ما فيه استخفاف بالغير

إن الفضائل التي ستروى والمزايا التي سنشيد بها والمساوئ التي سنشير إليها نابعة من الالتزام والصدق ومنتزعة من وقائع الاحداث والعثرات والمزالق ما دام كل ذلك يتعلق بالبشر والبشر من شانه أن يصيب وأن يخطئ على أن ما نعتبره اليوم خطأ أو مهزلة أو شذوذاً كان عند الاقدمين بالامس هو عين الصـواب وسبب من أسباب المسرة والرضى والاطمئنان وعكس ذلك صحيح

والحقيقة التي تذكر بدءاً أن مجتمعنا القديم كان مجتمعاً منغلقاً وكان معانياً من جهة وجاداً مغالباً من جهة أخرى فمن حيث ان الافراد كانوا مومنين قانعين وعاملين على كسب عيشهم بلا تهاون ومتمتعين بالصحة الجسدية وبالاستقرار النفسي نتيجة للاعتدال بسبب هذا كانوا فعلاً سعداء وراضين أما من حيث انهم قليلو الخبرة بالدنيا وأناسها وانهم معرضون للفتن الداخلية وللتدخلات الاجنبية وللهجوم عليهم في عقر ديارهم وانهم كادحون من أجل إقامة العيش وضمانته واتقاء أنـواع الشرور بسبب هذا كانوا فعلاً معانين ومتخوفين

كان الميراث الذي ورثوه عن الماضي المثقل بالاحداث والمآسي مؤثرا عليهم ، ومقيداً لانطلاقهم وحاجباً للرؤى الجميلة عن أعينهم وفي الجانب المقابل كانت أروبا قد استيقظت من زمـان ونهضت نهضتها المدهشة وهي ليست إلا على "مرمى حجر" كما يقول المثل وهم يختلفون عنها في كل شيء في أساليب الحكم وتنظيم وتصريف أمور الدولة في أساليب التعليـم وطرائف تنظيمـه وفي أساليب التثقيف وإشاعة العلم وتشجيعـه وفي أساليب الاعمـال العمرانية والتجارية والصناعية وفي أساليب الحياة اليومية للافراد والعائلات والجماعات بمختلف طبقاتها في الحواضر وفيما حواليها وفي البوادي القاصية والدانية في المفاهيم الوطنيـة وخطط صيانـة الكيان والاستعداد العسكري بالجملة كانوا يختلفون عن جيرانهم

كثيراً في نوعيات الفهم والادراك والتعمق والشمولية وتحكيم المنطق والذوق والوجدان

نعم ، كان لمجتمعنا نظام حكم ، وأسلوب تسيير ، وكان لنا تعليم عقلي ونقلي ، وطريقة حياة في المدن والقرى ، وكنا مثل الناس نحب وطننا ونضحي من أجله وكان لنا تفكير وتدبير انما تجلى بعد الاحتكاك بالاجانب ان كل ذلك ليس على المستوى المطلوب فلو كان كذلك لتمسكنا بما عندنا واستغنينا به عما عند غيرنا

وهكذا تكون المؤثرات التي عملت على تطويـــر أحوالنا تتجلى في ثلاثة أمور الاستعمار الاروبي وقدوم رجاله ونسائه علينا ، ثم الحركة السلفية التي صاحبت فقاومت هذا البلاء النازل بالرأي والقول والقلم وأخيراً الحركة الوطنية التي نازجت سلمياً ثم عنفاً ذلك الاستعمار فقهرته .

ومن المعلوم ـ تاريخيًا ـ أن مصيبة الحماية نزلـت بالمغرب سنة 1912 مسبوقة بعدة حمايات فرضت على أقطار أخرى وبذلك كان المغرب آخر الأقطار المستعمرة وهذا خير وشر في نفس الوقت ففي التأخر دليل على صمود المغرب ومجاهدته في دفع البلاء وذلك خير ،وفي التأخر شر لأنه مكن المستعمرين من تطبيق آخر ما في مكنتهم من دهاء ومكر خلال هذه الفترة كانت فكرة السلفية التي جاء بها المصلح السيد جمال الدين الافغاني قد شاعت وذاعت وتولى أمرها تلاميذ مباشرون وتلاميذ روحيون لهذا المصلح الافغاني العظيم وبذلك استمرت حالة المقاومة قتالية هنا وهناك وسلمية هنا وهناك أيضاً والعجيب أن المستعمرين استطاعوا التغلب على المقاتلين بالحديد والنار بأساليب متفوقة بطبيعة الحال بينما ساروا من هزيمة إلى أخرى أمام المقاومة الباردة التي أدارها الاصلاح الديني السلفي وبرزت الحركة الوطنية مواكبة لكل هذا بدأت ضعيفة على أيدي رجال وشباب ضعاف وسائلهمضعيفة ولكن سرعان ما تجلت البراعة

وذكاء التخطيط ومهارة التسيير اذ بمجرد ما غلق المستعمرون الافواه وقيدوا الحريات جاءت المقاومة المسلحة تفرض وجودها

لا شك أن احتلال الوطن وتمزيقه على أيدي الفرنسيين والاسبانيين ومجموعة من الدول الطامعة المتكالبة يعتبر كـل ذلك نقمة ولكن "كم من نقمة في طيها نعمة" ، فرغم التسلط والقهر والتقتيل والحجز والاهانة التي لحقت ببلادنا التي تستعمر لأول مرة فان الرجولة المغربية برهنت على وجودها في المقاومـة المسلحة ثـم المقاومة السياسية وكان النصر على المسلحين والسياسيين الاعداء رغماً عن التفوق وجاءت من خلال وجود الأجانب معنا منافع لأرضنا وشعبنا لا تنكر أحياناً لم نكن نحن المقصودين بها كأرض وكشعب غير أن الفائدة على كل حال حصلت من حيث ظهرت أساليب وطرائق جديدة في تنظيم الادارة والقضاء والاقتصاد والفلاحة والتعليم كما وردت عادات جديدة في أساليب العيش والسكن واللباس والتعامل والتخاطب والسهر والتفسح

ارتمى أفرادنا ـ خصوصاً ذوي الوجاهة والمكانة ـ على منافع هذه الحياة الجديدة وبادروا أول ما بادروا إلى توجيه أبنائهم الى المدارس الحديثة الاروبية ، ليتعلموا على أيدي أجانب وأجنبيات ولم يعودوا ـ كما كانوا في أول الأمر ـ ينظرون الى أن المسألة تنطوي على أضرار وأخطار وتركوهم يترددون عـلى المعاهـد والمؤسسات والمنتديات والملتقيات ، بل سمحوا لهم ، ان لم يشجعوهم على الالتحاق بالمدارس العليا في مدن هؤلاء الاجانب وهناك رأى الابناء وسمعوا ومارسوا كل ما هو عجيب ومدهش وخارق للعادات المألوفة وأقبلوا على تراث هذه الامم وانغمروا في الاطلاع والاستيعاب والتذوق والالتذاذ فشغفوا بكل ذلك اعجاباً وحين ينصرفون عن التراث يجدون الميدان من حولهم زاخرا بالصحف والمجلات والكتب من كل شكل وحجم ولون وطعم واتجاه بشكل يصعب معه الاكتفاء والاحاطة

واذا تركوا المكتوبات وجدوا أمامهـم وحواليهـم المنطوقات

والمرسومات والمنحوتات والمجسمات أشياء تعجب فتدهش ما شئت من دور للسينما وللمسرح وما شئت من متاحف ومعالم ومآثر وغير ذلك من خوارق العادة المحافظة المألوفة

كل هذا ومثله وجدوه وكان مغرياً وأخاذاً وباهراً ومدهشاً ومعه صحت المقارنة وبحصول المقارنة يكون رد الفعل فإما نفور من الامور الاصلية وكراهية لها ثم اقبال على هذا الجديد وارتماء في احضانه وهيام به فذوبان فيه وإما تمسك بالاصل واقتناع بجدواه مع السعي في الاقتباس والتقليد والتطعيم والمحاذاة وهذا الامر الاخير هو الذي حصل بالفعل في ميـدان العلاقات الثقافية والفنية ، والعلاقات العائلية والاجتماعية والعلاقات في ميادين الحياة على اختلاف مناحيها وأنواعها

ومن حسن حظ الامة المغربية أن هذا التطور الخطيـر واكبته الحركة السلفية والحركة الوطنية فرجال الحركة الوطنية – وهم من المدرسة السلفية – كان لهم دور في الميدان فهم الذين قللوا من غلو المغالين ومنعوا سقوط المعجبين بالحضارة الوافـدة وفتحوا بصائرهم وأبصارهم بعد أن كادوا أن يعموا عـن حقيقتهم وأصالتهم انبهاراً بما رأوا وما سمعوا وهكذا تكون الحركة الوطنية هي عنصر التوازن ودعامة الصمود حفظت للامة زهرات شبابهـا وشاباتها

وشاهدنا مشاهدة العين كيف ان شباناً على مستوى طيب من الثقافة الغربية ومن الحذق الاوروبي ومن التفرنج كانوا عـلى مستوى عال من السلوك الوطني المنضبط والفعال مـن حيث قدموا عند اللزوم ما يستحق التقدير من التضحيات وأنواع البذل

وكيفما كان الحال فإن تأثير الحركة السلفية رفع الكثير من المفاهيم الدينية المغلوطة التي كانت مشعشعة في العقول فلما كان القدوم الاجنبي ومعه كل غريب من الاساليب والعادات والتصرفات كانت الحركة الوطنية – المعتنقة للافكار السلفية – بالمرصاد من

حيث خففت من حملة الحضارة الاروبيـــة العاتية خصوصـــاً الجانب الشرير منها على أسس اسلامية صحيحة

فندعو القارئ الى الرجوع معنا ونحـــن نطرق أبواب القرن الخامس عشر الهجري ندعوه الى رجعة للوراء ، من حيث نستعرض ، أحوال الامور العادية أحوال الافراح والاتراح المآتم والمناسبات وأحوال التسلي والانشراح والمرح ، ثم نتتبع ما كان يروج على الالسنة وبعضاً مما كان يخالج الضمائر وتظهر له آثار ثم نعرج على تدين أفراد الشعب وانتساباته ، ثم مخالطته لأهل العلم والمعرفة والفضل وميولاته لأهل الفن واعجابه بهم على ألا ننسى ذكر المحترفين والمحترفات الكاسبين لارزاقهم بعرق جبينهم وتعرض لنا ـ حسبما يسمح به المقام ـ شؤون وطرائف من حياة المجتمع

ملاحظة أخيرة هي أننا سنتحدث عن المجتمع الحضري الذي خالطناه وعاشرناه بطبقاته الدنيا والمتوسطة والعليـــا وان كانت معرفتنا المدققة بكل الاوساط ، في كل مدينة مدينة ، غير متيسرة الا أننا متأكدون أن الفروق بينها ليست كبيرة فالتشابه والتماثل ملحوظان أكثر مما يلاحظ التباعد والاختلاف

يبقى مجتمع البادية وهو يمثل شريحـــة كبيرة مـــن الشعب المغربي وهذا لا نعرف عنه الا القليل وسوى أمور من السطح ، وسيكون في امكان كاتب عارف بالاوساط البدوية في مختلف ديارها ومنازلها أن يصور لنا حياة البادية تصويرا صدقاً ودقيقاً ووافياً

سلا ـ ربيع الاول 1400 هـ

موافق ـ يبراير 1980 م

2 ـ الطبقات الاجتماعية وتعاملها مع بعضها

انه ليس في مستطاع مجتمع جديد أن ينفصل كل الانفصال عن المجتمع القديم فدورات تعاقب الاجيال لا تنتهي بعضها يلحق بالبعض وبعضها يتداخل في البعض ولا تنهي احداها الا بعد أن تخلف الميراث للآخرين فلنتصور أسرة فيها الجد والاب والابن والحفيد وابن الحفيد ان كل واحد ينفرد بعقليته ولكن ظلالا من طباع الجد الاكبر لابد وأن تكون منطبعة على الحفيد الاصغر فكانها تعليمات دقيقة وصارمة لا فكاك منها يلاحظ هذا في تركيبات طبقات المجتمع كلها

ومجتمعنا ـ كمجتمعات الدنيا كلها ـ كان متركباً من طبقة موسرة عريقة على مستوى "الارسقراطية" واخرى متوسطة محافظة على مستوى ما يدعى ب "البورجوازية" وثالثة فقيرة كادحة لا ضمانات لها والاتصال بين الطبقات الثلاث لم يكن منقطعاً ، الا انه كان قوياً بين المتوسطة والفقيرة ، وبين المتوسطة والميسورة ، واحياناً تنفرد هذه عن غيرها من الطبقتين الاخريين اللتين تمثلان السواد الاعظم خصوصاً من ناحية الروابط العائلية والمصاهرات ، حتى انه ليهون على أحد الوجهاء أن يتسرى بسودانية أو بدوية ولا يتنازل الى ربط حبل المصاهرة من الطبقة المتوسطة فاحرى الفقيرة

وتاتي الطبقة المتوسطة على رأس الطبقتين من حيث الفاعلية والدور الايجابي اذ هي الطبقة التي تمثل رجال التجارة والصناعة والمهام الادارية على المستوى المتوسط الابلغ اثرا" كما هو معلوم وهكذا كان في يدها ما يتصل بالاعمار والتجهيز والتموين والاكساء فمنهم البناء والنجار والحداد والمزخرف والمؤثث ـ إشرافاً وانجازا ـ ، ومنهم الممون السنوي والشهري والاسبوعي واليومي بكل ما يحتاج

اليه البيت من المواد الغذائية والاكسائية ومنهم كان الفقيه والمتفقه والاديب والمتأدب والواعظ والمدرس وهم غالباً يزاولون مهامهم حتى العجز والممات ثم يورثونها لابنائهم هذا إذا كانوا راضين بها وكانت قد ضمنت لهم حياة مستقرة وسعيدة وإلا فإنهم يحولون أنظار الابناء الى جهة أخرى جهة طلب العلم على الاخص

ترى والطبقة المتوسطة هي العمدة وهي المعول عليها لتؤدي أهم أدوار الحياة ترى ماذا كان يشغل الطبقة الموسرة ؟

لقد كانت الطبقة الموسرة مشغولة بالمحافظة على رؤوس الاموال وصيانة العقارات وتنميتها والتوسع فيها وبتدبير أمور التجارة الكبرى اذ كانت هي التي تحتكر الاستيراد أو تلعب دور الوسيط الخبير النشيط أو تشارك او تشرف على أعمال الزراعة والغراسة وتربية المواشي ليس شيئاً من هذا يعجزها لما لها من خبرة ونفوذ

والبعض من هذه الطبقة لا يشغله شيء من هذا ولا ذاك وانما ينغمر في الوظائف السامية وفي تصريف شؤون الدولة أو شؤون القضاء أو مقاليد الحكم الجهوي والبعض الآخر كان مشغوفاً بالعلم وبكراسي تدريسه ، وبمنابر الخطابة في المساجد وبمدرجات الوعظ ثم انكباب آناء الليل وأطراف النهار على المطالعة والمدارسة ومجالسة الرفقاء من أهل العلم أو الاختلاء والتفرغ من أجل التاليف والتصنيف والتحقيق والتدقيق أفراد من هذه الطبقة يسلمون في كل تلك (الماديات) و (المعنويات) وينصرفون إلى مجالس الانس واللهو وقرض الشعر وتبادل الطرائف والنكات مستيقظين بالليل نائمين بالنهار ! يكفيهم ما ترك لهم آباؤهم وأجدادهم من مال وعقار ومتاع

أما الطبقة الفقيرة فهي التي كانت تكدح من أجل الطبقة الموسرة والطبقة المتوسطة منها تتخذ الاولى الخدم والخادمات والمساعدين والمساعدات والعمال والعاملات تارة بأجر زهيد وتارة

مقابل اطعام البطون وارتداء الفضلات من الملابس والايواء الى بيت بسيط قريب من الدار الكبيرة أو القصر أو في زاوية من الزوايا داخلهما وندخل في هذه الطبقة تلك الجماعة التي كانت مرتبطة بالاسياد ارتباط الملكية فلم تكن تخلو دار كبيرة من "أمة" أو من "عبد" ولم يكونوا كلهم من أصل سوداني أسود وانما كانوا من أقاليم الجنوب من الصحراء أو تافيلالت أو درعة أو من نواحي مراكش وحتى من بعض القبائل غير السمراء إذ كان الامر في الاصل مجرد اختطاف كريه لبائسين وبائسات من مختلف الاعمار ثم بيع شنيع بسوق النخاسة ولما انقرض جيل الاماء والعبيد تحول السادة الى اتخاذ الخادمات والخدم المأجورين باتفاق مقدم

لابد من الاشارة هنا الى عنصر كان معانياً ، ذلك هو عنصر (أبناء الامة) ، وذلك بأن يعجب "السيد" بفتاة من ذات يمينه فيتناولها في ساعة نزوة أو اختلاء ويقضي وطره منها وأحياناً يكون ذلك على مبدإ سفيه ورغم حظوة هذه المخلوقة في فراش سيدها ، فإنها دائماً تبقى في نطاق المطبخ وأشغاله التي لا تنتهي محاصرة بمعاملة قاسية من طرف ربة القصر بل قد تصير وكأن لا هدف لها إلا هي ويأتي الاتصال بين السيد وأمته بابن الجارية أو ابنة الجارية من حيث يعيش كل منهما في اضطهاد مستمر حتى ان "السيد" المحترم يخجل من أن يسير في الطريق وبجانبه ولد ليس على لونه ، ولا يرى أي مانع من أن يزوج ابنته – التي هي أيضاً ليست على لونه – لأي كان ولا يجد أية غضاضة في أن يقطع الصلة بينه وبينها وهي ربة عائلة وأم الاولاد هؤلاء الاولاد الذين هو جدهم ! وأبشع قولة أطلقت في هذه العلاقة المتوترة هي "ابن الامة لا يفلح وان أفلح فيا عجباً" ! ولعلها مقالة صنعتها احدى السيدات المشحونات بالغيرة والحقد

هذا نوع من التسخير من الطبقة الميسورة للطبقة الفقيرة انما تسخير الطبقة المتوسطة لها ليس من هذا النوع انه أولى بأن يسمى الاستخدام والتأجير مقابل انجاز عمل من الاعمال وغالباً

ما تكون هذه الاعمال من غير الاعمال الدقيقة الفنية وانما هي من الاعمال الشاقة المجهدة التي تتطلب جلداً وقوة في الاجساد فإذا نبع من بين المستاجرين الفقراء صانع ماهر فإن "المعلم" يصطفيه ليتقدم على أقرانه في انجاز الاعمال الدقيقة أو ليقوم بمهمة الاشراف على الاعمال وهنا يرتفع الاجر فيرتفع المستوى ويتحسن السكن والمعاش واللباس وقد تتطور الحالة الى أن يصير الرجلان ندين لبعضهما ، فيعقدان شركة أو يصيران متنافسين ، وبهذا يخرج الكادح من صفوف الكادحين

ولو راجعنا حيثيات بعض الكادحين في ميدان الاعمال الشاقة كلها لوجدنا انهم ـ في الغالب ـ قادمون من البوادي أو من المناطق الصحراوية وقد يوجد من بينهم بعض أهل الحضر "الذين عضهم الدهر بنابه" كما يقال فلم يجدوا من اجل القوت بداً من ان يشقوا ويتعبوا ويتحملوا

واذا جاوزنا التركيب الطبقي المشار اليه آنفاً وأردنا أن نعرف شيئاً عن حقيقة الروابط العائلية في كل أسرة عند جميع الطبقات وبكيفية اجمالية فإننا نجد أن الاسرة المغربية القديمة كانت تمتاز بتماسكها سواء عاشت في الرخاء أو عاشت في الشدة تتمتع بقيادة أبوية عازمة حازمة لها نفوذها المطلوب والواجب كما تتمتع برعاية أمومية فياضة الحنو والرعاية وتتمتع بتعاطف أخوي شامل وصادق هذا هو المظهر الغالب والذي تواضع المجتمع ـ يومئذ ـ على اعتباره وتقديره ، فإن اختل دور الاب ، أو دور الام أو دور الاخت والاخ فإن ذلك يعد نشوراً وتقصيراً

وأكثر ما يتجلى هذا في الطبقة المتوسطة فالآباء فيها حاضرون وقوامون وقريبون من أولادهم يحملونهم على السلوك القويم وعلى تحصيل ما يمكن من المعارف وفي نفس الوقت يجعلونهم بجانبهم في ميدان الحياة من حيث يخالطون الناس ويعرفون من تلك

المخالطة أسرار الحياة ويرون كيف يكون الخروج من المآزق عند الحاذقين بسلام ثم انهم يرون رؤية العين كيفية اكتساب الدراهم والكيفيات التي تصرف بها

والام في هذه الاسر المتوسطة قوامة بجانب الاب أو من ورائه على تصريف شؤون العائلة تحسن ـ في الغالب ـ التدبير وفرض السلطة وهي أحياناً تستعمل سلطتها مباشرة والا فإنها تستعين بسلطة الاب وسلطة الجد إذا لم يكن هناك أب ، وهي تعطي المثال لاعداد رجل الغد وامرأة المستقبل وغالباً ما تساعدها الوسائل المتيسرة ، خصوصاً جانب المدخول المادي

أما الطبقة الفقيرة فحالتها لا تختلف كثيرا عن الطبقة السابقة ، ولو أن الامكانات المادية والمعنوية غير كافية وغير ضامنة ، لهذا فهي تريد ولا تستطيع فالاب الكادح المجهد لا يتيسر له مثلاً أن يأخذ معه ابنه ليأخذ درساً في شؤون الحياة فحياته ليس فيها الا الانهاك والاجهاد والنصب وأي جدوى من أن يتعرف فتى على حياة شاقة أولى به أن يتعرف على حياة أحسن إذ الاب يخضه على ذلك ولا يكف أمامه عن ذم واقعه القاسي فإن أبت الاقدار إلا أن تتكرر مأساة الاب في الابن فمن الاولى أن يكسب العيش بعرق الجبين عملاً بالمثل القائل احمل روثهم ولا تطلب تصدقهم .!!

الآباء الموسرون ـ من جهتهم ـ يهتمون بمصائر أبنائهم ويحرص من كان منهم يحتل منصباً في الدولة أن يتولى أبنه منصباً سامياً أو أن يرث من بعده منصبه ان ذلك يؤرق منه الجفن ويشغل البال وتمام التوفيق في الحياة ان يرى الوجيه ابنه وقد صار وجيهاً مثله ونال الحظوة ولا عليه اذا كانت المعرفة قليلة اذ يكفي في بعض المناصب أن يكون المظهر بهيجاً وجذاباً وفي اللسان حلاوة وفي التصرفات لباقة

الحقيقة أن الاب الموسر اذا كان صاحب علم وإدراك وحس أدبي وفني مرهف ، فإنه يسعى جادا ليورث أبناءه ذلك أو شيئاً من ذلك

وليترك لهم من بعده كتبه ومخطوطاته وتقاييده ، ولا عليه ان نالوا منصباً أو لم ينالوه ، المهم ان يصير ابن العالم عالماً أو ابن الاديب اديباً وفعلاً " قد لا يخيب هذا الامل أقول "قد" لا يخيب لأنه فعلاً يخيب ، من حيث ينصرف الأبناء ، عن اجهاد الفكر وارهاق الحافظة وحبس النفس وراء أربعة جدران ينصرفون الى المسليات والمفرحات في معتزلاتهم ورياضهم مع الرفقاء والخلان والمؤنسين ولكأنهم بذلك ينالون حظهم وحظ أولئك الآباء الذين حرموا أنفسهم ويذكر ان بعض الآباء الطموحين قضوا بغصص أبنائهم اللاهين !

على ذكر هذا ، كان يلاحظ نفور ــ قليل أو كثير ــ عند الابناء في الطبقات الثلاث ، من الآباء خاصة ، الشيء الذي كان يوقع الامهات في مآزق ، صعبة يعسر فيها التخفيف من تشدد الآباء وجفوة الابناء ولا داعي لذلك الا رغبة الآباء في أن يفرضوا الاحترام والطاعة فرضاً وان يحملوا ابناءهم في صرامة متناهية على أن يسلكوا الطريق المستقيمة وان يقبلوا على تحصيل الضروري من المعرفة الدينية وما يتصل بها خروجاً من طور الامية ، ان لم يكن هناك تفوق ونبوغ والمؤسف ان مهمة اكساب المعرفة الاولية والابتدائية ــ باصطلاح اليوم ــ كان لا ياتى الا عن طريق الفقيه أو المعروف "دالمذرر" ، وهو المعلم لذلك الوقت ، مطبوع فى معاملته ــ هو أيضاً ــ دالتشدد والعبوس واكفهرار الوجه ووسائل تفاهمه مع الصبيان والفتيان هى العصى بمختلف أطوالها هى المهذبة وهى "الجزاء" لمن حرم حافظة ماسكة ، لكم كان من ضرب مبرح ، ولكم وضعت من قيود صارمة ، ولكم كان من حرمان من طعام وشراب وكل ذلك كان له انعكاس خطير على العلاقة بين الآباء والابناء ، حتى ان من الصغار من غادر المسكن الهنيء وهام على وجهه بلا رجعة

حظ البنات كان مختلفاً عن هذا فالتعامل معهن كان مختلفاً وارفق في بعض الاحيان ، فهن يلازمن البيوت تحت رعاية الامهات تكاد أمور تربيتهن كلها تكون من اختصاص هؤلاء الامهات ولا يتدخل

الاب إلا عند الضرورة فيما يتعلق بصيانة الاعراض وفيما يتعلق باختيار الزوج الانسب عندما تفتح الانوثة ويدعو الداعي لتأليف أسرة جديدة ويحين موعد انتقال الشابة من حضن أمها ومن رعاية أبيها الى بيت زوج يرعاها ويسكن اليها وتسكن إليه

والعائلة ـ بعد هذا ـ ترتبط بأعضاء خارجيين هم الاعمام والاخوال والعمات والخالات والامتزاج التام والتعاطف الكامل ـ مع هؤلاء كلهم ومع من يتصل بهم ـ يتوقف على عقلية رب البيت اذا كان من المتفتحين المنشرحين الاسفياء يزور ويزار يصحب ويصاحب والا ساءت العلاقات إذا كان منقبضاً على نفسه نفوراً ميالاً للانفراد يتشكك ويتحوط ويعطي تفسيراً خاصاً بـه لكل نظرة وكل قولة وكل حركة ، وعندئذ لا يكون اتصال به وبأفراد أسرته إلا عند الضرورة القصوى

هناك ميزة لبعض الاسر ترفع من قيمة الافراد عند أنفسهم وفيما بينهم وفي أوساط المجتمع تلـك الانتسـاب الى العترة النبوية ان المجتمع يكن لهؤلاء الناس الاحترام والتبجيل تلقائياً و "الشريف" عادة يعطي لنفسه التوقير المتناسب مع هذه الميزة وقلما ينزل الى حضيض المنابزة والخصام مع "العوام" أما مـع أبناء عمه فيفضل الاحتكام الى مختار العائلة المعروف بـ "النقيب"

وكان الملاحظ أن بعض الشرفاء يحرصون على ان يقدم عـلى أسمائهم لقب سيدي" أو "مولاي" للرجال و "لالا" أو "مولاتي" للنساء وقد يثور هذا البعض اذا ذكر اسمه مجرداً اذ هو نفسه لا يفعل ذلك اذا ذكر اسمه انما البعض الآخر لا يهتم بذلك مطلقاً ولا يواخذ الغير اذا ارتكب هذه الهفوة جازماً ان "الشريف" يجب أن يتجلى شرفه في سلوكه الشخصي ومع أهله ومع أبنائه وأفراد أسرته بحيث لا يعرف عنه ولا يسمع الا الخير وهو فوق كل ذلك يخوض فيما يخوض فيه عامة الناس لكسب لقمة العيش ولا يهمه أن

يكون صانعًا أو تاجراً أو بحاراً أو بقالاً أو دون ذلك ترتفع به كرامته الشريفة ان يمد اليد مستعطيًا أو أن يتخذ زيًا خاصًا أو وضعية خاصة ليتعيش من عرق جبين الآخرين ثم انه يتصاهر مع عامة الناس بدون أدنى تعقيد انما "العوام" يعـزون الشريفة ويكرمونها ويوقرونها إذا صارت زوجة لهم وقد يتحملون من أجل ذلك الكثير

3 ـ تكوين أسرة :

لم تكن هناك سن محـددة ليصبح الشاب رب أسرة كما هـي الحالة الآن وكما ستبقى ، غير أنه من المفضل عند الناس أن يكون الزواج مبكراً صيانة للصحة النفسية والجسدية وقياماً من بعض الآباء والامهات بواجبهم نحو أبنائهم الاعزاء في الوقت المناسب وما دام في العمر بقية وفي الصحة متسع لبذل الجهد غـير أن اخرين يرون ان الزواج المبكر قد تعصف بـه أحداث مبكرة أحداث ناتجة عن قلة التجربة وضيق الخبرة ثم قلة توفـر الأسباب المالية والمادية التي تضمن الكثير من عوامـل الاستقـرار والطمأنينة ويستدل أصحاب هذا الرأي على ذلك بأن الذين يتزوجون من الرجـل في سن متقدمة أواخر الشباب أو أوائل الكهولة من حيث يكـون الزوج مستقر الاحوال المادية فيضمن له ولها سعادة ورضى متبادلين

وكانت الطبقة الموسرة أسبق من غيرها لتزويج الابناء الشبان سواء أكان الشاب قد أتم دراسته أم لم يتمها سواء توفرت الاسباب المالية أم لم تتوفر ، فرب الاسرة الكبير يتكفل بكل شيء فما على الشاب إلا أن يكون عريساً ! انهم يختارون الفتاة من الاقرباء أو من المعارف الذين هم من طبقتهم ويتفقون على أنواع الهدايا والشورى ولا مشكل حول السكن فالمنزل الفخم متعدد الحجرات و "الصالات" فليختر الشاب ما يريد ، وان أظهر التمنع وعدم الرضى أنشئ له سكن على حسب ذوقه بروض الدار أو على حساب سكن مجاور المهم أن يبقى العريس طيب الخاطر والطريف أن هـؤلاء الازواج الشبان وآباءهم وأمهاتهم كانوا كلهم يوجدون تحت إشراف واحد هو اشراف الجد أو تحت إشراف "عزيزي" أي الاخ الاكبر في حالة عدم وجود الجـد

وكان المنظر عجيباً أن ترى الدار الكبيرة وهي عامرة بعرائس شابات يانعات ضاحكات للدنيا مبتهجات بتآلفهن وتآنسهن تسود بينهن مودة حميمة ومحبة صادقة تشملهن بالرعاية والحدب حموات عطوفات هن أيضاً سعيدات ومسرورات ومتعاطفات تضفي عليهن الكهولة المبكرة صحة وحيوية وفاعلية ، وهؤلاء وأولئك يرجعن في الامور المهمة الى سيدة **الدار الاولى العجوز** التي هـي في نفس الوقت الناطقة باسمهن لدى رب الدار الاول الشيخ العجوز وهي تستخرج من كيسه ما يلزم لجميع المرافق والحاجيات مـن المصاريف وهي التي تبلغ رغبات عرائسها جميعاً في سفرة ، أو نزهة أو حضور وليمة أو إقامتها في الدار الكبيرة نفسها

ويزيد في متانة الارتباط أن الابناء والاحفاد ـ غالباً ـ مـا يقتدون بحرفة الجد فيكونون مساعدين له ومتعاونين معـه على الكسب وغالباً ما يخصص لكل واحد منهم مهمة معينة لينصرف لها خصيصاً ويقصر الجهد عليها ومن حكمة الجد وعلو مكانته أن أوامره لا ترد لأنها مدروسة مقدماً ولا تستند على تهور أو تشف أو اعتداء

نفس العناية والرعاية تعطى حتى للابن أو الحفيد الذي اختار اتجاهاً آخر في الحياة غير اتجاه آبائه وأجداده خصوصاً إذا صار أحدهما موظفاً سامياً ان حكيم العائلة يتدخل ويحرص عـلى أن يمتلك مسكناً لائقاً وتجهيزاً فخماً ومظهراً ممتازاً ولا يهم ان تدعو الحاجة الى الانتقال الى مدينة أخرى أو حتى قطر آخر ! فالاتصالات ستبقى مستمرة عن طريق المراسلة كما أن تجمعات عائلية زاهرة تتم بين الحين والحين وفي مناسبة من المناسبات

والطبقة المتوسطة في المجتمع تختلف نظرتها قليلاً عن هذا كله إذ رب الاسرة ـ عادة ـ لا يمتلك الا مسكناً واحـداً محدود الحجرات فالمجال ضيق لقبول أسرة جديدة بكل تكاليفها ثم ان الآباء في هذا الوسط يفضلون الرجال المعتمدين كلياً على أنفسهم فإذا اختار الشاب "ان يكمل دينه" وهذا هو التعبير الذي ينعت به

الزواج ، فإنه يترك الشاب ليصرف أموره ، إذ يكون اختار المهنة التي تناسبه ، وتدر عليه القليل أو الكثير من الرزق ، وعلى ضوء ذلك يختار المسكن المناسب ـ شراء أو اكتراء ـ ويؤثثه ويشرع في تجهيزه واعداده ثم ينصرف للوازم الزواج ومـا أكثرها وسنشير اليها في فصل آخر وقد تتدخل أريحية الاب حسب المستطاع أو تعطيه الام من مذخراتها أو فضلة من ميراثها ولكم يسر الوالديـن الطيبين أن يجد ابنهما الطموح في مكنتهما ما يستطيعان من البذل والعطاء ، وان يتقلب هو وزوجته وأولاده بين مسكنه ومسكن والديه زائراً عابراً أو ضيفًا مقيمًا أو آويًا عند نزول ضائقة

تبقى الطبقة الفقيرة وهذه لا تختلف في هذا الامر عن الطبقة المتوسطة انما التكاليف من جميع الوجوه أبسط وأضعف

وبما أن النساء كن محجبات ـ في الطبقات الثلاث ـ لا تبـرز للعيان الجميلة منهن والعادية والدميمة فإن الزوج ـ غالبًا ـ مـا كان يحمد الله على القسمة ، ويتصور أن زوجته هي سيـدة النساء حتى ولو كان من الذين سبق ان تعرفوا على جوانب الحياة كلها الخفي والظاهر منها ذلك لأن الزوجة تمتاز بأنها المـأوى الامـين والرفيق في دروب الحياة والمساعد على تكاليف وأعباء العيش والصابرة عند الضائقات فعلى هذا تكون الزوجة كريمة وغالية عند الكرام الغلاة

والاب هو المسؤول عمليًا عن تربية أبنائه ، وهو يحمل همًا لهذا أكثر ما يحمل همًا لمسألة الزوج نفسه من حيث لا يكتمل الزواج ولا تتضح المكانة الاجتماعية الا اذا ولد الابناء ، ومتى صار في الكفالة زوجة وأبناء فإن الشعور بالمكانة في الحياة يكون عميقـًا ويصير الامر وكأنه يتعلق بأمانة ثقيلة لا يخف حملها مـدى الحياة نعم مدى الحياة حتى الزوجة نفسها لا تضمن لنفسها استقراراً عائليًا وأمانًا وسعادة الا اذا ولدت ثم ان سعيها أكيد في أن تثقل الكاهل لئلا يجد "الطائر خفة في جناحيه فيطير" !

الزوجة ـ بعد هذا ـ يشركها الزوج في مسؤولية الدار أو هو يجعلها على الهامش ووجودها على الهامش كان يوقعها في مشاكل تجاه الابناء اذا ما كان الاب غائبًا اذ لا يسعها عندئذ أن تؤجل البث في الامور الى حين رجوع الاب كما انهــا كانت تؤجل مسائل المواخذة والعقوبة كلها الى حين تلك العودة والخطير في الامر ان العودة قد لا تكون أبداً بسبب موت أو هجران

4 ـ تربية البنت

كان ملحوظًا ان البنت تسبق الولد الى ولوج الحياة والمسؤولية وانه قد يعجل بتزويجها بمجرد بلوغها وتدخل طور الامومة بكل اعبائه في وقت مبكر ومن أجل هذا نقدم الحديث عنها

ان طفولة البنت كانت تنتهي في سن العاشرة ، أو بعدها بقليل وهي تتردد قبل هذا على دار "المعلمة" حيث تظل هناك من وقت الضحى الى ما بعد أذان العصر وطعام غذائها يحمله اليها أحد اخوانها أو أخواتها أو والدها نفسه ....؟ وفي دار المعلمة تتلقى تداريب عملية على فنون الطرز والتخريم بالنسبة لبعض الاسر وعلى فنون نسج الزرابي بالنسبة لأسر أخرى

ودار المعلمة كانت بالنسبة للبنت نافذة تطل منها على الدنيا خارج بيت الوالدين الموسوم بالجد والصرامة غالبًا إذ هي تخالط بنات أخريات من أسر مختلفة العادات والمشارب والمعاملة والسلوك وهكذا كانت تتصادف اثنتان في جلسة واحدة وقد تنزويان في ركن من حجرة التعليم الواسعة الاكناف وهناك يطول الحديث الهامس وتذكر أخبار وتنفضح أسرار والمعلمة ـ مع ذلك ـ لا تغفل عن ذلك التقارب المشبوه الذي يشغل كل واحدة منهما عن حصة اليوم من الاعمال التي ترغب كل أم في التعرف عليها عند العودة الى البيت في المساء ولذلك تتدخل بصرامة في المرحلة الاولى بالكلمات الساخرة والتنكيت الموجع أو بقرص الافخاذ ـ في المرحلة الثانية ـ ثم الضرب بالقصبة المجوفة التي هي ليست موجعة ولا مبقية للآثار بعد الضرب الهين وتدمع العيون ويكون افتراق موقت في انتظار عودة الى الاجتماع سريع بعد مدة تلاحظ الام الحاذقة الحازمة ان عيني ابنتها صار لهما اشعاع خاص كما

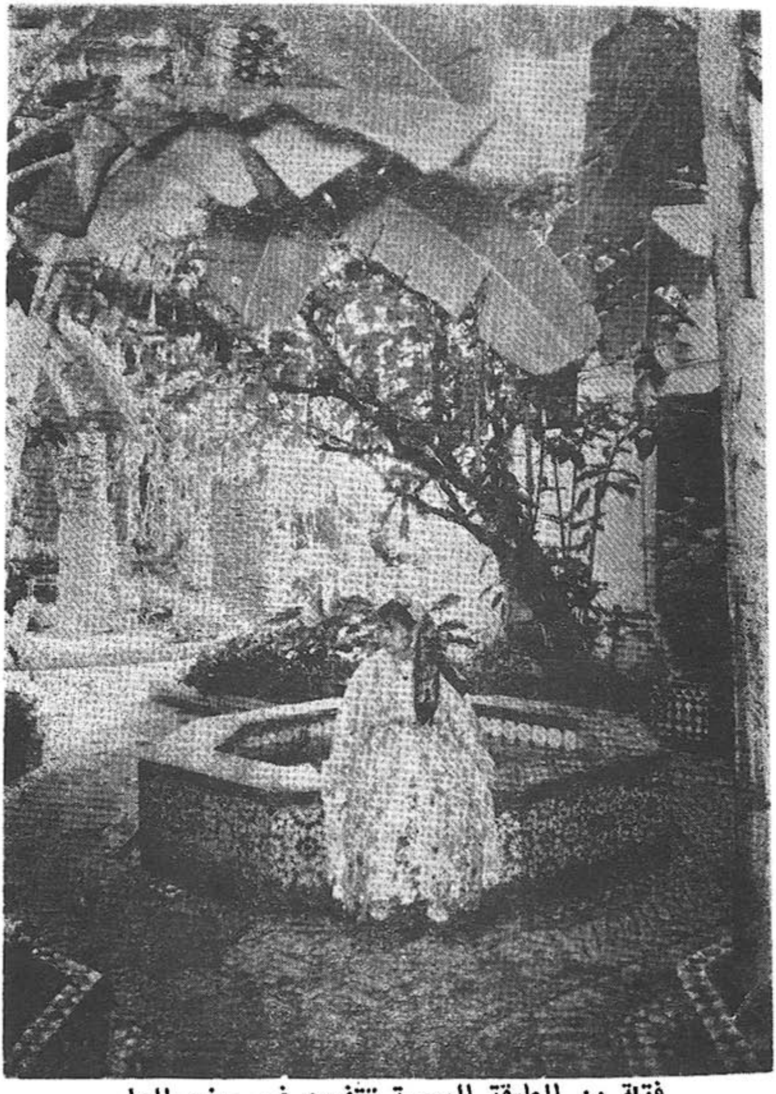

فتاة من الطبقة الموسرة تتفسح في روض الدار

يلاحظ الاب المتيقظ ان ملامح وجسد ابنته في طريق التحول بعض الشيء فيتم الاتفاق عندئذ على أن تلازم البنت بيت أبويها

ومن بدء هذه الملازمة تؤخذ البنت بنوع من الشدة من حيث توقظ من نومها باكراً قبل شروق الشمس وهو التوقيت الثابت قبل شيوع الساعات بالبيوت وتذهب لاعداد طعام الافطار التي يشتمل - اذا كان في المنزل ابناء كثيرون - على "الحريرة" وهي الشربة الصباحية من دقيق الشعير أو الذرة أو القمح أو من أخلاط المعدنوس والقزبور والبصل والتوابل والقطاني مع اللحم وهذه الشربة الاخيرة أشهى ، انما هي أكثر اجهاداً عند الاعداد وتتطلب من الفتاة تيقظاً وإلا كانت الحملات عليها شديدة من الجميع ، وفي مقدمة الجميع الاب العتي - إن كان عتياً في الواقع - ولا يهتمون بما لاقت من متاعب في ايقاد النار في الحطب ومن أدخنة ذلك الحطب وما تطلب تحريك القدر باستمرار من تأذيات من الطبيخة الحامية وقد ينوعون في عمليات اتعابها من يشتهون صنع وحدات من "الرغائف" المسمنة التي تنضج على النار الموقدة في الفحم واحدة واحدة وسواء أكلت فشبعت أم لا ، فانها تبادر الى تخبيز الخبز ويا ما تتطلب عملية العجن هي أيضاً من انهاك لراحتيها الصغيرتين وفي هذا الوقت يكون الاب أو من ينوب عنه قد وصل بمصروف اليوم لحم أو دجاج أو سمك مع "الخضرة" المختارة لذلك اليوم أيضاً واعداد وجبة الغذاء عملية مجهدة أيضاً

قد يسعد الحظ فتاة من هؤلاء الفتيات فتكون لها أم حازمة قوية تتولى عنها أهم الاعمال الدقيقة المتعلقة بالطبخ ، والتى تجلب الكثير من الانتقاد والقليل من الرضى من الاب والاولاد على السواء ويزيد من تخفيف الوطاة أن تكون هناك أخوات أصغر سناً يتولين الاعمال الاخرى أو تكون هناك خادمة أو "متعلمة" تقدم مساعداتها في الاعمال المجهدة

وبتعدد الايدي المساعدة تقتطع فترة عند الافطار للاستراحة

واستجمام النفس وهناك تتبادل الاحاديث خفيفة مسلية مضحكة كأن تحكى احدى المجالسات عن رؤيا رأتها في منامها خلال الليلة الماضية ، وتطلب من الام ، أو من كبرى الجالسات ان تفسر لها "المنامة"
أو تبسط الام مشروعاً من المشاريع لعمل من الاعمال العادية أو تخطط لتجهيز المنزل لمناسبة مقبلة كعيد من الاعياد أو وليمة من الولائم لكم يلذ الحديث والام وبناتها في خلوة لا تسنح في وجبتي الغذاء والعشاء حيث الاب حاضر والابناء بكل مزعجاتهم حاضرون

وأشق عمل من أعمال الاسبوع هو يوم "التصبين" ولا يخفف من مشقته الا انه متبوع بيوم الاستحمام في الحمام العمومي فبقدر ما يكون يوم التصبين مبغوضاً يكون يوم الحمام سعيداً إذ تاتي بعده أحاديث قد تستغرق أياماً

وتستأنف الاعمال المنزلية الام تنصرف الى نصب "طاجين" الغذاء وما أدراك ما طاجين الغذاء ! فيه يفرغ الحذق والمهارة من حيث تقلي الزيت مع قليل الثوم ويرمى بعد حين بقطع اللحم الطري (لتحمر) قليلاً مع أبازيرها وعندئذ تفوح رائحة فواحة تشم من أبعد المسافات ان البعض منهن أو منهم يستطيب نهش قطع اللحم وهي ما تزال على حالتها لم تنضج بعد وتنكب في نفس الوقت على تقشير "الخضرة" ويحلو لها في هذه الخلوة أن "تدندن" لنفسها إذا كان كل شيء على ما يرام والدندنة غالباً ما تتعلق بأمداح في حق النبي أو بابتهالات تدمع العين انه التوجع اللذيذ !

في حين تكون البنات منشغلات باعادة ترتيب الحجر إلى حالتها العادية بعد السهرة وفترة النوم وهي عمليات بسيطة ولكنها تستغرق وقتاً طويلاً لما يسود فيها من تمازج وتفاكه وضحك صاخب ـ بين فتيات الدار في غفلة من أمهن ـ ويصل حد الانشراح والصخب الى التهالك

معلمة الطرز ، تحيط بها بنات يتعلمن فن الطرز على يدها
وكانت تستعمل المخدة لممارسة الطرز بدل الطوق

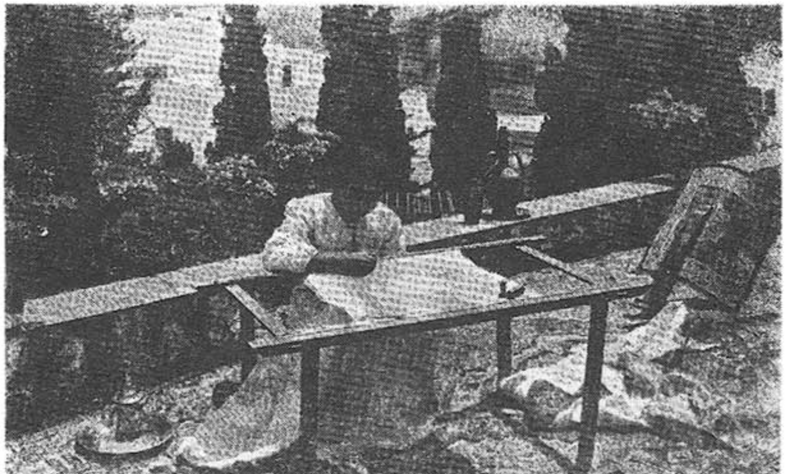

فتاة يانعة منهمكة في التطريز وسط الورود والرياحين
و (براد) الشاي بجانبها ، ومشروب الشاي له المقام الاول

فتاة متزوجة   تلبس سبنية وتنسج زربية   فلباس
السبنية كان خاصاً بالمتزوجات ولو كانت السن صغيرة

على الفرش اللينة وتمثيل أدوار يقوم بها الاب أو الاخ أو عجوز من العجائز ذوات القرابة

وتبحث عن هؤلاء الفتيات يوم الاربعاء وهو اليوم المفضل لعملية التصبين فتجدهن قد انزوين في مكان معين هو أقرب الى "المطفية" أي خزان الماء أو الى خابية الماء التي ملأها "القراب" في اليوم السابق وكلهن منكبات على الجفان ، يعركن الثياب المبللة بعد طليها بدهان الصابون وأثناء ذلك لا تكف السنتهن عن السباب والدعوات القاسية للاولاد الذين لا يتركون الثياب عن أجسامهم إلا وهي هكذا على جانب كبير من القذارة والتلطيـخ وبذلك تتأذى الانامل والراحات الى حد التسلخ ، وكلهن يقسمن إيمانا مغلظة أنهن سيضربن أولئك الشياطين بلا رحمة أو على الاقل يفرك آذانهم

وتتولى الام نفسها نشر الاثواب المصبنة على الحبال في أعالي السطوح فالصعود الى السطوح محرم على البنـات ان السطوح المجاورة قد يوجد بها بعض الفتيان المتطفلين ، الذين يقضون أوقاتهم تحت أشعة الشمس الساطعة في انتظار ظهور فتاة أو ان شئ ت "غزالة شاردة" ومـا الغـزالات ـ في الحقيقة ـ سوى هؤلاء البنات اللواتي هن بصدد عمل مجهد اضطررن معه الى التخفف من ملابسهن والى الكشف عن أذرعهن والى أن يرفعن ذيول أثوابهن من حد الاقدام الى أعلى ، الى اقصى حد ممكن وهل تسمح الام الحازمة ـ بسبب هذا ـ بتسليط العيون الفاحصة وبحركات الالسن الصاخبة والتي قلما تلتزم الصمت ...؟ هل تسمح هذه الام الحازمة دائما بلعبة القط والفار ....؟ لكم تكون الراحة شاملة إذا كان السطح مسورا"

وتجيء فترة ما بعد الظهر في الغد فتكون المجموعة منهمكة شديد إنهاك وعلى اتم استعداد للتوجه الى الحمام وهنا أيضا لا تفرط الام في مسؤوليتها فهي تجعل بنتها أو بناتها قدامها وهي تسير قائدة الموكب تحت حراستها فكم في الطريق من عيون فاحصة ،

صورة فتاة في لباسها المغربي الاصيل الحضري في أواسط
القرن 14 الهجري

ومنألسنة لا تسكت ، ومن تزاحم مقصود بالمناكب ، ومن صفير نزق ، ومن نداءات ملفوفة لا يخفى ما فيها من مقاصد

وفي الحمام تلتقي البنات بعزيزاتهن مـن القريبـات وغير القريبات ، من اللواتي سبق معهن التواعد على الحضور في هذا اليوم بالذات ، وتكون المقابلات حارة ورغم أن الجو نسوي صرف فإن الام الحازمة تأبى الا الابقاء على الفتاة أو الفتيات تحت بصرها مـن حيث تفضل أن تستأجر ''الطيابة'' لتأتي باناءات المياه الساخنـة والباردة كما تتولى هي نفسها تسريح شعور البنات الطويلة ثم تضميخها بالغسول المعطر ثم غسلها مرارا" وتكرارا" كما تتولـى هي نفسها أيضاً ـ رغم الانهاك ـ حك الظهور والبطون والاطراف مع السعي في تجنب الاعين الفضولية الفاحصة ، وما بالكم بعيون النساء عندما تريد أن تتفحص ..!

اذا كانت البنات المستحمات مفلتات مـن مثل هـذه الرقابة الصارمة ـ لعدم وجود الام ـ فانهن يمرحن في الاقسام الثلاثة من الحمام وحتى خارجه ، تياهات رشيقات مثيرات شيئاً من الغيرة والاعجاب في نفوس اللواتي هن محرومات من الرشاقة والبضاضة والحيوية والمرح ولم لا ؟ فلقد يكون هذا الظهور المكشوف المثير للاعجاب سبباً في اثارة مسألة الزواج واغراء لاحدى الامهات بالبحث عن احدى بنات الناس من بين هؤلاء ، لابنها الاعزب الراغب في الزواج !

5 ـ زواج البنت

يشيع ذكر عن الفتاة بأنها جميلة أو بأنها جميلة ومهذبة أو بأنها جميلة ومهذبة ونشيطة (حادگة) وهذه الاوصاف الثلاثة ـ لو اجتمعت فيها ـ لكانت بغية عزيزة المنال ولكانت تحفة نادرة مع وصفاً واحداً يكفي ليجعلها في ذلك المستوى الرفيع

وتاتي السيدات الممهدات للخطبة احداهن مثلاً رصينة رزينة وجيهة حسنة المظهر تعطي إيحاء بأن الخاطب من سلالة كريمة وجيهة مثل هذه المرأة وان مثل هذه المرأة هي النموذج الذي يريد عاجلاً وآجلاً والثانية تمتاز بفضولها الشديد وبعيونها الفاحصة ، وبجرأتها التي لا حد لها أما الثالثة فلا ميزة لها الا لسانها الحلو وذخيرتها من النكت والطرائف والاخبار لتضفي على الجـو شيئاً من المرح والانطلاق والذي يكون عادة مشبعاً بالتخوف والاحتياط والحذر

تاتي هؤلاء السيدات في يوم غـــير مناسب وفي ساعة غـــير مناسبة كذلك وعلى غير موعد ليقفن على الاحوال داخل البيت كما هي عادة النظافة الترتيب توفر جو الاستقبال وأحواله تبدأ المرأة الرصينة الحديث ، فتتكلم بكلام موزون وتعلن عن المهمة التي جاءت الزائرات من أجلها ويحلو لها ان تضفي على الشاب الخاطب من الاوصاف الطيبة وكذلك على عائلته في مقدمتهـــا الاب والام وتجتهد في أن تربط بين العائلتين بخيوط ولو واهية لتؤكد أن المقام متقارب ومتساو ويحلو أن يذكـــر اسم شخصيـــة معروفة في عائلة الخاطب ليزيد المقام ارتفاعاً وتتدخل السيدة المرحة فتتحدث عن جمال "العريس" وحلاوته وتطلقها تنهيدة أسفاً على أنه كان في امكانه ان يزيد أعواماً في عمره وتنقص هي أعواماً مـــن عمرها اذن لاختطفته اختطافاً فمثل "السي لا يفلت وتعود السيدة

الرصينة لتتكلم بوقار عن امكانات العائلة المادية بعد أن كان الحديث عن الامكانات المعنوية وتعدد ما تحت يدهم من املاك وأرزاق وبهذا يحصل القبول المبدئي

وتقوم الام لتشرف بنفسها على اعداد أدوات الشاي وهنا ياتي دور الفضولية المتجرئة لترفع الحصير أو الزربية عن الارض لترى اذا ما كان تحتها من أزبال وأوساخ دلالة على التهاون والتراخي وتنقلب الى اللحف والوسائد تتحسسها تحسس الخبيرة لترى هل هي صوف أم مجرد حشو من الاعشاب أو الحلفاء وتزيد في جراءتها المتناهية فتفتح الخزانة لترى ماذا هناك وما هو مستوى الترتيب عند هؤلاء الناس ...؟ وأخيراً تمرر أناملها على النوافذ والاخشاب وتردها إليها لتقيس مقادير الغبار ، فإذا كان كثيراً عرضت مجموع الانامل المتسخة على المرافقات فإذا لم تجد رجعت الى مكانها مبتئسة مغتاظة لكأن عندها ثأراً مع هؤلاء الناس مع أنها أول زيارة لهم وأول لقاء !

وتاتي "صينية" الشاي وأدواتها وتجلس الام في أبهة وقد عدلت من لباسها وزينتها لكأنها رجعت بعمرها بعض السنين الى الوراء ، وتتولى هي نفسها اعداد الشاي ، وتنادي على ابنتها "فلانة" المقصودة بالذات لتقوم بتوزيع الكؤوس لكن هذه المتمنعة لا ترسل إلا أختها الصغيرة أو الخادمه وتبقى هي في مخبئها تاركة القلوب من ورائها معلقة والفضول محتدا ويحضر الشاي ويوزع ويتكرر النداء ولا مجيبة وهنا تقوم الام من مجلسها وقد تضرج وجهها بالحمرة ، لا هي حمرة الخجل ولا هي حمرة الغيظ وانما حمرة الابتهاج من أن ابنتها التزمت الرزانة والترفع وفي غفلة منها تتبعها السيدة المرحة عن حسن نية وتشد من يد وتشد الام بيدها الاخرى ولا تتركان للمسكينة منفذاً أو مجالاً لتستر عينيها المشعتين اللتين تطفران بالدمع من شدة الفرح

وتقبل الفتاة تلقائياً على السيدة الوجيهة فتسلم عليها تقبل جبينها وخدها وتنحدر على كفها ترد الخاطبة الوجيهة بقبل حارة على خد الفتاة القاني اعتزازاً بها ومجاملة منها تفعل نفس الشيء مع المرأة الاخرى ولو أنها تحس ببعض النفور منها وتعمد هذه أيضاً الى اشباعها تقبيلاً غير أنها تقصد قصداً الى لثم الفم ثم الى شمه كما تشد على الذراعين شداً محكماً وتضمهـا الى صدرها ضماً عنيفاً وتروح ـ بعـد اجلاسهـا بينها وبـين رئيسة المجموعة ـ إلى التحدث معها متفحصـة جيداً لـون البشرة ولون الشعر وترفع يدها اليه تتلمسه برفق وبغير رفـق منحدرة مـع نزوله الى الاسفل ، مروراً بالصدر قاصدة أن تلمس كل شيء ، وتهمس ـ عن عمد ـ سائلة الفتاة بصوت خافت وحين تجيبها تلح عليها ان تنظر اليها لتتمعن جيداً لون العينين وتقويسة الحاجبيـن وثنيات الاذنين ، وكأنما هي على موعد مع صاحبة النكتة اذ سرعان ما تبتسم الفتاة وتنفرج شفتاها عن الاسنان واللثة وحبذا لو قهقهت لتفترج المرأة على داخل الفم ودوران اللسان فيه تبقى مسألة القوام وهذه تحل بمجرد قيام الزائرات إذ تبادر الفتاة المخطوبة وتقوم في رصانة ـ طبيعية أو مصطنعة ـ الى رفع أدوات الشاي أولاً ولكي لا تتعثر ترفع أطراف ثوبها فتظهر الساقان غضتين مترقرقتين شباباً ، وهنا تتبادل مجموعة الزائرات نظرات عامرة بالمعاني ويتركن تحيات حارة ورجاء قوياً في ألا يخيب الله الرجاء

وبالعودة الى المنزل يجد وفد الخطبة التمهيدية جمعاً كاملاً في انتظاره وتطلقها السيدة المرحة زغردة مبشرة عند الدخـول فتسري البشرى والفرحة عند الجميع خصوصاً عند الشاب الـذي يعنيه الامر أولاً وبالذات وتنبري (الفضولية) فتثني على الفتاة بما هي أهل له وأكثر ، وتغمز للفتى الجالس وتأخذ في سرد المحاسن الجسدية وليتها ما فعلت ! اما السيدة الوجيهة ، رئيسة وفد الخطبة

التمهيدية فينحبس لسانها أمام طلاقة ألسنة الاخريات ولا تزيد على أن تكرر كلمات معدودة ولكنها عامرة

الله يكمل بخير نعم الناس نعم الناس !

في هذا الوقت أو قبله أو بعده يكون والد العريس يجري اتصالات مع بعض المعارف ،منهم الجيران الجيران الذين هم في الاول والطليعة وبعض أصدقاء المهنة لوالد العروسة وببعض من لهم صلة قريبة أو بعيدة برب الاسرة المعول على المصاهرة معها وذلك بقصد التحري والاستخبار ونتيجة ذلك هي التي تفصل في الامر ولو زغردت المزغردات ونوهت المنوهات

ويأتي الليل فيكون (حديث الوسادة) الهامس بين الام والاب من حيث تهمس له بكل الملاحظات والاسرار التي خرج بها وفد النساء يبقى الشاب المعني بالامر وهو الذي يقضي أول ليلة ساهرة أو على الاقـــل جزءاً منها يصنع لعروسه صـــورة في الخيـــال على ضوء الاوصاف التي جاءت بها النساء وهي دقيقة ومغرية ويقارن بصورة يعرفها للاب أو لأخ من إخوانها ويبيت يناجي هذا الطيف طيف الحبيب المجهول طيلة الليل !

وتقوم اتصالات جادة بين العائلتين من حيث يتم الاتفاق على قدوم وفد الخطبة الرسمي الذي يتقدمه الاب طبعاً أو أكبر فــرد في العائلة ويستأنس هذا المقدم برجل له معرفة بالعائلتين ليتم التآنس والتآلف المرغوب فيهما وتلتئم الجماعة وتسير في وقار الى مسكن والد العروسة من حيث يستقبل باحترام غير زائد وبمودة غير مكينة ويعرض الطلب بعبارات منمقة ولطيفة أثنـــاء شرب الشاي وتناول الحلويات وهنالك يتم الاتفاق المبدئي وعندئذ يأخذ الشاب ـ الذي لا يشارك في جمع الخطبة ـ المسألة بجد لأن الامر في هذه المرة تم على يد الرجال !

ويعود رسول بين العائلتين يمتاز بلباقته ليثير مسألة (النقدة) أو (الدفوع) فيعمل على تحديد قيمته وعلى حصر نوع الهدايا المطلوبة والتي "تهدى" للعروسة أثناء الزفاف ويكون الاجراء العلني الاول ألا وهو أمسية "الفاتحة" من حيث يتوجه جمع لا يقل عدد الرجال فيه عن اثنى عشر رجلاً الى منزل والد العروسة ويتمم التعارف وتبادل التهاني والتمنيات ثم تقرأ الفاتحة ويحدد موعد قريب أو بعيد لعقد القران

وحفلة عقد القران أوسع نطاق يحضرها كل أقارب العائلتين المتصاهرتين ويحرك جو السرور فيها جماعة "المسمعين" أو "جوق الطرب الاندلسي" أو "جوق الكريحة" أو غير هذا وهذا الحفل يجري بمسكن والد العريس وإلى هذا الحفل يقدم أهل العروسة ولا يكون العريس غائبًا بطبيعة الحال انما يكون منزويًا في احدى الحجرات ولا يظهر الا عندما يطلب من طرف عدلين ليؤدي شهادة القبول والرضى وعندئذ يدخل ويخرج في وقار واتزان تحت الزغاريد الصداحة

ويأخذ الطرفان في اعداد العدة التي قد تطول مدتها ويتسع نطاق الاعداد ويتضخم إذا كانت احدى العائلتين أغنى من الاخرى قليلا ، فالاولى تظهر من غناها ما يجب أن يظهر ويؤخذ بعين الاعتبار والاخرى تحذر من أن تظهر دون المستوى وباعتبار كل هذا يقوم الشاب لاعداد المسكن ولتزويده بما يلزم له من الاثاث والاواني ويحرص على اعداد الحجرة الرئيسية بالتزليج والتزويق بالجبص ان أمكن ويوصي أحد النجارين المهرة بصنع الخزائن و "النواميس" "الطوابل" من خشب العرعر على أن تطعم بخشب الليمون الفاقع وان يحفر وينقش كل ما هو غير مطعم وتحت إشراف الوالدة يعد لباس الزفاف قطعة قطعة التشمير القطني الناصع والسروال الابيض الناصع هو أيضًا واللباس المركب من ثوب "الملف" فإذا كان

تمثال شمعي لعروس حضرية في لباسها الكامل قبل التطور

-

العريس متعلماً خيط له قفطان ذو لون خاطف للابصار وخيطت له "فرجية" من ثوب "حياتي" القطني الشفاف ،ومن نفس الثوب أعدت له عمامة "رزة" بيضاء بطبيعة الحال أما إذا كان العريس من غير المتعلمين أو من الرافضين لبس القفطان والفرجية فإنه يصنع له لباس متركب من (بدعية) و "جباضولي" و "سروال" بمعرفة أحد مهرة الخياطين، كما يوصى الخياط أن يخيط للعريس جلباباً من نسيج "البزيوي" ذي الخطوط الصوفية والحريرية وذي النسج الرقيق الشفاف

ويبقى بعد هذا الالتفات الى (الهدية) أو (الصبيحة) التي تقدم للعروسة حسب العادة قبل الزفاف أو في الغد الموالي وهي تشتمل على لباس كامل من الاثواب البراقة الفاخرة وقد يصل الامر الى تقديم لباسين أو أكثر على سبيل المبالغة والتباهي ، ويصحب ذلك وفي مقدمة الكل ـ قطع من الحلي والجواهر حسب مقدرة الرجل

أما الاب الذي يهمه أن يزوج ابنته أو يخرجها لـ (نور الحياة) حسب التعبير السائر فإن أعباءه ليست أخف من هذا بل لعلها أثقل من حيث يعد لها أنواعاً كثيرة من الالبسة تكفيها لعدة سنوات استغناء عن مطالبة الزوج بإكسائها من فورها ثم ينصرف بعد وصول النقدة أو الدفوع الى شراء قناطر من الصوف من حيث تبذل الجهود لغسلها وتجفيفها وحلجها باليد ثم تحضر الاثواب الغليظة وتنجد الفرش واللحف حسب المقاييس التي تحمل من بيت العريس في يوم "القياس" ذلك القياس الذي يتم على يد بعض النسوة بواسطة خيوط القنب وتعد ستائر تلك الفرش واللحف مع الستائر المعلقة من ثوب فاخر يدعى (المبر) وبه تلف الوسائد أيضاً وكثيرا ما تخاط هذه الستائر على يد خياطة ماهرة ، وقليلا ما يكون ذلك على يد خياط مختص وكل هذا التجهيز لا يحمل الى بيت الزوجية الا بيوم واحد قبل ليلة الزفاف ، ويدعى في بعض الاوساط "يوم تعليق الشوار"

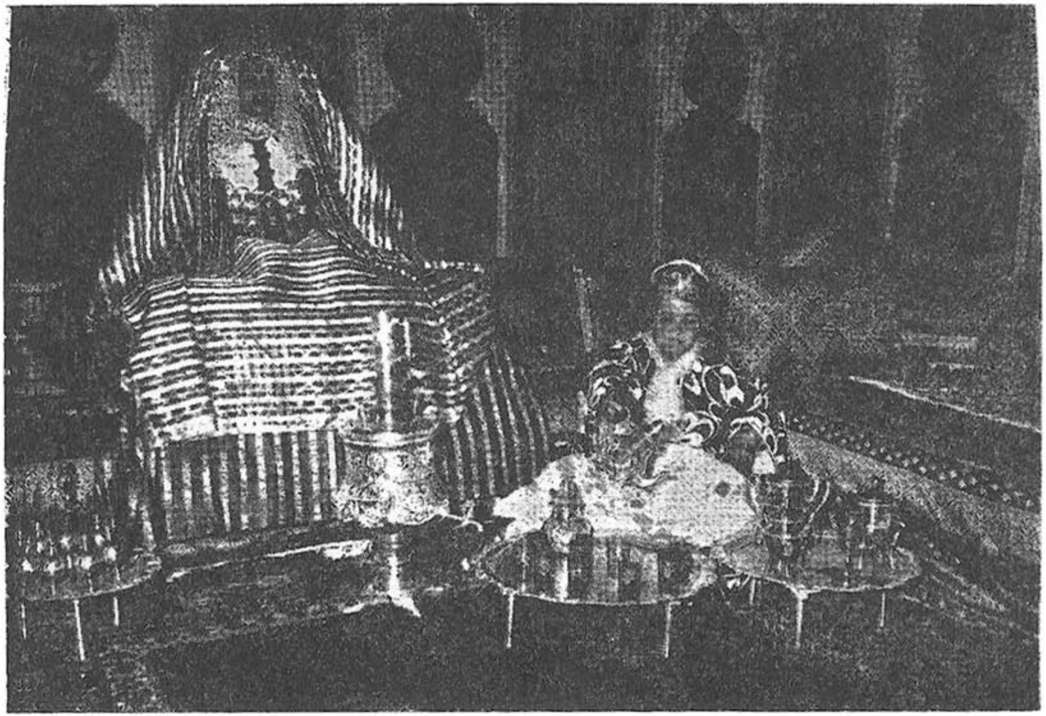

عروس على المنصة وسيدة وجيهة تعد الشاي لقد حدث تطور في التجهيز واللباس

وتؤخذ العروس ثلاث مرات متتاليات الى الحمام قبل الليلة الموعودة من حيث يغسل جسدها وينظف على أحسن حال وينقى من كل الزوائد ويعطر بمختلف العطور وترطب الجوانب التي يكون فيها قليل من الخشونة وتكون (ليلة الحنة) ليلة زاهرة توقظ فيها الشموع ويطلق البخور وفي هذا الوقت تنكب اثنتان من "النكافات" على برقشة الكفين ظهراً وبطناً والى ما فوق الكوعين بالحناء ، ثم تبرقش القدمان من الظاهر وحتى الكعبين أو ما فوق حتى اذا لبست العروس سروالها الحريري الناصع ـ في غدها الكبير ـ تدلت الحواشي المطرزة فوق برقشات الحناء وتحرص المزينات على أن تبقى العروسة بلا حزام وبدون أي شيء يضيق عليها حتى ما يحيط بالطوق ولو أن العقود و "اللبات" والتيجان والاقراط والمعلقات كثيرة ومتنوعة وثقيلة

وعندما تقام حفلة (الجلوة) مساء ليلة الزفاف تكون هناك أفراح وأهازيج وزغاريد وغناء ورقصات حتى قرابة العشاء وبعد تناول طعام "الكسكس" المعهود في تلك الليلة يسود فتور وربما شيئاً من الوجوم ، لا يعرف بالضبط سببه وتؤخذ العروس الى فراش والدتها من حيث تخفف عنها أثقال الحلى والملابس وتأخذ قسطاً من الراحة في انتظار وقت السحر ، من حيث تحمل في احتفال الى بيت زوجها محمولة على ظهر خادمة أو داخل "عمارية" أو غير ذلك والحقيقة أن قليلاً من الوجوم يبقى مستمراً بل تثقل وطأته عند أخذ العروس ، ولا يرتفع هذا الانتظار الواجف إلا بعد رجوع (العريفات) صاحبات مزغردات حاملات لعلامات "الشرف" والصيانة معهن وهذا فقط تهدأ النفوس عند الوالدين على الاخص ويركن الجميع للراحة الشاملة وبعد أن وضع المثقلون أوزارهم ويكون النوم بعد ذلك هادئاً والراحة شاملة

6 ـ المرأة بين الاستقرار والاضطراب

تقضي العادة ـ ولكي تنسجم العروس مع جوهـا الجديد وتتآلف معه أشد التآلف ـ أن تمكث في منزلها طيلة سنة كاملـة لا تزور فيها أي بيت آخر ولو بيت أبويها مرتع صباها وفتوتها انما يمكن أن تزار من طرف أمها واخواتها وقريباتها أو أية زائرة مرغوب فيها دون تكرار أو مبالغة

وزيارة الام ـ حسب التقاليد ـ تبدأ فعلاً في السابع من الايام بعد ليلة الزفاف من حيث تحضر محفوفة بطائفة من قريبات العائلة وعند اللقاء يكون العناق حاراً ومؤثراً ومدمعاً للعيون ، ففراق سبعة أيام بأنهرها ولياليها هي في طول سبع سنوات ان لم تكن أشق وأصعب ، وتتطلع الام الى ابنتها تطلعاً خاطفاً فتحكي لها ملامح الوجه وبريق العينين عن كل شيء ، فإن تحدثت لأمها بعد ذلك في خلوتهما فإنما يكون من قبيل إعطاء التفاصيل المنطوقة

وتنقلب الام بعد ذلك الى بيتها الذي نقص احدى مؤنساته أو مؤنسته الوحيدة وقلبها مشبع بالتفاؤل والامل والثقة أو مشوب بخوالج التشاؤم والتخوف واليأس وهذه المشاعر الاخيرة تحتفظ بها لنفسها في أعماق فؤادها ولا تحدث عنها حتى زوجها اعتقاداً منها أن وصيتها بالصبر وحسن التصرف والتي أسدتها الى ابنتها ربما تاتي بنتائج طيبة فلا داعي لتكدير خاطر الاب وهو الـذي تحمل الكثير من أجل تزويج ابنته

غير أن هذا الاب له موعد مع ابنته ـ هو أيضـاً ـ في لقاء "السلام" الذي يدعى اليه من طـرف العريس نفسه مـع الاخوان والاعمام من الجانبين ، وهذه الوليمة الختامية تتطلب هي أيضاً نفقات

من العريس وتكلفة للاب من حيث هو مضطر الى تقديم هدية السلام ـ عيناً أو نقداً ـ كما يقدمها كل من جاء هذا المجلس من الرجال !
وبما أن الاب لا يتمكن كالام من اجراء أي اتصال أو حديث مع ابنته فإنه يكتفي بإلقاء نظرة نظرة تكفيه عن سماع كل إشادة أو شكاية !

وهو على عكس زوجته لا يكتم انطباعاته التي خرج بها من تلك الزيارة الخاطفة وانما يجعل منها حديثاً آخر للوسادة وهنا يجد الابوان نفسيهما متقاربين في الحكم الذي خارجا به أو هما على اختلاف ولكم يكون مسعداً لهما أن تكون الدلائل والبوادر كلها خيراً وان يكون لسان حال ابنتهما العروس الشابة يهتف بهما عن بعد "اطمئنا ان كل شيء على ما يرام إن هذا الجانب من الحياة رائع فلماذا كنتما تخفيان عني أسراره ؟ لا تنزعجا سأكون عند حسن ظنكما وعند حسن ظن الجميع زوجاً وحماة وحماً وأماً وأباً ان زوجي العزيز أهل لكل ثقة ولكل حب وتفان" !

ويكون الزوج "ابن ناس" فيقدر هذه الثقة فيه ويعتز بها ويعمل لأن يكون أهلاً لها فهو يحافظ على مكانته كرب أسرة والمستشار الاول فيها والمشرع والمنفذ الاول وهو أيضاً يبادل الرأي ، ويميل للاقناع ويتخلى عن العناد ، ويداري جبروت الرجولة وبهذا ترفرف ألوية السعادة خفاقة على المنزل الناشئ ويلاحظ الاقارب ـ الاصفياء والالداء ـ استبشاراً ورضى وطمأنينة تنعكس انعكاساً جلياً على الصحة واتزان التصرفات وازدهار المستوى المعاشي وتقدم الحياة المهنية كيفما كانت تلك المهنة وقد يشتد الطموح نحو الحال الاحسن والارفع

ويكون هذا النوع من الازواج من الشهامة وبعد النظر إلى حد الثقة بالزوجة الشابة ثقة كاملة فهو بعد مرور سنة الاستقرار في البيت والتي تكلل أحياناً بازدياد مولود أو مولودة يسمح لها بان تغادر البيت إلى زيارة بيت أبويها أو بعض الاقارب أو للحضور في

فرح من أفراح العائلة ، والامر ـ عند هذا الزوج ـ سواء ، ذهبت وحدها، أو صحبة والدته أو والدتها وهو كذلك لا يتشكك في تصرف يتشكك فيه الغير ، مثل الصعود إلى السطح غير المسور أو ترك النوافذ الخارجية مفتوحة أو فتح الباب بنفسها اعتقاداً منه ـ بعد التجربة ـ أنها أقدر على صيانة نفسها والدفاع عن كرامتها أكثر من أي واحد

وتحقيقاً للصيانة والتعفف تمتنع الشابة عن التعطر مطلقاً قبل خروجها من البيت كما أنها تحرص على لوازم الحجاب كلها فهي تتخذ "السراويل" وهو غشاء للساق بطوله مرتين وهكذا يكمش تكميشاً على ظاهر الساق وبذلك تستتر فلا يبين لها حجم ولا شكل ولا لون ، كما تتخذ "الحايك" وهو غطاء كبير من القطن المحبب أو من الصوف غير السميك "المحربل" وبهذا الحايك تتغطى المرأة من أعلى الرأس الى وجه الحذاء وطبعاً يتغطى الوجه بتمامه ولكي ترى طريقها وهي تسير فإنها تبقي ثقباً ناتج عن تعارض جانبي الثوب عند وجهها وحذرها شديد ـ إذا ما تطلع فضولي ـ الا تحرك وضعية الثقب أي "التغنبيرة" الذي تطل منه على الدنيا والا فسره ذلك الفضولي بأنه إشارة له أو دعوة !

والحقيقة ان "الشك" عنصر شيطاني كان يخرب العائلات دخر ضمير الزوجة كما يخز ضمير الزوج ولكن موقف المرأة ـ يومئذ ـ كان يتسم بالمداراة والتصبر وحتى التبالد أحياناً ، ولا تقف موقف التحدي والتصلب الا إذا نفذ الصبر كله انها قد تغض الطرف عن السهرات التي قد يقضيها الزوج خارج المنزل ولا تعترض على أن يتغيب عن البيت يومين أو ثلاثة وتسكت وتداري عندما ياتي البيت ذات ليلة فاقداً لاتزانه ولكنها لا تقبل أبداً أن يفاتحها في شأن الضرة فالتزوج للمرة الثانية تعدها إهانة لقيمتها كامرأة فلكأن هذه التي تريد التطفل على حياتها تتوفر على مزايا لا تتوفر هـي عليها والعجيب ان من النساء من تقبل الضرة الثالـثة في حين ترفض

الضرة الثانية في أول الامر ربما لأن وجود هذه الثالثة تعده معاونة لها على العنصر الدخيل الاول بالاضافة الى أنها إضافة إلى أعباء الزوج البهيمي الذي لا يستحق منذ ارتكاب تلك الزلة أية رعاية ولا أيـــة رحمة

أحيانـًا يكون تصرف الزوج طائشًا من حيث يرمي بزوجته الاولى وبأبنائها – إن كانوا – الى خارج البيت ولا يأخذ بأية نصيحة أو مخاصمة أو حتى مقاومة ، ويأتي بالزوجة الثانية على سبيل التجديد والتنويع وإرضاء الشهوة البهيمية وقد يتمادى بثالثة وحتى برابعة إلا أن هذه التصرفات ليست بمتداولة ولا معمول بها عند ذوي الاصول الطيبة وأصحاب المروءة والخائفين مـــن الله ومـــن عذاب الضمير ووخزاته إلا أنها على كل حال كانت موجودة

المشكل الصعب الذي يقدم عند حدوث مثل هذا المشكل هو أن الزوجة المنبوذة تجد نفسها مسوقة الى بيت والديها مرة أخرى حاملة أعباء الخسران على كتفيها وفي صميم قلبها لواعـــج الخيبة والمرارة واليأس وتتعقد الامور إذا كان بيت الوالدين فاقداً احدى الدعامتين الام أو الاب وعندئذ تصير المطرودة عبئـًا حقيقيـًا على أمها الارملة أو على زوجة أبيها التي تضيق بها من أول ليلة ومن أولادها من الساعات الاولى ، والا فإنها تحمل نفسها حملا لتنزل بعبئها الثقيل على أسرة أخيها أو أختها ويزيد الموقف تعقداً عندما يضيق المكان لا عن استقبال المرأة وأولادها ولكن عن استقبال مفروشاتها ولوازمها التي كانت لها في بيت الزوجية وقد لا تقف المشاكل عند حد بل تتعداها الى اضطرار الاهل أو الاقارب الى الوقوف نيابة عنها – لدى المحاكم الشرعية ليتصارعوا في مشكل لا يد لهم فيه بل لا رغبة لهم فيه أيضًا

ان سيف الطلاق كان دائمًا مصلتـًا على رأس الزوجة المغلوبة على أمرها وغير المغلوبة لأنه في يد الزوج يستعمله برعونة متى

شاء حتى في نقاش مع المتعاملين معه أو مع أصحابه حول طاولة الورق "الكارطة" ففجأة يحلف بالطلاق ثلاثًا ويحنث عندئذ يحجم عن الرجوع الى منزله الى زوجته وأولاده الذين هم في انتظاره ويبعث اليهم بالصدمة الصاعقة يبعث إليهم بوثيقة الطلاق

وبهذا تنقلب أحوال الزوجة رأسًا على عقب وتحل بها نكبة النكبات قد يكون رد الفعل عليها انتحارا ً أو مرضًا مزمنًا يؤدي الى الموت أو انحراف عن الجادة وتحل بالجميع ـ أقارب وأباعد ـ نكبة تتنغص معها الحياة في كل الايام العادية والسعيدة عند الناس لكم يجني الظالمون على البرآء !

7 ـ الاولاد ، الاحتفاء بهم

النسل مسألة حيوية بالنسبة للاسرة المغربية حتى أن بعض النساء والرجال اذا لم ينسلوا يموتون كمداً واذا عاشوا فإنهم يعيشون في كدر دائم ولو أنك أعطيت للرجل امرأة بارعة الجمال لا تلد فإنه يفضل عليها الدميمة التي تلد والطريف انه بعد انجاب الابناء يتطلع الى الحسناء وقد يسلم من أجلها في الاولاد !

لهذا إذا ما تأخرت ظواهر الحمل على العروس الجديدة فإن نساء الاسرتين تقوم قيامتهن ويتم الاتصال المستمر بـ "العشابات" وبالقابلات بتوالي القروء ويتركز العلاج على المسخنات الخارجية والداخلية والتدفئة الجيدة على الفراش ثم تناول افراخ الحمام والدجاج مطبوخة بعدة أبازير وعقاقير وأعشاب وحتى ببعض بقايا الحشرات والهوام كلما كان الاكثار من هذا كان مفيداً ويستمر هذا الى أن تصير الزوجة منهوكة زائغة العينين مروعة الفؤاد وعندئذ تعم الفرحة ، ويحس رب البيت أنه صار رب البيت فعلاً !

وتقوم الحماة ، أو الام نفسها بدور الخادمة كاملاً ، لتأخذ المتوحمة راحتها كاملة ويوتى لها بكل ما يخطر على البال لتأكله والويل للجميع اذا اشتهت شيئاً بعيد المنال كأن تعض ذراع حماتها مثلا ولو أن الحماة مستعدة لهذه التضحية في سبيل "ولي عهد" ابنها العزيز وبالمناسبة تعطي تنبيهات للجالسين والجالسات كباراً وصغاراً أن يتجنبوا ذكر كل ما يشتهى من المأكولات والمشروبات والا كان لزوماً أن يحضر ذلك الشيء المشتهى كما أنه يمنع على المتوحمة أن تنظر الى أي وجه دميم أو أية صورة بشعة ويفضل لها أن تجالس الملاح والمليحات والظرفاء والظريفات من أطفال العائلة

ويمنع عليها أيضًا أن تقلد أصوات الحيوانات كمواء قطة أو صداح ديك ، أو أصواتًا غير منطوقة كنحنحة الحمو العزيز أو زعقات "دادة مسعودة" كما يمنع عنها أن ترى شيئًا من الاشياء وتحك في نفس الوقت جزءاً من جسدها كأن ترى زيتونة وتحك خدها فإن المولود أو المولودة يخرج الى الدنيا وعلى خده علامة في حجم زيتونة غير مملحة طبعًا

وتمر الاسابيع الاربعون أو نحوها ثقيلة بكل ما في كلمة الثقل من معنى من حيث ينتفخ بطن المرأة قليلاً قليلاً وتتاقل في أول الامر في حركاتها ثم تتثقل هذه الحركات بالفعل ويضمحل تناسق القوام ولطف الحركة ، ويغيض رونق الشباب وتحل الصفرة مكان التورد وتزيغ العيون عن نظراتها الثابتة البراقة وعند هذا يبدأ التخمين هل سيكون المولود ذكراً أم أنثى ؟ فالشائع بين النساء انه إذا ازدهى جمال الحامل وكان حملها غير ثقيل العبء فالمولود المنتظر سيكون ذكرا ، وإذا فقدت الام الحامل الكثير من حيويتها وخفة حركاتها وزال البعض من شعر حواجبها وأهدابها وانتفخت أجزاء من جسدها فالجنين المنتظر على الترجيح أنثى المسكينة الانثى بوادر قدومها أحيانًا غير باعثة على الاستبشار والسرور اللهم الا اذا صارت عروسًا حلـــوة !

وتنصرف الام على حساب الاب طبعًا ـ لتوفير الالبسة المتعددة الاشكال والالوان ولتوفير قطع القماط وتطريزها ولتوفــير البخور العادي والثمين نفقات كل هذا على الوالد إذ المولود البكر تجهيزه هو أيضًا على الاب إذ ما زال الحساب لم يصف معه بعد وقد تكون الام مغالبة فتطلب بإعداد نوعين من التجهيز نوع للمولود إذا كان ذكراً ونوع له إذا ما كان أنثى ويشترى الوالد ـ زيادة على هذا ـ كبشًا أقرن يتكلف ـ اذا استطاع ـ بعلفــه وتسمينه للمناسبة

وتأخذ امرأة معينة في التردد على البيت مصطنعة مظاهر الخبرة العميقة والمقدرة الوافية وتحضر هي نفسها حفلة اعداد "الطبق" بإحدى الزوايا وغالبًا ما تكون زاوية الشيخ عبد القادر الجيلاني من حيث ترتب على هذا (الطبق) قطع القماط المطرزة وغير المطرزة واحقاق البخور وقنينات الدهون والموسى التي تقطع بها السرة وهذه تخفى عن عيني الحامل المتوجسة التي تـرى وكأنها تحت طائلة انتظار رهيب خصوصًا وأنها تعرف ان هناك أربـع حالات منتظرة اما أن تكون الولادة طبيعية فتخرج الام ويخرج الجنين من المحنة بسلام واما ـ والعياذ بالله ـ ان يولد المولود وتموت الام أو أن تعيش هي ويموت هو أو أن يموتا معًا والحمد لله على أن الواقعة الاولى هي الاكثر حصولاً وبنسبة عالية بفضل الله ومع ذلك فالتخوف لا يفتأ مخيمًا وعلى الجميع

وتستدعي القابلة وهي في أي وقت من الليل أو النهار على أتم استعداد وتبادر فتجلس بين يدي المرأة التي تكون تتلوى من الالم وتأمرها بصرامة أن تتعلق بعمامة زوجها أو أبيها ـ المدلاة من أعلى ـ تعلقًا متينًا وان تكف عن كل صراخ وعويل وان تكتفي بقول "ياربي والنبي" ، ويطلق البخور خانقًا ، وعلى تصاعده تأخذ الحاضرات، وفي مقدمتهن القابلة في المناداة على الاولياء "بادر بادر آمولاي عبد القادر" "ياسيدي بوسرغين فك النفيسة في الحين" ويستجاب الدعاء فتسمع صرخة جبارة من الوالدة يعقبها صراخ لطيف وصياح متوال وتتحسس القابلة ما تحت السرة وتهتف "صلوا على النبي صلوا على النبي وليد تبارك الله والصلاة على النبي" وتطلقها النساء ثلاث زغردات متابعات فيهتز الاب طربًا ويكاد يقتحم المجلس النسوي اقتحامًا كيف لا وقد بشر بولد ...!

ان لم يكن هذا فإن القابلة تهمس "صلوا على النبي قولوا هنية على الفكاك يالالا فاطمة الزهراء" وهنـــا يعرف الجميع أن

المزدادة بنت وهنا تطلق زغردة واحدة مشبوهة بحشرجة وينقلب الاب المنتظر فارحًا بالفكاك ويستوي على فراشه آخذاً قسطًا من الراحة وفي الواقع ليدبر أمره مع هذه الوليدة من الآن فهو يعرف أن رعاية البيت مهمة موضوعة على العاتـــق من المهد الى اللحــد !

8 ـ العقيقة وحفلاتها

تاتي الزائرات مساء يوم الولادة للتهنئة بـ "الفكاك" وتقدم لهن أكواب الشاي و "بعارد" من السويق و "البعرود" هو قبضة من السويق في حجم أكبر من البيضة والسويق المغربي يصنع من القمح والحمص وبذور الدلاح التي قليت على نار قليلة ثم طحنت بعد خلطها ببعض التوابل والاعشاب مثل النافع والزعتر وبعد الغربلة يوضع المسحوق الفواح ويعجن فقط بسائل السمن والعسل أو يذاب السكر ويعطى اطفال الزائرين وحدات من بيض الدجاج استجلابا لرضاهم أو لدعائهم الصغير

واذا كان الوليد أو الوليدة في رعاية تامة واحتياط من كل ضرر فإن من الامهات الوالدات من تحرص على ألا تقدم طفلها لأي كان خوفا عليه من ضربات "العين" ويعتذر بأنه نائم أو بأنها نائمة وإذا كان لا مفر من هذا التقديم ان الرجال يأخذون الطفل بالاحضان ويهمسون في أذنه الصغيرة بكلمات الاذان كلها أما النساء فيجب عليهن وجوبا أن يكثرن من الصلاة على النبي ، وإلا أطلقت مجامر عامرة "بالشب والحرمل" في حضورهن أو اثر خروجهن وتبقى النفساء ملازمة للفراش لا تغادره لاي سبب من الاسباب حتى لو كان قاهرا ويوتى لها وهي في هذا الفراش بمأكولات ومشهيات ومقويات وهكذا تنزل في اليوم السادس من الولادة وهي في حالة طيبة وتؤخذ من ظهر يومها ذاك الى الحمام العمومي محفوفة بالعزيزات وبالنكافات الواتي يحملن الشموع بين يديها وهي داخله الى مغتسلها والمكان يضج من حولها من الاهازيج والزغاريد ويعجل برجوعها الى مسكنها خوفا عليها من الانهاك وتقدم لها مشهيات

بيضة مسلوقة مرق فرخ الحمام أو الدجاج وقليل من اللوز المقلي أو المحمر وبعض الفواكه إن كان الابان إبانها وتأخذ قسطًا من الراحة في انتظار سهرة (الحنة)

وليلة الحنة مشهودة ، تدعى لها القريبات المقربات من حيث تتناول كل واحدة آلة للضرب وتساهم في الغناء بدون انقطاع وتنصب منصة للام النفساء وتتولى إذاك العارفات تخضيب كفيها وقدميها دون برقشة وقد يقدم الوليد على الام خصوصًا إذا كان ذكراً أو من أب شريف النسب وهذا الاخير يطاف به وبأمه في باحة الدار وسط أهازيج يهتز لها الحي

وعند الصباح تبدأ وليمة العقيقة ولا يحضرها إلا الاخصاء والاعزاء من الاقارب والمعارف ويقدم للحاضرين طعام الافطار كاملاً وفخمًا حريرة ممتازة ، وتمور مختارة وقطع من الخبز الابيض الصقيل ويردف ذلك بكؤوس القهوة المقطرة الممتازة مع ملفوفات محشوة بخليط مسحوق اللوز مع المشهيات المعطرة ثم يتبع هذا بكؤوس الشاي الممتاز كذلك يعد بيد إختصاصي في اعداد الشاي مع حلويات مناسبة وغالبًا ما يكون الحفل المصغر صامتًا وإلا فبعض الامداح والاذكار ثم يقوم جل الحاضرين ويحتلقون حول الذبيحة التي تذبح ويذكر عند ذبحها اسم الله طبعًا ثم اسم الوليد أو الوليدة وإذا كان رب الدار يعمل بنصائح النساء فإنه يرمي بقبضة من الملح عند رقبة الكبش مقاومة ودفعًا للعيون الشريرة وللشياطين في نفس الوقت في هذا الحين يصدح المكان بزغاريد النساء وصلواتن على النبي "العاشقين في النبي صلوا عليه" فيكون الرد زغاريد تلو الزغاريد والضرب على الدفوف والتعاريج ويقوى هذا ويشتد اذا كان رب الدار وربتها محبوبين جدا لدى أقاربهما وعندئذ يكون اظهار الفرح عربونًا عما يكنونه في صدورهم ويمر النهار هكذا في فرح محصور في النطاق العائلي وفي نفس الوقت تكون الاستعدادات لليلة العقيقة

ومستوى حفلة العقيقة تتوقف على امكانات رب الدار ومساهمات الاقارب الادنين كالاب أو الاخ أو العم الذين قد يساهمون جماعة أو أفرادا في ازدهار الحفل وإحيائه ، وإدخال السرور على قريبهم العزيز تقدم الاطعمة والفواكه ثم تقدم كؤوس الشاي على نغمات الطرب الاندلسي أو طرب الملحون أو إنشاد المسمعين أو تهويمات أصحاب طريقة أو أهازيج الاقارب أنفسهم إذا وجدوا فراغاً وآنسوا من أنفسهم الحيوية والانشراح هناك قد يضربون ، أو يعزفون إذا كانوا يحسنون العزف أو على الاقل يملأون المكان نكتاً وتمثيلاً وأخباراً مضحكة

المهم أن تمضي الليلة زاهرة كبداية لحياة سعيدة يمرح فيها الطفل ويسعد باستمرار

والغد يكون خاصاً بالافراح النسوية من حيث تتوافد النسوة الاخريات القريبات فيأكلن هنيئاً ويشربن مريئاً ثم يحتلقن حول جوقة الشيخة وهي جوقة نسوية يحسن أفرادها العزف على الآلات الوترية وغيرها وتحفظ رئيستها عدة قصائد من الملحون وتبرع صغراهن في الرقص والطريف ان هذه الجوقة تستخلص أجرتها من الحاضرات من حيث تقدم كل حاضرة قدراً من الدراهم ابتداء من ربة المنزل والمقربات منها ويكون القدر تنازلياً وعند تقديم كل قدر ينادى على مقدمته وينوه بها ويدعى لها وتتابع الادوار وتقوم عند اقتراب النهاية الراقصة ، ذات القوام الممشوق غير النحيف وتبدأ في أداء الرقصات وطريقتها أن تقف عند كل واحدة من الحاضرات بنفس الترتيب وتهز أمامها أكتافها وصدرها ووسطها ولا تفارقها إلا إذا أثبتت في حزامها ورقة مالية ومن شدة الحاح هذه الراقصة أنها ترقص حتى للطفلات الصغيرات طمعاً في وريقات أمهاتهن المالية

والواقع أن هذه تكلفة للحاضرات ولكنها أيضاً مساعدة لربة المنزل إذ من الصعب ملء حضن "الشيخة" قائدة الجوقة بكل تلك الاوراق المالية كما أنه من الصعب أن يتحمل رب البيت تكاليف الحفل كلها لو لم تكن مساهمات الاقارب هذا بكبش وذاك بكيس

دقيف ، وذاك الآخر بعدة قوالب السكر وبأرطال من الشاي وأحياناً تتكفل أخت أو خالة أو عمة بصنع حلويات الحفل كلها وتحملها الى مكان الحفل في الوقت المناسب هذا بالاضافة الى أن جل الحاضرات يضعن في كف الوليد الصغير هدية نقدية تحوزها الام شاكرة ، وتعدها من بعد لتعيدها في مناسبة مماثلة في الايام المقبلة ويعد ذلك نوعاً من التعاضد الجميل ويزيده جمالا اذا كان غير مرهق وغـير مفروض

ومن طريف ما يذكر أن وجبة مشهورة تتصل بهذه المناسبة ويحرص الكثيرون والكثيرات على أكلها والتلذذ بها وحتى ولو لم يكونوا من المستدعين والمستدعيات فانهم يرغبون في تذوقها تلك هي "قلية السابع" والقلية (بتشديد الياء) عبارة عن كبد ورئتي الكبش المذبوح في العقيقة وما معها من الامعاء والمصارين والمعدة من حيث تقطع تقطيعاً وتخلط بالتوابل خصوصاً منها الفلفل الحار وتصـب عليها زيت الزيتون ولهذا عند الطبخ تشم لها رائحـة تحـرك شهيات الشرهين والشرهات

هـذا ويؤتـى للطفـل الوليـد عـلى الفـور بالمهـد وهو شبيه بفلك غير مذبذب الرأسين فبمجرد رضاع الطفل وهو في كل الاحوال لا يحرم ثدي أمه يرفع إلى المهد ليحرك به أماماً وخلفاً إلى أن ينام وما أعذبه نائماً فوق هذه الآلة المتحركة

وما دمنا ناتي على ذكـر بعض الطرائف فإن بعض الامهات الشابات يكن ذوات أثداء صغيرة رؤوسها ضامرة ولا حل لهذا المشكل الا بأن تبرزه لبعض الاولادوالبنات ليتمكنوا بمصهم العتيد من ابراز الرأسين وبهذا تخف محاولات الوليد الشاقة ...! شيء آخر طريف هو أن المرضعة الشابة إذا كانت بصدد إرضاع طفلها فإنها تضع فوق ثديها الصغير الفتي منديلا مطرزاً إخفاء له عن الاعين الفضولية حتى عيون الزوج نفسه وبعد شهور تمتلئ هذه المرضعة بالتسامـح

فيتمكن الجميع من رؤيتها وهي ترضع بل لعــل المنظــر يكتسي ـ عندئذ ـ طابعًا من الجلال الذي يدفع كل شوائـــب الرداءة ويصل الامر ببعض النساء ، المرضعات أن يسرن ويقمن ويجلسن وأطواقهن مفتحة على مصراعيها يبرز منها ما يبرز من غير تحرج أو تخــوف أو تضايق

9 ـ حفيلات متلاحقة في حياة الطفل

الحقيقة أن الطفل يمثل عامل سعادة وانسجام وتفاؤل في حياة الاسرة وكل الآباء الطيبين يفرحون بازدياد المواليد أو على الاقل لا يتضايقون بهم اذ أن كل مولود برزقه ولم يخلقه الله ليضيعه ويتوسم بعض الآباء في ولادة أحد أبنائهم أو احدى بناتهم خيراً ويتوقعون افتتاح أبواب الرزق وليس من قبيل اللاوعي أن يسموا الطفل عبد الرزاق وعبد الغني وعبد الحنين وعبد العاطي وأن يسموا البنت رحمة وراضية وهنية

وأخشى ما يخشى الوالدان اصابة العين والمرض ولاتقاء ضربات العين يلصقون بشعر رأس الطفل كفاً ذهبية صغيرة الحجم جدا ، ويعلقون في الطوق صريرة تحتوي على سبع حبات من (النافع) أو من الحرمل أو الملح كما يستكتبون أحد الكتبة ججاباً وقد يستكتبون طفلا دون البلوغ آية الكرسي ويعلقونها على الطفل واذا كان الاب مستطيعاً فإنه يوصي الصائغ بأن يصوغ لابنه "تهليلا" وهو عبارة عن علبة مجوفة ، تفتح من فوق بواسطة غطاء ذي سكة ، ويوضع في داخل "التهليل" نسخة من "الحصن الحصين" أو من "دليل الخيرات" الحجم الصغير و "التهليل" اما من الفضة الخالصة أو من الفضة المطعمة بالذهب ويتطلب حمالةحريرية يعلق بها على الكتف الايسر وتحرص الامهات على أن يكون في لباس من الالبسة خمسة أزرار أو خمس دوائر أو نحوها عند تطريز الكسوة الخارجية التي كانت تعرف بـ "الجوخة" وهي لباس من ثوب "المبر" بتشديد الباء ذو أكمام حتى الكف انما طوقه مفتوح حتى الاسفل ومطرز من الجانبين وعند القفا

وقد يبلغ الاعتزاز بالطفل الى حد أن يوصى له عند مختلف

الخياطين بلباس مصغر يشبه تماماً ألبسة الكبار كما يشترى لـه طربوش بحجم رأسه و "بلغة" بحجم قدميه كذلك وما كل هذا السخاء الا بقصد إعطاء الطفل شعوراً بالرجولة باكراً وبخلافة الاب عند الاقتضاء وبقصد الايحاء للاقارب والاباعد ان الوليد في مستـوى الاعزاز الكبير وكما يفعل الاب بابنه كذلك تفعل الام بابنتها

ولا يتوقف الامر عند الاعتناء الزائد بالملبس والمطعم والمشرب بل يتعداه الى عدم إفلات الفرص التي جرت العادة للاحتفاء بالطفل وإحاطته بالعناية وتركيز الانظار حوله ، وذلك ضمن الحفيلات المصغرة التي تقام في نطاق عائلي ضيق جدا فالحلاقة الاولى للولد أو البنت يدعى لها الحلاق الى البيت ويستعمل لأول مرة المقص أو الموسى في رأس الطفل مبللاً الرأس الصغير بماء الورد المقطر أو ماء الزهر وربما يستخدم مقص وموسى جديدين كذلك يحتفظ بهما الاب بعد ذلك مع الشعر المقصوص المحلوق وتحرص الام وتحض الاب أن يحتفظ على العادة المعمول بها أباً عن جد. وذلك امـا بحلق جانب من الرأس من جميع الجهات بقدر نصف سنتيم واما بترك عرف في الوسط من القفا الى المقدمة ثم ترك دائرتين من الجهتين اليمنى واليسرى لتستطيلا وتصيرا ضفيرتين تضفر معهما الخيوط المرصعة بحبات المرجان والزمرد وقطع العمـلات الذهبية واما أن يحلق الرأس كله ولا تترك سوى دائرة في قـمة الـرأس لتصير هي أيضاً "كطاية" مضفرة ومرصعة ! وتقام بهذه المناسبـة حفلـة شاي للاقارب جداً وغالباً ما تقام هذه الحفلة في الشهور الاولـى بعد الولادة

ويأخذ الطفل في الحركة ويأبى أن يستقر في مكان ويوشك أحياناً أن يؤذي نفسه ولذلك يوصي الاب أحد المعلمين النجارين ليصنع لابنه كرسياً خصوصياً ويتقبل المعلم المواصفة فإما كرسي خشبي بسيط وإما كرسي مبطن المسند والمتكأيـن بثوب المبـر

المثبت بالمسامير النحاسية وبهذا وذاك لا ينسى الصانع ان يفتح في المقعد فتحة تسع آنية صغيرة يجلس عليها الطفل وقتاً طويلاً وتحفظ ملابسه وملابس غيره والارض من التلوث وتقام في يوم "الكلاس" أو الجلوس الاول حفيلة مصغرة ويوزع فيها مشهيات على الاطفال بهذه المناسبة

عمليتان جراحيتان تجريان بعد هذا ، بوقت يقصر أو يطول ، ثقب الاذنين بالنسبة للبنت وهذا لا يعبأ به كثيراً أما عملية الختان فهي مهمة ، بالغة الاهمية ، وتجرى على طريقتين ، فاما أن تستعد العائلة ليوم معين ، من حيث يكون احتفال يتناسب ومقدرة رب العائلة ، واما أن يحتال قريب أو تحتال قريبة وتستعد خفية بمسكنها ، وتاتي في حالة عادية وتمضي مع العائلة وقتاً وبواسطة الاغراء تجعل الطفل يرغب في مصاحبتها ، وهناك تجرى عملية الختان

وعملية الختان في كلتا الحالتين مسبوقة بتخضيب كفي وقدمي المختون ، وبتكحيل عينيه وبتعصيب الجبين بعصابة مضمخة بالزعفران وبتطويق الكعب اليمنى بخيط نظمت فيه حبات المرجان والقطع المعدنية الثمينة ، مع لبس الجديد أكيدا ويؤخذ الطفل الصغير الساذج الذي لا يعرف ماذا سيفعل به ، وعندئذ يتلقفه مساعد الحلاق ، اذ الحلاق هو الخاتن نفسه ويرفعه عن الارض جاعلا يديه الصغيرتين تحت ركبتيه الفتيتين وبذلك ينفتح الصغير كلية أمام الحجام الخاتن وبعد تمهيدات موجعة يخرج مقصه الحاد من تحت ركبته ويقطع ، وتفور الدماء فيلف الصغير تماماً ويسلم لذويه وتكون حفلة للرجال وأخرى للنساء حسب المستطاع قد تتوسع حتى تصير بمثابة عقيقة جديدة ، وقد تختصر الى حد حضور عدد محدود

وتعتبر عملية الختان ، التي تجرى في الغالب ، بعد أن يصير الطفل واعياً تعتبر أول اجراء دام موجع في حياة هذا المخلوق ، تقوم – من جرائه – في النفس الصغيرة تساؤلات عن الاسباب والدواعي

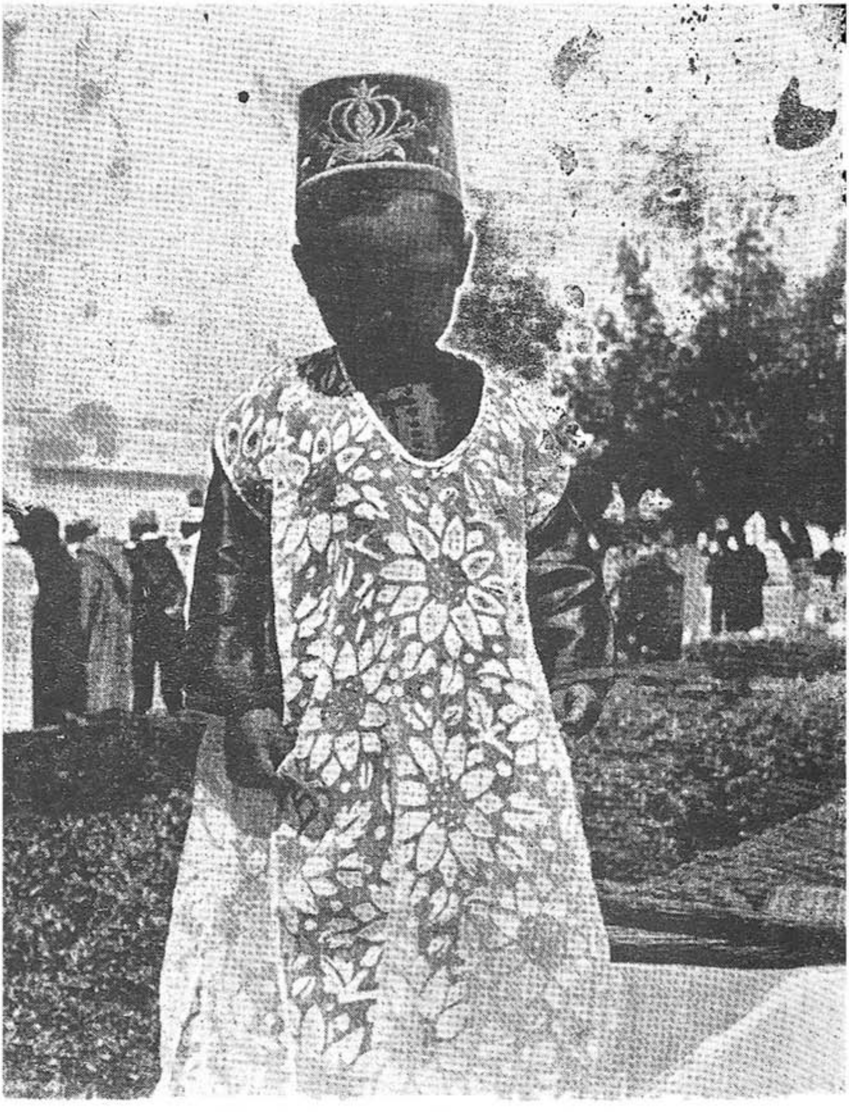

طفل في لباس الختان   والحفل قائم

لكل هذا ، وتنبثق مشاعر بسيطة توحي بأن الدخول الى معترك الحياة تترتب عنه أعباء وتبعات ، قد تقضي في بعض الاحيان أن يقدم الابوان الام والاب ، ابنهما ـ عن طيب خاطر ـ الى مصاعب غير هينة

وتبقى المسافة والمدة في طول كبير بين هذه الحفيلات العائلية وبين الاحتفال بتزويج الطفل الذي يصير شاباً قواماً ولذلك تغتنم فرص الدراسة ، وهكذا يلحق الطفل حتى قبل ختانه ، وهو السن الرابعة، بأحد الكتاتيب والكتاتيب عادة تقتنص الفرص للاحتفال بالمراحل الدراسية التي يقطعها الطفل وكل احتفال يسمى "حذقة" الاولى حذقة "الحمد" ثم حذقة "سبح" وتليها حذقة "تبارك" ثم حذقة "الرحمن" وهي فخمة وتقدم فيها الوجبات الغذائية وقد يركب فيها التلميذ على جواد ، ويطاف به في البلدة تحت دقات الطبول وصداح المزامير ، ويسير زملاؤه في ركابه ، وهو يحمل اللوحة التي يدرس فيها وهي مزخرفة ، ويتلقى الفقيه هدية ثمينة من الاب ، أب الولد الحاذق وتختم الحذقات بحذقة جامعة هي تخريج (السلكة) أي حفظ الستين حزباً ، التي هي مجموع أجزاء القرآن وقد يقام حفل يتناسب وسن الفتى من حيث تكون حفلة السماع أو نحوها وتوزع الصدقات والهدايا

10 ـ تنشئة الاطفال وتعليمهم

أشرت فيما سبق الى قليل من أساليب أخذ الآباء لأبنائهم وهنا لابد من بعض التفاصيل ان الطابع العام لاسلوب تربية الاولاد وهنا لابد من بعض التفاصل ان الطابع العام لاسلوب تربية الاولاد على الخصوص هو الحزم فكما أن آباءهم أخذوهم بالحزم فهم كذلك يأخذون به أبناءهم وقد يصل الحد الى الصرامة والقسوة وقد ينزل الى حد الملاينة واطلاق الحبل على الغارب خصوصًا إذا كان الطفل وحيد أبويه أو كان الاب لين الجانب الى أقصى حد ان الآباء كانوا لا يستندون على معلومات تربوية وأساليب نفسانية ولو بصورة اجمالية ، ولكنهم يستندون الى ما تواطأ عليه المجتمع من خلال الحديث المتداول ومن خلال ضرب الامثال وكلها ليست سائرة مع أسلوب ملاينة الطفل

ـ الفكوسة من الصغر تتعواج
ـ اللي ربى أولادو انكى حسادو
ـ أولاد لفشوش تيخرجوا حلوية !

ومجال الطفل لا يخرج عن مكانين الكتاب أو محل عمل الأب فهو ملازم للكتاب أمام المذرر من الصباح حتى العشية وطيلة خمسة أيام من أيام الاسبوع أما اذا كانت العشية طويلة فما تبقى منها يقضى مع الاب كما يقضى معه يومي الخميس والجمعة

والابن يصحب أباه الى متجره إذا كان تاجرا أو يصحبه الى مصنعه اذا كان صانعًا نجارا مثلا أو حائكًا أو خياطًا خصوصًا اذا كان الاب راضيًا عن حرفته ويراها مربحة له ولاولاده من بعده لهذا هو يحرص على مصاحبتهم وتعريفهم بأسرارها عن طريق الممارسة والاحتكاك وبذلك يتفرع عن المتجر الواحد متجرين أو أكثر وعن المصنع الواحد مصنعين أو عدة مصانع وقد يكون الاب متعلق القلب

احدى الدفعات الاولى من الطلبة المغاربة ، الذين ناضلوا من أجل استقلال بلادهم ، ولما تحقق الاستقلال تحملوا مسؤولية التسيير ، وبذلك لم يحدث فراغ خطير ، كما كان يؤمل الاستعماريون

بعمل آخر ، ود لو كان هو نفسه يتعاطاه لذلك يوجه ابنه الى قريب ليأخذ منه مبادئ الحرفة ، فكم رأينا من والد يتعاطى حرفة النجارة يوجه ابنه الى حرفة البستنة التي تمنح الرزق والعافية أو أب بستاني مل أتعاب الارض وقساوة الطقس دفع بابنه الى تعاطي التجارة الراحة والنظافة والرزق المستور أما اذا كان الاب يتعاطى حرفة شاقة كالبناءة والحدادة وصناعة الحصر فإنه يفضل أن يترك ابنه في المنزل يضايق والدته ويزعجها أو يتركه عـرض الشارع يضـر ويتضرر يؤذيهم ويؤذونه في انتظار مخرج أحسن

وحلم كل الآباء ان يكون لهم ابن فقيه أو يحتل مكانه عالم انه مجرد حلم إذ الواصلون الى هذا المستوى عددهم لا يكاد يذكر بسبب عقم طريقة التدريس ، وصعوبتها ، وطول مدتها ، وضرورة توفـر الاسباب المادية بصورة كافية

ان حفظ القرآن ثم حفظ المتون بالكتاب غير محدد في مدته فهو قد يستغرق ست أو سبع سنوات من حيث يحفظ الطفل السلكة وهو ابن اثنتى عشرة سنة أو لا "يخرج" الا بعد ثمانية عشر عاماً أو لا يستطيع ذلك مطلقاً ، إذا لم تسعفه حافظة جبارة إذ هي وحدها التي تقيه من صرامة وقساوة تسلط المذرر ومن جهة أخرى تمكنه من الاستظهار المتين الواعي وفي المراحل الاخيرة يضيف "الطالب" الى حفظ القرآن مع قواعد التجويد حفظ بعض المتون في مقدمتها منظومة ابن عاشر ومتن الاجرومية وقصيدة البردة ، وبحفظ هذه وأمثالها يأخذ في التردد على حلقات الدروس الحرة بالمساجد فعن طريق منظومة ابن عاشر يعرف مبادئ التوحيد وأبواباً من الفقه ، وعن طريق الاجرومية يعرف مبادئ ضبط قواعد اللغة وعن طريق البردة يدرس السيرة النبوية ، وتأخذ معارف الناشئ النحوية في التوسع وقد تكون له ميول أدبية فيعمد الى الحفظ والمدارسة والمجالسة ومحاولـة قرض الشعر أما إذا كانت له موهبة في الحساب وغيره من العلـوم

العقلية فإنه لا يجد دجالا ، وانما يكتفي بمداعبة العمليات الاربع وما يتصل بها من موازين وذلك بالاحتكاك مع من لهم خبرة في الحساب وفنونه .

وبالتنقل بين حلقات الدروس في المساجد أو في الجوامع المختصة بالدروس غير النظامية تتضح الطريق أمام الطالب فإما انصراف عن العلم واما اقبال عليه كلية ، وذلك بتلقي دروس منظمة حسب المقرر وحسب الاسلاك المتتابعة وهذا لا يتيسر الا في احدى الجامعات الدينية بفاس أو مراكش أو تارودانت أو مكناس أو تطوان أو بالرحيل الصعب الى جامع الزيتونة بتونس أو جامع الازهر في القاهرة وهكذا تبدأ رحلة الحياة الدراسة التي قد تطول سنواتها ان كتب النجاح والتوفيق ، بعدها يرجع الشاب عالماً ، حاملاً للشهادة العالمية ، ويا ما أشد اعتزاز الآباء وافتخارهم بهذا "النجم اللامع في سماء العائلة" !

مما يستحق الذكر والتأكيد ان آباء آخرين كانت لهم نظرة غير هذه ، نظرة يمكن أن نعتبرها واقعية ، اذ هم بعد التقدير والتدبير وبعد أن تركوا العواطف والتغلغل الديني جانباً ولو كانوا من علماء الدين وفقهائه قرروا أن يأخذ أبناؤهم دراسة متينة عصرية وبلغة اجنبية بكل ما يتصل بهذه اللغة من تأثيرات في الوجدان والعقلية والميول يقيناً منهم أن ابنهم لن يكون معاصراً ومسايراً للتطورات الا اذا سار في طريق تعلم اللغة الاجنبية لأنه بها وحدها يصير الابن مهندساً أو طبيباً أو صيدلياً أو أستاذاً متخصصاً في العلوم الحديثة ولا ينكر ان بعض الآباء بقوا متأرجحين بين هذه النظرية الواقعية وتلك النظرة العاطفية وفضل البعض السير في طريق اللغة القومية مخالفاً في ذلك اصدقاءه وأحباءه وحتى الافاضل منهم الذين يعجب بهم من أهل الصلاح والعلم ولم يجد اقتناعاً مع نفسه ليقتدي بهم ويرسل أبناءه لمدارس يعلم فيها النصارى والنصرانيات !

وأسعد الحظ بظهور حل وسط لهذا المشكل اذ قام بعض المصلحين والوطنيين بتأسيس مدارس حرة ، يدرس فيها القرآن الكريم والمعارف الدينية بطريقة عصرية مركزة وواضحة وتدرس علوم اللغة مدعمة بعدة مواد تعد تطبيقية لها كالتلاوة والمحفوظة وتدرس العلوم الاجتماعية النافعة الخالية من الدس العامرة بكل ما من شأنه أن يعلي الشعور الوطني والقومي والديني ويتسامى به ، كما تدرس ـ جهد المستطاع ـ العلوم العصرية والرياضيات وجمع هذا المخطط حوله جماعات من أبناء ذوي الغيرة والطموح ، واجتذب كذلك تلاميذ المدارس التي أسسها الاجانب ، وبذلك ضرب هؤلاء عصفورين بحجر واحد كما يمثل اما كيف كان يتم التوفيق بين الاعمال بين هذه المؤسسات وتلك فهو استغلال عطلة الاحد التي لم تكن عطلة رسميـة للمدارس الحرة واستغلال العطل الدورية والعطل الصيفية التي لم يكن معمولا بها حينئذ

وعلى ذكر العطل والرحلات والتفسحات لم يكن جل الاولاد يتمتعون بشيء من ذلك فمنطلقهم محصور في الدروب والاحياء المجاورة يجرون ويلعبون ويمرحون والذين يشبون منهم قليـلا يأخذون في الطواف حول أطراف المدينة وقلما يتيسر لهم السفر الى مدن أخرى انما قد تسنح فرص للخروج في نزهات عائلية وهذا ما سنشير اليه من بعد

ومن المفيد ان نشير الى الالعاب التي كان يلهو بها الصبيان في هذه المرحلة وهي ألعاب تبدأ في المنزل مع الاخوان والاخوات من حيث يلهون مشتركين بلعب العرائس وبتأسيس بيوت لهم من القصب والعلب والخرق أو بصنع فرن ومطبخ ويضيق الاولاد وقد أخذوا يكبرون بهذه اللعب التافهة فيخرجون الى الدرب ليلاعبوا أقرانهم لعبة "البي" وهي تتطلب مهارة في احكام الصراع بواسطة الكويرات والمهارة تركز بين ابهام اليمنى وسبابتها واختيار الزاوية المناسبة لضرب الكويرة الهدف وهناك لعبة الخذروف وهو يبدأ

عند المبتدئين بسيطًا ، ثم يتطور زخرفة وصنعة ، ليصير سيد الخداريف وأشدها إحكامًا ، وقد ينفلق الخدروف الموضوع كهدف الى نصفين من شدة الضربة النازلة والمهرة في هذه اللعبة يبقي الخدروف يدور أمامهم دورات عدة وقد يرفعونه بخفة الى وسط الكف ثم يحولونه الى الكف الآخر وقد يجعلون من رأسه الحديدي وسيلــة لابعاد أو تقريب الدوائر الصغيرة الجلدية هناك لعبة يمانع فيها الآباء

وهم غالبًا ممانعون في الالعاب الخارجية تلك هي لعبة "المقلاع" من حيث يتتبعون العصافير ويصوبون الحجيرات ويرمونها فتسقط مترنحة مدماة

هناك ألعاب بلا وسائل كالجري ، والمسابقة ، والتخفي ، و (سب سبوت) ، أي تخطي الواحد لظهر الآخر وهو منحن ، وقد يتطور الحماس الى مشاجرات ومصارعات عنيفة دامية وياما ترتب عن بعضهــا من أعطاب .

أما اللعب العصرية كنماذج السيارات والبواخر والبنادق فقــد كانت تصل هي وغيرها الى أيدي الاطفال انما بمناسبة يوم عاشوراء ، وبها استبدلوا اللعب البسيطة التي كانت تصنع من الخزف الهش

11 ـ المنازل ومرافقها :

لا حاجة الى وصف القصور التي يسكنها الموسرون من افـــراد مجتمعنا ذلك لأنه لا حد لمساحتها وتصميماتها وزخرفتها وتجهيزها بالمرافق غير المعتادة كالرياض والابهاء والشرفات المطلة عـلى البساتين أو البحر أو مجرى النهر أو نحو ذلك انما المهم ان نصف منازل الطبقة المتوسطة مع العلم ان دور الطبقة الفقيرة ليست الا صورة مصغرة لهذه ، وقد تكون بسيطة الى حد أن تشبه الاكواخ

ان الدور ـ قبل أن يدخلها التطور ـ كانت توجد ضمن أحياء كل حي يحمل اسماً معيناً ، اسم قبيلة أو مجموعة نازحة من الاندلس أو من احدى المناطق المغربية أو اسم لا يعرف له أصل مثل حي **"البليدة" و "بوطويل" ، بالاضافة الى اسم "زناتة" و "تحت الحمام"** و "السويقة" و "الشرفا" والحي يشتمل عـلـى دروب والدروب بعضها مستقيم ومتسع نسبياً وبعضها ملتو وضيق ، يكفي أن أحدها مثلاً يسمى "سبع تلاوي" ، وقد تعلو الجدران من الجانبين فيقل نور الشمس ، بل قد يمتد سقف أو سقوف بين الجدار والجدار المقابل له فيشتد ظلام الدرب بالنهار وسبب وجود هذه السقوف أو "الصابات" بتخفيف البناء ، ان بعض العائلات تسكن متقابلة ، ولكي يسهل الاتصال خصوصاً بين النساء تبنى هذه الممرات العلوية

ويظهر المنزل من الخارج منغلقاً على نفسه مسدود النوافذ بالمصاريع دائماً أو في الغالب فالفتحات المتراكبـة "السكليرة" ـ بتشديد اللام المكسورة ـ تكفي لادخال الهواء وتجديده اما فتح المصاريع فلا ضرورة له ، خشية تطلع الفضوليين أو اطلال بعض النزقات من بنات الدار ويطرق الباب بواسطة دقاقة ، ذات أشكال مختلفة ، اما من صنع أحد الحدادين المتفننين أو من النوع المصبوب على شكل كف تشد أصابعها على كويرة حديدية تضرب على كرة أخرى تحتها مثبتة في الباب فيكون القرع

ومن الطريف أن طرق الباب يختلف بين الرجال والنساء ، فهو عند

الاولين قوي وعادي وهو عند الاخريات خفيف وبنقرات تبدأ مسموعة ثم تاخذ في الخفوت وغالباً ما تستدل ربات المنازل على قدوم الزائرات غير القريبات فتقوم عندئذ حركة سريعة لازالة ما يشمئز منه النظر والا لزمت ساكنة الدار الصمت المطبق ، الى أن تنصرف الزائرة القادمة ظناً منها أن ساكنات الدار غير موجودات !

وعند فتح الباب الذي يكون مغلقاً بـ "زكرون" يجد الداخل امامه دهليزاً مستقيماً أو ذا انحراف ومن المفضل أن يكون ذا انحراف لئلا يبصر المارون اذا فتح الباب ما هو موجود في باحة الدار من نساء وأشياء ويفضي الدهليز الى فناء متسع أو ضيق وكلما اتسع الفناء دل على مكانة سكان الدار ووجاهة مالكها وهذا الفناء كان يبلط بالبلاط ثم يجير بين الحين والحين خصوصاً بمناسبة الاعياد من حيث يرى وبياضه يخطف الابصار ولكن ارباب المنازل ، بالحاح من نسائهم ورغبة في توفير الجهود وتسهيل النظافة أخذوا يرخمون الباحات بالرخام الملون البهيج وقد يضيفون الى ذلك تزليج الجدران المحيطة الى حد ارتفاع متر أو متر وزيادة ، وأثناء ذلك قد يرتأون الابقاء على ما في الفناء من أشجار مثمرة ومن حياض مزهرة أو يفضلون ازالة ذلك وقد يعوضون بتركيب نافورة ترسل عند الاقتضاء مياهها في فضاء فيكون المنظر جميلا وجالباً للنسمات الرطبة في نفس الوقت

ربما تمتد يد الاصلاح والترميم الى مصاريع الحجرات البالية التي تكون عادة ثقيلة لا تفتح ولا تغلق الا ببعض الصعوبة لتعوض بمصاريع أجمل شكلاً وألطف صناعة تتحرك على "بيزاكرات" حديدية عصرية وتغلق بواسطة أقفال و "زكارين" لطيفة الشكل لا تتجاوز حجم الكف، وبسبب لطافتها لا يبخل عليها أرباب الدار بالصباغة الجيدة بين الحين والحين وتبديل الالوان كلما ملت الاعين اللون السابق .

وعند الخروج من الدهليز الى باحة الدار يوجد على يمين الداخل

أو قبالته الحجرة الرئيسية وهي طويلة وضيقة عشرة أمتار طـولا على سبيل المثال في مترين ونصف أو ثلاثة أمتار عرضاً وبجانبها حجرة أصغر منها ثم ثالثة ولكل حجرة نافذتان متجاورتان مع الباب، وعليهما شبابيك من الحديد المزخرف عدا المصاريع الخارجيـة ذات "السكليرة" والمصاريع الداخلية ذات الزجاج الملون وكل النوافذ تفتح صباحاً بقصد التهوية ودخول الشمس أما بالليل فكلها يحكم إغلاقها كما يحكم اغلاق الباب ولا تبقى الا "الشماسة" أعلى الباب وهي حجرة سبق تخريمها عن طريق الزخرفة ومن خلال هذه الثقوب وحدها يدخل الهواء بالليل ، وهو قليل ، ولهذا ، يفضل النوم خارج هذه الحجرات بالصيف حتى بباحة المنزل أو بالطبقة العلوية التي سنتحدث عنها بعد قليل والحجرة الكبيرة تضم فراشين ، أحدهما على اليمين والآخر على اليسار ، والفراش المختار للنوم ، تسدل عليه الستائر من الجهات الاربع على النائمين فلكأنهما في حجرة مستقلة داخل الحجرة الكبيرة خلوة لطيفة ودافئة خصوصاً أيام البرد !

ونظرا لأن أثاث الحجرة كله ثقيل بفرشه ولحفه و "طوابلـه" و "ناموسياته" فإن عمليات التنظيف صعبة وكبيرة العبء ولا تتيسر دائماً وانما مرة أو مرتين فيالسنة عند اقتراب الاعياد أو عند اقتراب مناسبة من المناسبات العائلية

تبقى الجهة الرابعة من المنزل وهذه تبقى غالباً كجدار يغطى بالزخرفة والزليج وقد يلصق به صهريج لطيف يملأ بالماء ويوضع فيه السمك الملون ، ويحاط بانواع الزهور والرياحين في مغارسها ، ومن خلف هذا الجدار يكون مطبخ الدار وهو مكان فسيح قد يستخدم كمكان لتناول الغذاء ولهذا المطبخ عادة بابان ، باب محاذ لمدخل الدار منه ينسل حامل المؤونة من الباب الى المطبخ دون ان يراه أحد من الضيوف ، اذ كان بالدار ضيوف وباب ثان يؤدي الى باحة المنزل ومن هذا الباب تحمل صحون الاطعمة الى الحجرة المليئة بالضيوف أو بأفراد العائلة المحتلقين حول المائدة

وعلى عكس الدور القديمة التي كان يحفر فيها البئـر وسط الباحة ، نقل المجددون البئر الى داخل المطبخ وبجانبه "المطفية" وهي حفرة مكعبة تصب فيها مياه الامطار التي تنزل عـلى السطوح ومنها تتسرب اليها عبر قواديس محكمة الصنع مثبتة داخل الجدران ومياه المطافئ طبعاً أعذب من مياه الآبار ومع ذلك فهي لا تشرب الا عند الضرورة اذ هي لا تستعمل الا في التصبين ولو لم توجد هذه المياه لاضطر رب البيت الى الاستعانة بالمياه العمومية من الخارج التي يحملها القراب

وبما أن الفحم الخشبي لا يستعمل الا لطبـخ الوجبات الغذائية العادية ، فان استعمال الحطب في بعض الوجبات كالكسكس والحريرة يكون مفيدا واقتصادياً ولهذا ينشأ أرباب الاسر المجددون مداخن تثبت فوق المجامر وتنفذ حتى السطح كما أن بعضهم يستغل مكاناً مناسباً داخل هذا المطبخ لكون حمام الدار قد يكون حماماً مصغراً للحمامات العمومية وقد يكون مثل الحمامات العصريـة الموجودة بالمساكن الاروبية

هذا عن الطبقة الارضية أو السلفية أما الطبقة العلويـة فهي شبيهة بالطبقة الارضية بحجراتها ومرافقها الا أن بعض الحجرات قد يكون مدخلها من الجانب الضيق لا الواسع ، كما تكون لها نوافذ على طول الجدار وعندئذ تسمى (صالة) وهي أخف تجهيز من الحجرات السفلية ، وتستعمل للسهرات العائلية ، وللقاءات مع الاصحاب ، خصوصاً إذا كان رب الدار من هواة "لعب الورق" أو "الشطرنج" وإذا كان هناك عزاب ، فإنه تمنح لهم حجرة من هذه الحجرات العلوية أو تمنح الحجرات كلها ليبقى المسكن الاسفل بعيداً عن ضجيجهم وعبثهم ويزيد في تحقيق هذه العزلة وجود مطلع المسكن الاعلى في الدهليز أو قرب الباب بالذات

مكان وحيد تحرص عليه العائلة ، ربة الاسرة على الاخص هو "مخزن الدار" ، وهو حجرة متوسطة أو صغيرة حسنة التهوية ، تحفظ فيها مؤونة

السنة السمن العسل الخليع القمح الكسكس القطاني البصل والثوم وغير ذلك من المواد غير القابلة للفساد والتعفن كما تحفظ في هذا المخزن بعض اللوازم وبعض الاشياء الفاضلة عن الاستعمال وبعض أدوات العمل يستعملها رب الدار عند اجـــراء الاصلاحات الصغرى الطارئة

تبقى السطوح وهي متساوية أو يرتفع بعضها على البعض وتمثل متسعًا من الامكنة طافحًا بالانوار والاهوية الطلقة تمرح فيها نساء الدار وعذرواتها وبناتها ما شئن ان يمرحن ويتسلين وحرص الآباء شديد على ان يحيطوا سطوح المنزل بسور بارتفـــاع القامـــة وبذلك يصاب الفضوليون والفضوليات بحسرة وأسف لا حد لهما !

والواقع ان المنزل كان صغيرا" أو كبيرا" عتيقًا أو جديدا" هو مكان التجمع لاعضاء الاسرة فهو مركز الام الدائم وملتقى القريبات بين الحين والحين وهو مجمع الاولاد والبنات وعشهم الامين السعيد وأولا" وأخيرا" هو حصن الاب ومركز أمنه وأمانه ، ومستراحه من الاتعاب وعنوان كفاءته في التسيير والقوامة والسخاء وحسن الذوق

مصيبة تحيق بالمنزل إذا كانت ربة الدار متهاونـــة كسولا" مهذارا" قصيرة الذراع طويلة اللسان ان الجهود كل الجهود تضيع ويصبح المنزل بأوساخه وسوء نظامه واضطراب أحواله ونزق التصرفات فيه ، جحيما لا يطاق ، يفضل الاولاد النزوح عنه الى الدروب وينزوي الاب في ركن باحدى المقاهي يعب قهوته أو شايه ويدخن كيوفه ساخطًا على حالته حاسبًا الساعات والدقائق التي بقيت عليه ليكون مضطرا للرجوع الى بيته الكريه والى القائمة عليه بكل فشل وخيبـــة

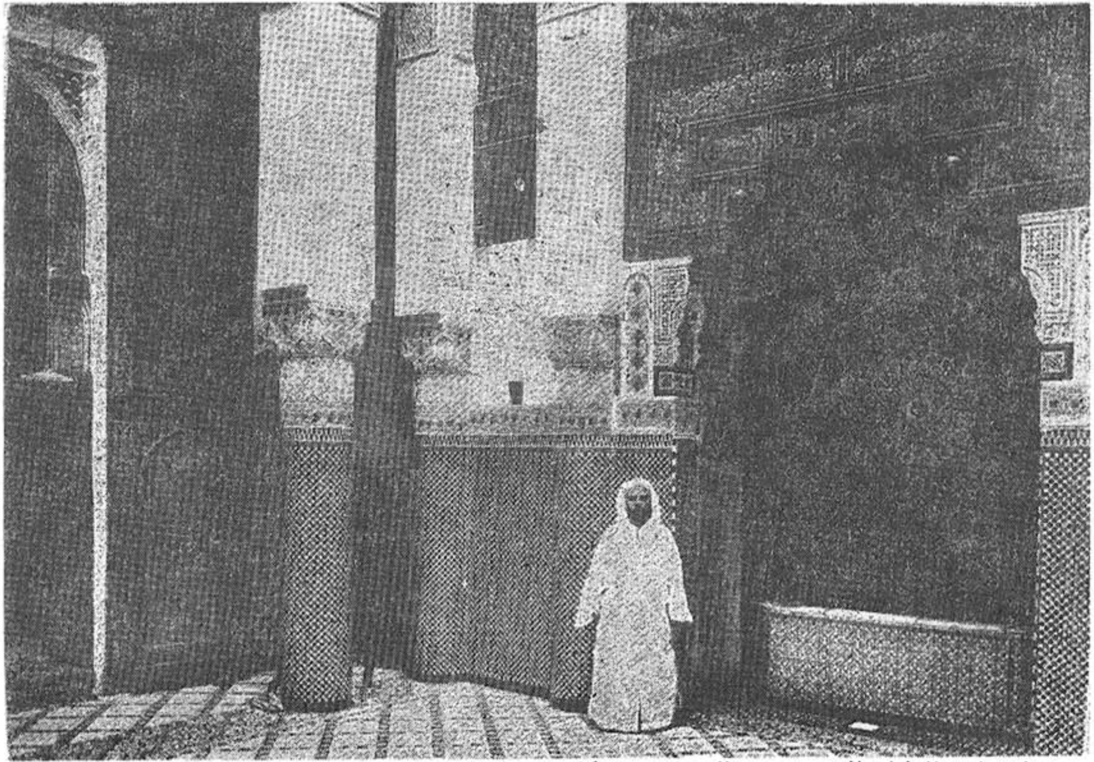

منزل على الطراز المغربي ـ الاندلسي ، كله زخارف ، ورب الدار الوجيه بلباسه القومي الحضري

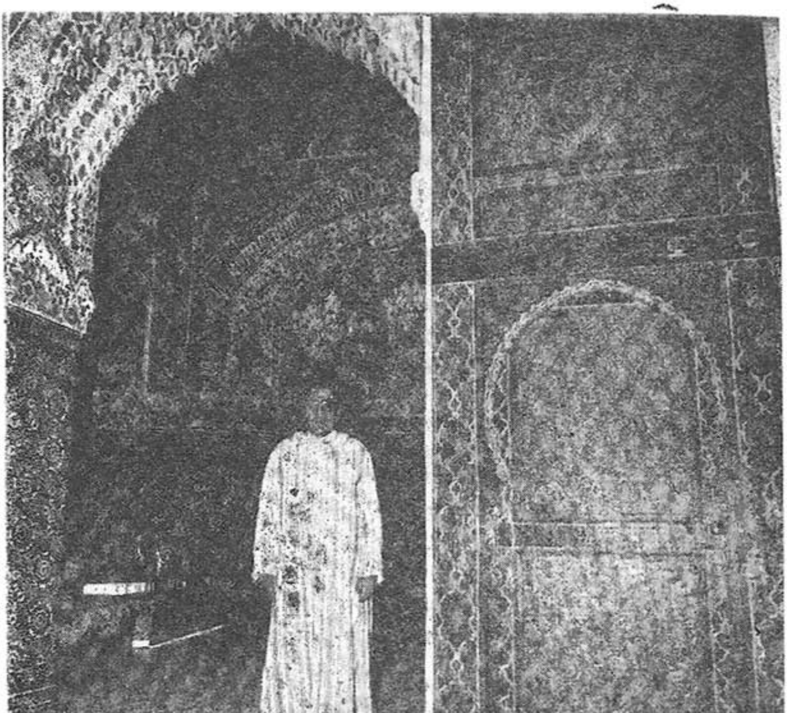

شاب مغربي في لباسه القومي الحضري الذي كان شائعاً في أواسط القرن الهجري ، وما زال موجوداً

مدينة سلا ، تمثل جيداً النمط المغربي للمدن العتيقة
دور متلاصقة وازقة ضيقة وابنية بيضاء وسطوح غير
متساوية ، ومسجد اعظم يتوسط البلدة ، أو في مكان بارز منها

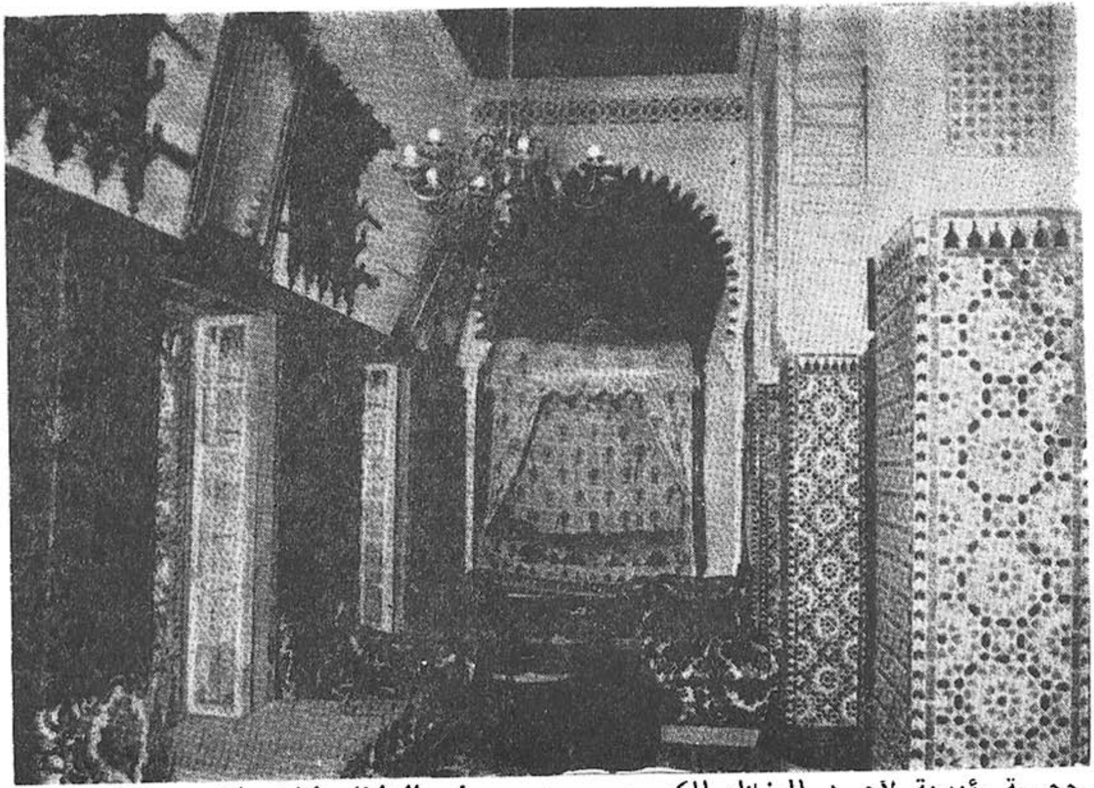

حجـرة رئيسية لاحـد المنازل الكبـرى ويـرى في **الداخل** فراش النوم الذي تتسدل عليه الستائر مـن الجهات الاربع لكأنه حجرة داخل حجرة

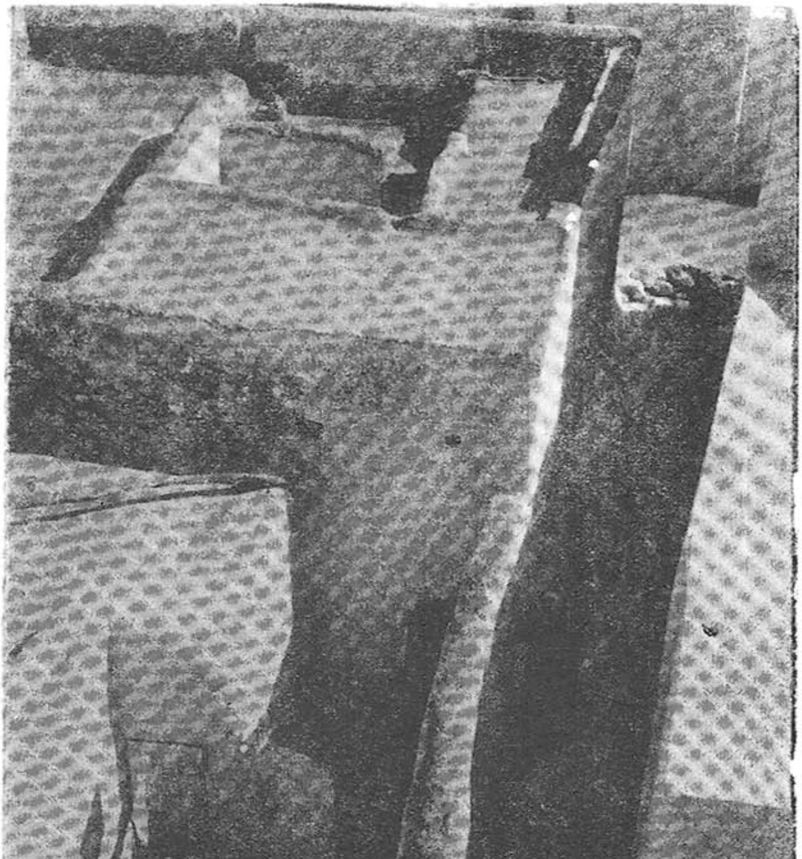

طرقت الباب ففتح الصغير لتدخل منزلاً بسيطاً جداً

12 ـ الضيافات العائلية

ان الاسر السعيدة المستقرة تتقلب في الهناءة وراحة البال وتسير فيها الامور بين الاب والام والاولاد والبنات سيراً منتظماً مستمراً شبيهاً بسير دواليب الساعة ولكن دوام الحال ولو كان كما ذكرنا يحتاج الى تبديل موقت في الوجوه وفي الامكنة

ولهذا تكون هناك استدعاءات من حيث تفد عائلة بجميع أفرادها على عائلة أخرى والمفضل أن تكون القرابة تامة لئلا تكون هناك موانع لظهور النساء للرجال ، وتكون الجلسات النهارية أو الليلية مشتركة والامر يتوقف على مقدار تسامح الرجال في هذه الزيارات وتفتحهم اذ البعض يتحرج حتى من أقرب الاقارب والبعض يفضل الاندماج وفتح الصدر والانغمار في جو الانس والمحبة والسرور التام

ويرتفع مستوى الوجبات الغذائية وتتعدد ويوضع على المائدة العامرة ما ليس معهوداً ان يوضع عليها من فواكه ونقل ومعسلات وفي العشية تخرج المجموعة الى فناء الدار الذي يفرش على أحسن حال وتوضع صينية الشاي ومعها العديد من المشهيات والحلويات وفي هذا الوقت تكون النساء على انفراد اذ الرجال في أعمالهم اليومية أو منصرفون عنها ومنعزلون عن الجميع في الطبقة العلوية من الدار للمذاكرة وتبادل الذكريات والنكات أو لعب الورق وهو أفضل تسلية لهم بينما النساء يطلبن إحضار آلة الحاكي ذي البوق الكبير المنفتح على الفضاء يبث الاغاني الشعبية المغربية والجزائرية والتونسية وهي المفضلة ، أو الاغاني الشرقية وتتولى احد الفتيات المولعات اثبات الاسطوانات الكبيرة الثقيلة من ذوات 78 لفة ومن شدة ولعها انها تساير كل مغن وكل مغنية في أغانيها ويبدو عليها التأثر بما تقول وبما تسمع وتشاركها قريباتها وبعض النسوة المنشرحات المتفتحات وبحلول الليل ترجع الآلة الى صاحبها أو ترفع الى الرجال في معتزلهم ليتسلوا هم أيضاً مع الاغاني الشرقية

المصرية والشامية ، وهم عندئذ أقل وقارا ً من النساء من حيث يهيجون مع الالحان والاقوال الى حد الصياح والتمايل وربما حتى القفـز وضرب الصدر !

في هذا الوقت تكون النسوة محتلقات حول احداهن وهي عادة تمتاز بوقارها ووجاهتها ولا يحتلقون الا ليتمتعوا بسماع القصة أو "الازلية" ويحسن الرجال صنعًا حين يبقون بعيدين فالمرأة بين النساء والفتيات تصرح بكلمات الغرام ومواقفـه وأعمالـه وتسمى الاشياء بأسمائها فينفجر الضحك من حولها انفجارا ً عاليًا وتتضرج وجوه الفتيات مما يسمعن ، وقد يفضلن القيام المفتعل لمداراة التأثر مختفيات وراء مباشرة عمل من الاعمال ثم يعدن سريعًا الى أمكنتهن الدافئة وبودهن كل الود ان يسمعن المزيد من ذلك فهو طريف وعجيب وغير معهود وربما يسمع لاول مرة

المفضل أن تقضي ثلاثة أيام في الضيافة لان "ضيافة النبي ثلاثة أيام" ولكن اذا ظهر أن الاعتزاز والشغف مستمران فإن المدة قد تصل الى سبعة أيام فاكثر فاللقاءات السعيدة معدودة في هذه الحياة وهي أحسن من لقاءات المناسبات كالافراح والمآتم التي لا يكون فيها اندماج روحي هكذا نظرا ً لتعدد الوجوه والالسن

وتغتنم فرصة مثل هذا اللقاء فتتبادل النسوة الاستشارات حول الملبوسات والمفروشات وانواع الطبخ وغير ذلك وقد تكشف للزائرات عـن مخبآتهـا الخاصـة أو مخبـآت بناتهـا العـذروات وهنا يقوم تنافس أو خوالج الغيرة أو وخـزات الحسد الموجعـة

قليلا من الاحيان تكون هذه الضيافات وبالا ً على رب الـدار المضيف أو الضيف نفسه بحيث تنقلب أحـوال النساء من هـذا الجانب أو ذاك بسبب الاخبار أو المعلومات التي يتناقلنها فاما أن ترى احداهن انها سيئة الحظ بالنسبة لغيرها أو أنها مهضومة الحقوق أو أنها في عشرة رجل غشيم وهكذا ياتى الضرر من حيث

كان يراد النفع   والمؤلم ان الامر قد يتطور الى منـازعات أو خصومات أو فراق   ما عدا إذا كانت ربة الدار رصينة وعاقلة فإنها تكتم مـا بنفسها   وتسعى في تحقيق مراداتها بكل لباقة وبكامل الصبر   ولا عليها ان اعترضتها صعوبات أو طال الامد   معتقدة بما يقول المثل "الحرة اذا صبرت   دارها عمرت"

13 ـ النزهات العائلية ومع الاصحاب

عدة عائلات وعدة طوائف من المجتمع كانوا يغتنمون حلول فصل الربيع فصل الاعتدال والازهار أو فصل الصيف فصل الحر والاثمار فيقومون بنزهات للرياض والبساتين والحدائق والجنائن أو حوالي بعض الاضرحة خارج المدينة

إن العائلات بقضها وقضيضها ـ كما يقال ـ كانت تتشوق الى مغادرة المنازل حيث يحصل الملل من طول المقام وتبذل المساعي تلو المساعي لدى رب الاسرة خصوصًا اذا كان في طبعه انقباض وفي تصرفاته صرامة ، وهو يداري ويسوف وأخيرا ، وفي لحظة انشراح يعلنها بشارة ، فتعم الفرحة الكبار والصغار وتقوم الام وبناتها للاستعدادات ويلهج الاطفال نهاراً ويحلمون ليلا بأيام النزهة خصوصًا إذا كان لهم خبرة بها سيعيشون أيامًا بين الخضرة والمياه وسيركبون الدواب ويراقبون الدواجن في خممها وسيرون الشمس رؤية العين وهي تغرب وقد يرونها وهي تشرق وسيأكلون الخضر والبقول طرية في أوج طراوتها ان خفية وان مع الجماعة وقد يأكلون الفواكه فور قطفها من الاشجار واثناء اشتداد الحر ، قد ينعمون بسباحة هنيئة في صهريج مكان النزهة إذا كان هناك صهريج بجانب هذا وتكميلاً له يتكرم صاحب المنتزه أو السكان المجاورون له بتقديم ذبيحة وتلك قمة الضيافة ومنتهى الاعتناء وتمضى أيام لا تقل عن أسبوع وقد تصل الى شهر ويرجع أهل البيت في غاية الحيوية والنشاط ، تعلو خدودهم حمرة وتكسو بشراتهم سمرة لطيفة وتغمرهم سعادة تمضي أيام النزهة وتبقى آثارها في النفوس لمدة أسابيع وحتى شهور !

قد يكون رب الدار من الذين لا يومنون بمبدإ الترويح عن النفس بالنسبة لافراد العائلة ولا يومن بها الا لنفسه ، عملاً بقول المجربين "أترك العيون مغمضة" وبالمثل القديم الذي يقول "ان للمرأة

خرجتين الاولى من بيت أبيها الى بيت زوجها والثانية من بيت زوجها الى القبر ....! فمن يضمن ان المرأة ـ وهي عنده ناقصة عقــل ـ ان عينيها لن تزوغا ، وانها لن تلتقي بمن يهمس لها بما يسوء من الاسرار والاخبار وانها في طريقها الى مكان النزهة وعند عودتها منها سترى غيرها من النساء في مظهر أحسن من مظهرها فما بالــك بدواخل الامور ...؟ لا لا الاولى ان تبقى المرأة في بيتها "فعز الخيول في مرابطها"

لهذا يفضل هذا الرجل ـ وأمثاله ـ يتنزه مع رفقائه رفقاء المهنة أو رفقاء الصبا أو رفقاء الهواية أو رفقاء الكيوف ان كان يتعاطى كيوفاً وقد تتسامى جماعة في غرضها من النزهة فيكون ذلك منها بمثابة تكريم لطلبة العلم أو رجال دراسة العلم ، أو الضيوف النازلون بمدينتهم من ذوي الفضل والمروءة يختارون المكان بستاناً كان أم ضيعة أم روضاً أو ضريحاً من الاضرحة الموجودة خارج المدينة وبعد الاتفاق مع المعنيين ، يحملون الامتعة والفرش والاثاث كما يحملون المواد كلها ثم يتهيأون لاستقبال الزوار الشرفيين ويوسعون لهم في المكان ويمهدون الفراش ويكون كل واحد في خدمتهم

أما اذا كانوا أقراناً ومتقاربي الامزجة فانهم يكونون في خدمة بعضهم البعض ، بكل استبشار وابتهاج وحسن استعداد كيف لا وقد جاء في الاثر "سيد الرجال خادمهم" أحياناً في نزهتهم لا يتوقفون لا على جزار ولا طباخ ولا محضر شاي ولا عازف ولا مغن يخدمون أنفسهم بأنفسهم في جميع هذه الشؤون

لهذا هم يحرصون عند تنظيم أية نزهة أو قبل الخروج أن يختاروا رفقاءهم اختياراً وأن يستبعدوا كل مجادل مناجز متكاسل قوال غير فعال وإذا كانوا قرناء في السن أو هواة فن من الفنون الشعبية أو لعبة من الالعاب المسلية فإنهم يفضلون أن يبقوا منسجمين لا يستدعون من لا يندمج معهم انهم يبتعدون عن أجوائهم العادية كلها ليعيشوا لحظات كاملة المتعة وعلى هواهم

من قبيل اطاعة الهوى نجد ان طائفة ، المتنزهين ، من عادتها الا تدخل أحداً في اعتبارها تستأنس بسهرة مع مجموعة "الشيخات"

وهي تتألف من جوقة كلها نسوة نسوة لسن بعيدات عن الشبهات ومن أجل ذلك لا يجدن غضاضة في انشاد قصائد الملحون الغزلية المكشوفة التعابير مع ما يصحب ذلك من اشارات وأقوال وغمزات ، وحركات تقابل بالصخب والانتشاء اللذين لاحد لهما كيف لا يكون هذا وقد غاب الحسيب والرقيب !

طائفة أخرى تستمع بمثل هذه الاغاني ولكن من أفواه شيوخ فالمتعة عندئذ في الاقوال والمعاني واللحن والايقاع بعيدا عن المهيجات التي تثيرها مجالسة النسوة

متعة آخرين في الاستماع الى (المسمعين) وهم يترنمون بالامداح النبوية والمقطوعات الصوفية وبأبيات من الغزل الرفيع فإذا كانوا من أتباع طريقة معينة ـ إنهم يقولون ما يقولون مصحوبين بالاتهم ، من طبول وتعاريج ومزامير وهنالك تنقلب الجلسة الى "حضرة" وبهذا الهيجان الصوفي ينسى القوم أتعاب الحياة وهموم الكسب والانفاق

قد تكون مجموعة المتنزهين من ذوى الاستطاعة وعندئذ يفضلون المجالسة والمؤانسة مع جوق الطرب الاندلسي وهو جوق أميل الى الارستقراطية ولو لم يكن رجاله من طبقتها يجلس في دائرة بكل وقار ويتناول الافراد آلاتهم في وقار كذلك ويبدأون العزف باتزان وانسجام ، ثم يسودهم حماس فني رائع ، خصوصاً اذا راق لهم المجلس ، ومالوا للجلساء ووجدوا من بينهم من يشاركهم الانشاد والاداء ولو بنقرات الكف ، ولاحظوا تنبها وتتبعاً من الجميع لهم وأحسن من هذا كله ، اذا كان المنظر بديعاً دوحات ملتفة وازهار متفتحة مدبلة رقراقة جارية شمس ذهبية موشكة على الغروب ، نسمات رخية منعشة أو ليل هادئ تجمله سماء مرصعة بالنجوم وبقمر صقيل مشع تراه ان كل فرد يكاد يخرج من ثيابه ويفقد اتزانه عازفاً ومنصتاً .وتلك

فرصة ممتعة تبقى اصداؤها وبقايا اصدائها في النفوس طيلة السنة أو أكثـــر

لا يخلو أن يوجد من بين المجتمعين أفراد يغلب على طبعهم انهم عمليون يستفيدون من كل ظرف سانح وهكذا تتم مذكرات تترتب عنها صفقات تجارية أو عمرانية أو صناعية أو تواعدات على أسفار أو حج بيت الله الحرام أو ربط مصاهرات أو غير هذا من الاعمال والروابط النافعة

وتنتهي الايام المحددة أو يزاد عليها قليلاً اذا كان الانسجام في أوجه ويعود الجميع الى البيوت ثم الى الاعمال في غايـــة الحيوية والنشاط وحسن الاستعداد

14 ـ الاسمار وتقصير الليل :

لست أدري إذا ما كان هناك شعب آخر يشبهنا في حب السهر و "تقصير الليل" كما يقال ، فهل هي عادة ورثناها عن الاندلس ، بعد أن تركنا ما تركنا في تلك الديار ؟ على كل حال ، هي عادة لا بأس بها إلا أنها ضارة عند المبالغة بلا شك وضررها سأوضحه من بعد

ان الآخذين لشؤون الحياة بجد من ارباب التجارة ومن الحرفيين يعتقدون في المثل الشائع الذي يقول "النواض بكري ، بالذهب مشري" والنهوض الباكر من النوم والذي هو في قيمة الذهب يتوقف على النوم الباكر لذلك نجد ان عامة الشعب تومن بالنوم الباكر وكان وقته محدداً عند الاجداد والآباء بما بعد صلاة العشاء مباشرة وهكذا كنا نرى جل المتاجر تفتح عند الشروق أو بعده بقليل ، وأصحابها في أتم عافية وحيوية ، كما نرى الحرفيين يتسابقون في الازقة والدروب ، بخطى متلاحقة نحو مصانع أو أوراش عملهم

لا يبقى من متعاطي السهر وعشاق تقصير الليل سوى أهل البطالة من الموسرين الذين تدر عليهم أملاكهم أو رساميلهم المستغلة أرباحاً مضمونة وكذلك الفتيان والشبان من أبنائهم أو من الابناء الذين ورثوا ميراثاً ينسيهم متاعب الحياة ومطالبها ، وكذلك ينضاف اليهم الصعاليك والمتعلقون بالغير الذين يستطيبون التقاط الفتات ولا يجدون مانعاً في مد الكف للاستجداء المقنع مقابل خدمات حايلة أو حقيرة يؤدونها لقرنائهم الاسياد أولئك الاسياد الذين لا يصدقون بخدماتهم وسخراتهم وتقرباتهم بل يستعذبون ما يوجهون اليهم من كلمات الاحتقار والسخرية والتنكيت اللاذع

قلما يكون هناك سمر حول أحاديث الادب ومطارحة الاشعار ، والاستماع الى القصائد المنشأة اذ أصحاب ذلك قليلون وهم غالباً يفضلون الاختلاء بانفسهم والابتعاد عن جو "القيل والقال فملائكة الشعر أو شياطينه تكفيهم بمؤانساتها ! انما السمر غالباً حول "لعبة

الورق" المستحوذة على العقول بأنواعها المتداولـة وان كانت لعبة "الروندا" شائعة بين المبتدئين وقليلي الخبرة فأما "التوتي" فلعبة النبهاء والحاذقين بصفة خاصة ويقبل اللاعبـون بشغف وحماس على أوراقهم ، ويوزعونها بينهم بلطف ولباقة ، وبتوالي الادوار يبدأ الجدل يسري بينهم ثم يتطور الى صراخ ، وينقلب الامر الى خصام جدي ، اذا كان هناك تدليس أو غش

والعجيب ان هذه اللعبة الحبيبة "الملعونة" التي تكسب أصدقاء ومعارف وتتيح الفرص لتبادل الرأي وعقد الصفقات وابرام ما يبرم وفسخ ما يفسخ هذه اللعبة نفسها تتسبب أحيانـاً في خصومات عاتية تنقطع معها الارحام أو تبتر صداقات عريقات بل يصل الامر اذاية الغير كتطليق الزوجة التي قـد تكـون أخت اللاعب المنافس !!

ينفر بعض العقلاء من أن ينقلب الانس الى جفـاء والتحالف الودي الى عداوة عميقة ولذلك يفضلون الاحتلاق حول أحد العازفين على العود ، والاستماع الى أغانيه أو ينصتون الى طرب الملحون أو الادوار الموسيقية الاندلسية المناسبة وهي متع أطيب عـلى النفس وأمنع لكل سوء تفاهم

طائفة أخرى يكون قوام سهرها هو تعاطي الكيوف ولا عليهم اذا كان معهم مؤنس أو لم يكن حضر المطرب أو غاب اذ كل تلك متع مكملة وغير أساسية فالاساس والمقوم هو تجرع الكيف

والكيف هو عبارة عن خليط من نباتين مخدرين (الكيف) و (طابة) الاول من أعراش جافة مستقيمة لونها ضارب للخضرة وطابة أوراق بذية اللون مجففة يؤتى بها ملفوفة ولها رائحة نفاذة وأهم مكان تستنبت فيه الاعشاب هي المناطق الجبلية الشمالية ، فمنتوجاتها من هذا أفضل منتوج

والمدخنون العاديون للكيف يشترون حاجتهم منه سرياً من أفراد

معينين يجلسون على أبواب المقاهي واما أهل الذوق فيفضلون أن يشتروا المادة الخام ويقومون هم أنفسهم بقصها وتصفيتها ومزجها بالاقدار المطلوبة وأصحاب السهر والسمر عادة لا يتعاطون الا هـذا النوع الممتاز من الكيف

قد يعمد خبير من بينهم لعجن المسحوق المخلوط بالعسل ويصنع منه كويرات يضعها في آنية بغاية التأنق ويأتي بها الى السهرة وهكذا يأكلون من (الحشيش) ويدخنون فترة من الليل دون أن يؤثر فيهم ذلك تأثيراً شديدا فهم يبقون مالكين لازمة أنفسهم بحكم العادة انما تتفتح أنفسهم بشكل أطيب وتنقلب ابتساماتهم التي عرفوا بها الى ضحكات وما أشد اغتباطهم وأصخب ضحكاتهم اذا ما حضر "غشيم" وتمكنوا من تحشيشه بإعطائه كويرات ودارت بالمسكين الدنيا ، واختلطت في عينيه الرؤى فراح يقول ما لا يقال ويضحك بلا موجب ويبكي بلا موجب كذلك ولربما يصل به الامر الى القيام بالافعال التي لا يقوم بها عاقل

وهؤلاء "المحششين" في أحوالهم العادية يبدأون سهرتهـم بترتيب أدوات الشاي كما ينبغي وعندما يعد هذا الشاي يبـدأ أحدهم بأن يملأ الانبوبة الخزفية المعقوفة بمسحوق الكيف ويشعل النار على مهل ثم يعب عبة واحدة ويسلم السبسي وهو القضيب القصير المجوف الذي أثبت في رأسه القطعة الخزفية المذكورة يسلمه للذي بجواره وهذا يعبه ويسلمه للثالث وهنا قد يصل وقد احترقت المسكة الموضوعة في الانبوبة فيفرغها ويملأها من صرته هو ويعب كما فعل الاول ويأخذ السبسي في الطواف وعندئذ يتبين بالتذوق أي الجلساء أحسن زادا من الكيف فيثنى عليه وعى مهارته وهذا كاف ليجعل صرته هي مطلب الجماعة كلها وتطول السهرة

أما ما يدور في السهرة نفسها فقد يكون كلاماً عادياً كأن يحكي أحدهم عما رآه اثناء تجوله في البلدة أو عند تردده على السوق أو عند مجالسة رفقاء المقهى والخبر ولو كان تافهاً فإنه يأخذ من

الجالسين كل الاهتمام عن وعي أو غير وعي ، المهم انهـم محدقون ومتتبعون للحركات والسكنات ، وترى أحدهم لا يكف عن ترديد عبارات مثل "سبحان الله العظيم" و "يا عجباً يا عجباً" وهـو يتبـادل الاحاديث السياسية فتارة يمجدون الوطنية والوطنيين وتارة يبدون التحفظ الكامل ولسانهم يردد "الله يهديهم" واذا ذكر "هتلر" فإنهم يطلقون ألسنتهم بالتمجيد والتنويه والتعظيم ويحلو لاحدهم أن يروي خبراً مثيراً عن هتلر هذا ، ويصوره كأسطورة من أساطير التاريخ وما ذلك الا لان هتلر عدو لليهود وعدو لفرنسا وكلهـم مؤذون ومميئون لأمة "مولاي محمد" واسم الله والنبي وفاطمة الزهراء في درجة من التبجيل لا تحد حتى انهم بعضهم ليرمي بالسبسي من يده ليمرر كفيه الاثنتين على وجهه بخشوع كما ان خوارق البطولة عند سيدنا علي وعند ـ رأس الغول ـ تقال وتعاد ولا يمل سماعها

ويطيب المجلس اذا كان أحد الجالسين ملماً بالقراءة مـن حيث يأخذ مجلداً من مجلدات الف ليلة وليلة الاربعة ويروح يحكي بحذاقة ومهارة وتعمق وتأثر لكم يضحكون حتى تدمع أعينهم من الضحك حين يعلن لهم بصراحة عما وقع بين البطلة والبطل من شؤون وشجون وعندما ياتي الذكر على الشاذين وأفعالهم الشاذة !

والمتسامرون ـ مهما كانت احوال وظروف سمرهم ـ لا يتجاوزون منتصف الليل وقد يتجاوزونه بقليل وفي مناسبة معـدودة يقومون الى بيوتهم بعد أن يصبح الصباح ، وتشيع أنوار الفجر

بعض المولعين بالسهر يوضع حد لعبثهم بأوقاتهم وصحتهم هكذا وذلك على أيدي زوجات صارمات أو زوجات لبقات ساحـرات الطريقة والاسلوب من حيث يتبين للراغب في السهر أن أويقات مع زوجته وبقربها ومعها أحسن من متع الدنيا كلها ، بما توفره من تسهيلات من حيث تقرب اليه حتى كيوفه وما يتصل بها من شاي ساخن أو بارد ، أو معطر بأنواع الاعشاب العطـرة التي تضاف ـ عنـد البعض من المتذوقين ـ الى الشاي عند الاعداد

بعد هذا ، نشير الى أن الاستعمار أسس أحياء ومجامع للدعارة تدخلها المومسات بكيفية مقننة كما يجري عليهن فحص طبي مرتين أو ثلاثة في الاسبوع وكانت تسمى الاماكن "بورذيلات" والدخول اليها مباح الا لنصغار والانصال هناك بالمقابل النقدي بعد الاستقلال أغلقت البورذيلات ولكن الدعارة السرية بقيت بدون ضبط ولا مراقبة صحية

الاطعمة ، والاشربة ، والالبسة

حاجة الانسان الى الطعام والشراب واللباس معروفة إنما درجة تقديمها وتفضيلها على بعضها هو المشكل فمن الناس من يهمه من الحياة ان يأكل ويشرب في بحبوحة عيش ولا يحرم نفسه من شيء ولا يتفوق الا اذا تفاقم مشكل صحته آخرون خبرو المثل القائل "كل التبن ودز عدوك مصبن" فهم يعطون للباس أهمية قصوى من حيث نوعية الثوب وتفصيله وخياطته سواء أكان الامر يتعلق بالرجل أم يتعلق بالمرأة

من المؤكد ان الطعام أشد ضرورة للانسان من اللباس بدليل أنه يمكن أن يبقى عارياً لمدة لا يستطيع أن يبقى فيها جائعاً فأحرى أن يبقى عطشاناً من أجل هذا سنقدم الحديث عن الطعام فالشراب ثم اللباس.

15 ـ الاطعمــــة :

في مقدمة الطعام الخبز ، وهو من القمح في الغالب لذلك يأتي لونه أسمر ، ومن شدة تعلق أفراد العائلة بخبز القمح ان عمليات اعداده تتحمل بصبر فالاب يذهب الى "الرحبة" ليكيل القمح بالجملة عولة للسنة كلها أو ما يكفي لمدة معينة أسبوعاً أو شهرا ويوضع في آلة تدعى (بوسيار) شبيهة جداً بالبنذير أي الدف انما به ثقوب كبيرة وعند التدوير والتحريك الجانبي تنزل الزوائد كلها كـما تتجمع بعض الاعشاب وغيرها في الوسط وبتلك العملية يسهل جدا تنقية الزرع من الحصى وغيره وبذلك يرفع الى الطاحونة وهذه الطاحونة كانت تتحرك بفضل جريان الماء أو بدوران الدابة حولها ولكن الطاحونة الآلية وفرت الجهود وبعد الطحن يعاد الدقيق الى المنزل من حيث ينخل ويغربل ففي الاولى تزال النخالة لتباع رخيصة الى الذين ينادون عليها بالابواب ، وبعد التنخيل تجرى الغربلة وبها يصفى الدقيق تصفية أحسن ، واذا أريد استخراج "السميد" فإنه لابد من استعمال (التقعيدة) وهذه لا يمر من ثقوبها الا الدقيق الابيض "السميد" الذي ياتي الخبز منه أبيض صقيلا

ويوضع الدقيق في الجفن أو "القصرية" من حيث توضـع عليه قليلا من الخميرة المحفوظة بعناية وقليلاً من الملح وقليلا من الماء الدافئ اذا كان الفصل بارداً وتأخذ القائمة بعملية العجن بتخليط الدقيق حتى يصير "عركة" وتمضى في دعكها فترة طويلة ثم تصنع كرات ثم توقف هذه الكرات إلى أن تصـير خبزات مستديـرة وتوضع على المائدة ثم تغطى جيداً الى أن تتخمر وهنا ياتي مساعد صاحب الفرن ، وهو صبي خائب يضرب به المثل في خيبته اذ أدنى درجات العمل ان يصير الولد "طراحاً" بتشديد الراء وتوكد الوصية يطرح الخبز في "بيت النار" على الجهة اليمنى لينضج عـلى مهل ما دامت النار الموقدة على اليسار

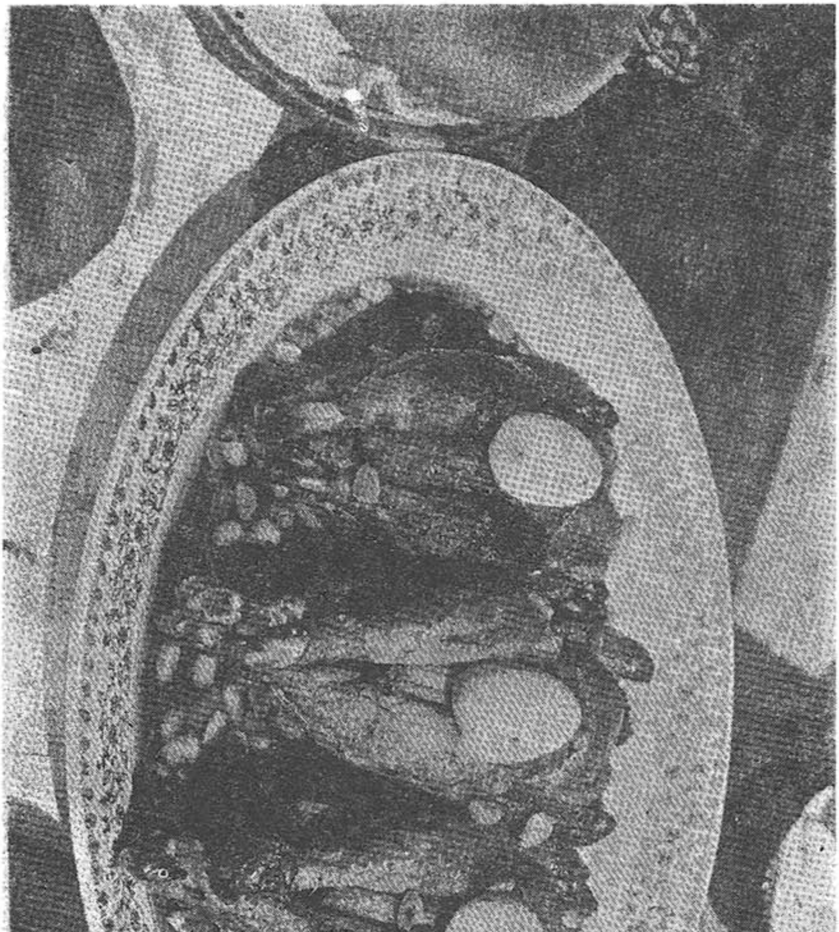

صحن دجاج مع اللوز والبيض محاطاً بالخبز المستدير
وجبة غذاء مغربية من الوجبات المشهورة

بعض الناس لا يجدون الدجاج فياكلون ـ هكذا ـ ما تيسر
ويشربون من الجرة

وطعام الافطار غالباً ما يشتمل على الحريرة خصوصاً اذا كان في العائلة صبيان كثيرون والحريرة تصنع بدقيق الشعير أو الذرة مع الحليب وقليل من السمن أو من دقيق القمح المخشن المعروف بـ "المفلق" والا فبالدقيق الابيض المصلح بالتوابل والطماطم وقطع اللحم ولها أسماء كثيرة "الحامضة" "بوفرتونة" وقد يشتمل طعام الافطار على وحدات من "السفنج" يؤتى بها من خارج البيت ويوضع عليها الزبد وهي ساخنة ، وتصحب بأكواب من الشاي الساخن جدا والا فإن صحن يذاب فيه الزبد وتفتح بيضات أسهل وجبة لطعام الافطار هناك ما هو أصعب وهو "الرغائف" وهي عجائن مرقرقة ومدهونة بالزبد أو الزيت ومنضجة على النار أو محمولة في حجم كبير الى الفرن في ذلك الصباح الباكر وكيفما كانت الوجبة ، فالمغاربة يعطونها أهمية كبيرة ، خصوصاً النساء اللواتي قد يستأنسن فيها حتى ببعض الجارات ،

ويكون حولها حديث طريف مسل ما دامت الدار عندئذ خالية من المضايقين الرجال والاولاد !

وجبة الغذاء عامرة عادة وهي اما كسكس أو طاجين أو مقليات أو مشويات فالكسكس الغذاء التاريخي المغربي الاصيل لا يحتاج الى تفصيل ويكاد يكون هو وجبة الغذاء يوم الجمعة بكيفية منتظمة ويذكر أن أهل الحاضرة مثل أهل البادية يأكلونه مع اللحوم ـ لحوم الضأن أو الدجاج) مع الخضر المتنوعة خصوصاً القرع بانواعه والبطاطا الحلوة والجزر والحمص ومن المستطاب أن تكون هناك فضلة من المرق فالآكلون يريدون أن يتلذذوا باللقيمات وان يتعاونوا على بلعها (بالحغيمات) أي الجعرات الحضريون يستبدلون الخضر مع الكسكس بقلدط "التفاية" وقوامها البصل الابيض والزبيب المصلحين بأنواع من التوابل مع العقاقير الزعفران والابزار والقرفة والقرنفل والجوزة والمصطكى ، يضاف الى ذلك السكر الاسمر وهو أولى من الابيض ويطبخ كل ذلك على نار قوية ثم هينة ليستوى معسلا

تأتي مسألة الطاجين وهو الوجبة الغالبة ولذلك يكون الاختيار اليومي فيها محيراً لحم ضأن أو لحم بقر أم لحم دجاج أم لحم سمك والخضرة المصاحبة اما الطماطم أو البطاطس أو الملوخية أو البطاطا الحلوة ، أو البصل مع الزبيب أو اللوبيا أو الارز أو غير ذلك وإما أن يستغنى عن الخضر مطلقاً ويكتفى باللحم مجزأ فيكون هو (المغذور) أو يفرم فرماً وهو الكفتة وبين الحين والحين يأتي رب الدار برأس كبش أو قوائمه أو محتويات بطنه وهنا تتفنن ربة الدار تفنناً لا حد له في اعداد وجبة من هذه الاشياء حريصة على أن تبرهن عن مهارتها والمقليات التي كانت معروفة من قبل هي السمك خصوصاً منه نوع الشابل في موسمه ــ بين أوائل الخريف وأوائــــل الربيع ــ وعلامات ذلك عند ربات البيوت بين ظهور الباذنجان وظهور الورد ! وكذلك نوع (الشرغو) ، ونوع (البوري) ، والذرعي ولا يستطيبون غير ذلك من الاسماك ، ولكن تبين بعد الاتصال بالاجانب أن "البارجو" و "الميرلا" و "الصول" و "الطون" هي أيضاً أنواع طيبة وسائغة يضاف الى هذا المقليات النباتية وهي على الاخص الباذنجان والقرع البلدى ، والفلفل الحلو تبقى المشويات وهذه يحتفى بها احتفاء خاصاً فهي قليلة التداول خصوصاً فى بيت كثير الافراد ولكن اذا أحضر الوالد كبداً مع شحم أو لحماً فتياً أو كفتة جيدة فإن الاولاد يحتلقون حول الوالدة وهي تسفد ثم تضع السفافيد على المجمر المشتعل فتفوح الرائحة الى ابعد مكان وتدغدغ خياشيم الجالسين فما بالك بالجيران البعيدين وتتناول هذه الام كل واحد سفوداً مشحوناً فيدسه فى ربع خبزته ويروح يتلذذ آكلا وديــن اللقمة يتجرع جرعات ساخنة اما الوالد ــ ذو الامتياز ــ فقد يتأتى أن يطفئ حرارة لحوم السفافيد فى صحن ملىء بالزبد الطرى الذائب ولا يهمه أن يضايقه المتجرئون من أولاده على هــذا الصحن أيضاً

وإن كان بوده أن تزاحمه ربة الدار وحدها وكفى بها مزاحمة !

لا تكاد مائدة تخلو من القطاني مطبوخة بعناية واتقان خصوصاً

العدس والحمص ويزاد عليها الارز والفـداوش وهناك "شربـة البيصارة" الشهيرة

كما أن بعض الموائد لا تخلو من طبخات البقول، مثل الرجـلة صيفاً والبقولة والسلق شتاء وربيعاً

ووجبة الغذاء لا تخلو من شهيات كالزياتين والفلافل والحامض المصبر وكذلك من الخضر المخللة والفلفلة وكل هـذا يثيـر الشهيـة

وجبة العشاء عادة كانت خفيفة (السفة) بتشديد الفاء وهي كسكس أبيض بلا لحم ولا خضر انما بالزبد والحليب أو الارز المطبوخ بالحليب أو بالمرق المتوبل ، أو بقية الطعام التي فضلت عن الغذاء الا أن بعض أرباب الاسر كانوا يحرصون على أكل الكسكس كل ليلة ولهم فيه منافع ترضي رجولتهم ! وأكثر من هذا أن الآباء الموسرين بعض اليسر كانوا يفضلون وجبة كاملة كوجبة الغذاء ، أعني أن يكون العشاء بالطاجين

ولا حاجة الى التفصيل في الحديث عن العصرونية فهي كانت تخص الاطفال وحدهم انما كانت تقدم لهم كسرات من الخبز مع كؤوس من الشاي البارد وتكرماً يضاف الى ذلك زيتونات أو قطعة صغيرة من الزبد ما عدا اذا كان الولد مدللاً وعزيزاً على أمـه فإنه يأكل ما يشاء الى حد أن يفضل على غير من الصبيان !

وعرف المجتمع القديم أنواعاً من المصبرات غير المعلبة طبعاً وأساس التصبير هو التمليح والتجفيف بواسطة حرارة الشمس فلحم الغنم مع بعض العظام يجفف بعد التمليح ثم يطبـخ في زيت الزيتون مع الشحم بنسب معينة فيكون مصبر "المقيلة" ولحم البقر والجمال بدون عظام يملح ويعرض لحرارة الشمس مدة ثم يطبخ مع زيت الزيتون وشحم البقر الخالص بنسبة يغلب فيها الشحم وهذا

مصبر "الخليع" وهو لفصل الشتاء البارد من أعز وألذ ما يؤكل أما السمن فما هو الا الزبد المستخلص من لبن البقر خاصة ، وبعد غسله جيدا يخلط بقدر معين من الملح وبذلك يصير سمناً مملحاً يؤكل وحده عند الافطار أو يصلح به بعض الطعام ، وعلى الاخص منه الكسكس ... ويفضل البعض ألا يحفظ الزبد مملحاً دائما مذاباً

16 ـ الاشربـــــة :

أما الاشربة ففي طليعتها ـ طبعاً ـ الماء وقد كان يحمل من السقايات العمومية أو من العيون إذا كانت قريبــة أو مــن الآبار الحلوة وتحرص بعض النسوة على أن تغسل الآنية الخزفية الضخمة المعروفة بـ (الخابية) غسلاً جيداً وان توضع داخلها مبخرة لتبخرها بالمسكة أو "المصطكى" وان ترمى في القعر قطعة من الكبريت وعند صب الماء في هذه الآنية لابد وان يمر على (صفاية) وهي ثوب قطني شفاف أبيض ويحكم غلق فوهة الآنية ولا يسمح لأي كان أن يدس أية آنية في الخابية والا قامت قيامة ربة الدار وعند اشتداد الحر كانت تحول الخابية الى مكان ظليل وتلف بالخيش ، وقد تتخذ بجانب ذلك "بِرادة" بتشديد الراء توضع في مجرى من مجاري الهواء وتلف هي ايضاً بالخيش ، أما (الغراف) أي آنية الشرب الخزفية أو المعدنية فتلطخ عمداً بقليل من القطران "الخاثر" أو (الغليظ) كما يسمى ليعطي نكهة طيبة ويكون وسيلة لدفع أضــرار الصيف بجانب هذا يشرب الحليب الطري بكثرة من حيث كان "مول الحليب" يحضر كل صباح أو مساء لاعطاء الدار حصتها اليومية والا فإن فرداً من العائلة يذهب الى دكان "الحلاب" لاحضارها ويحذر الصغار مــن أن "يسرقوا" بعض الجرعات أثناء الطريق وان يضيفوا الماء على حد المثل القائل "ما حدو بيض وهو حليب" أما في وسط النهار وعلى الخصوص في الصيف فإن من المرغوب فيه أن يؤتى باللبن المنزوع الزبد ، وهو مشروب مبرد في وقت لم تكن هناك مبردات

نعم هناك مشروبات مبردات بلا ثلج اذ صانعات الثلج وكذلك الثلاجات لما تظهر وتشع وهي اما من عصير البرتقال أو من الرمان أو من العنب حسب الفصول وهذه تصنع خفية من الاطفال وتقدم لرب الدار وهو يبقى منها لرفيقة حياته ولا يظنن ظان أن هذه المعاصير تقدم كما عصرت وانما هي تصلح بالمقطرات وبعض

العقاقير كماء الزهر والقرفة وغيرها هناك مشروبات أخرى دافعة للتخمة كالماء المخلوط بالزعتر المقطر أو "الكروية" وفعلاً يشعر الشارب بانفراج في جوفه بعد تناول بعض الجرعات وبذلك يأخذ قيلولته في راحة

ونصل الى الحديث عن المشروبين الاساسيين المفضلين الشاي والقهوة والواقع أن الاحتفاء بهما معاً كبير وليس مقبولاً أن تكون الجلسة أثناء اعدادهما بكيفية مرتجلة أو سوقية فالشاي لابد له من أدوات البابور ، والصواني ، والبراد والكؤوس المناسبة والنحاس هو المعدن الغالب انما كان هناك أدوات من المعادن البيضاء يمتلكها ذوو اليسار .... عندما يعلو بخار الماء من "الغلاي" أو "البابور" فإن على ربة الدار أن تكون متهيئة بلباس لطيف وتجلس جلسة رزينة لائقة وعندئذ توضع بين يديها الاواني ، ويطلق البخور الطيب إن أمكن ، ويأتي الزوج اللبق ليجالسها ، وقلما يوجد زوج لا يفعل ذلك وتعد الشاي بكل أناقة ، والزوج يراقب العملية من طرف خفي ، وجوانحه مليئة بالحمد وتناوله هو الاول كأسه ، ثم ينادى على الآخرين ليأتوا لاخذ كؤوسهم وأهم حصص اعداد الشاي ، هي حصة الحادية عشرة ضحى وهذه لا يحضرها الزوج فهي نسوية أما التي يحضرها وينفرد مع زوجته فيها فهي التي تاتي بعد الغذاء وبعض الاسر تفضل أن يقوم رب الدار نفسه باعداد الشاي

أما القهوة فمراحل اعدادها أصعب ، فهي تشترى نيئة ، وعملية القلي نفسها ذات أهمية فالقهوة لا يستلذ منها طعمها فقط وانما رائحتها قبل نكهتها وهكذا يحضر مجمر مشتعل وتوضع عليه مقلاة خاصة تعرف بـ "الوصيف" وتصب القهوة وتأخذ المرأة المكلفة – وقد تكون الخادمة – تاخذ في تحريك الحبوب فوق المقلاة من هذا الجانب لذاك بقصد التقليب ويأخذ لون القهوة في التغير من الخضرة الى السمرة ، كل هذا والرائحة الفواحة تملأ المكان وتلك هي أولى متع القهوة ، ويؤتى بالهاون النحاسي ويبدأ الدق ، وعندئذ

يرمى ببعض حبات (المصطكى) وقليلا جدا من القرفة وتواصل الدق حتى تصدير القهوة مسحوقاً دقيقاً بعد ظهور "الطاحونة" الصغرى اليدوية استغنى عن الهاون ربحاً للوقت

ربة الدار هي نفسها التي تعد المشروب في الابريق وهذا الابريق الذي يغلى أولا ، ولما يتصاعد بخار المياه ينزل عن النار وتحلك فيه عدة معالق من مسحوق القهوة وتعيد المرأة الابريق إلى مكانه على النار ويبدأ الغليان والحذر كل الحذر من أن يفيض الابريق على النار ، فذلك خلل لا يغتفر ، وهكذا بعد رفع ووضع وتحريك تزول الرغوة ، ولا يبقى الا المشروب الاسود الفواح ويرفع كل شيء ولا تبقى الا الصينية بكؤوسها وهنا أيضاً يحتفى بتوزيع كؤوس القهوة الفواحد المسكرة ، خصوصاً وان المشروب لابد، بل ومن المستحسن ، أن يكون مصحوباً بما يقضم من الاشياء المحلاة (الشباكية) أو (المخرقة) أو (ألغريبة) أو (الكرص) أو (الفقاص)

جاءت بعد ذلك عادة مزج القهوة والحليب وذلك لأن بعض المعدات لا تحتمل مشروب القهوة وحده فاضطروا الى مزجه بقصد التخفيف من تاثيره والا فإن القهوة هي القهوة عند المتذوقين وقد يسلمون في كؤوس من الحليب ولا يسلمون في كؤوس من القهوة ولكل وذوقه !

17 ـ الألبســـة

اذا كان الرجال والنساء والاولاد والبنات يأكلون ويشربون شيئاً واحدا فإنهم مختلفون جدا في اللباس ، ويصعب الحرص على التفاصيل، خصوصاً وان التطور ملازم للالبسة فكيف وجدنا المجتمع بعناصره في مسألة اللباس

الرجال إذا كانوا فقهاء أو متفقهين أو مجرد وجهاء فإن لباسهم يتركب من لباس تحتي ، قطني أبيض خفيف ، مفتوح الكمين ، مشدود الطوق من الجانب ، وهذا هو "التشامير" ، فوقه القفطان وهو من الملف في فصل الشتاء والربيع واما من ثوب "شاركة" الخفيف في الصيف وهو مخيط بمعرفة مختصين ، من حيث يحف الطوق المفتوح حتى الاسفل بالضفائر والمفتولات من الحرير وتثبت "عقد" في حجم الحمصة تدخل كلها في العرى ، وقد يكون هذا القفطان مغلقاً من الداخل ، مما يعطيه بعض الثقل وفوقه تلبس فرجية وهي رداء قطني خفيف وشفاف لبسه وعدم لبسه من حيث الحجم سواء ، انما هو يزيد في أناقة المظهر بل نزع هذا الرداء يدل على أن الرجل الوجيه في حالة تفرغ !

بعض المتأدبين خففوا من وطأة هذا اللباس فأبقوا عـــلى التشامير وجعلوا القفطان شبيهاً ببذلة الاوروبيين مع المحافظة على الزخرفة التي في القفطان اما السروال فشبيه بثوب (الجباضولي) المشار اليه قبل فهم غير مقتدين بسراويل الوجهاء التي هي قطنية فقط وفضفاضة فوق هذا تلمس "الفوقية" وهي مثل الفرجية انما بدون أكمام

لباس الرأس مختلف بين هؤلاء وأولئك الاولون (الشاشية) لفت عليها رزة بإحكام ومهارة وتلك هي (الرزة بالقالب) لانها تلف عـــلى قالب في الاصل أما الشبان لذلك الحين فلا يلبسون إلا الطربوش الذي كان يدعى (الطربوش التونسي) ! بعد هذا نقــول ان لباس

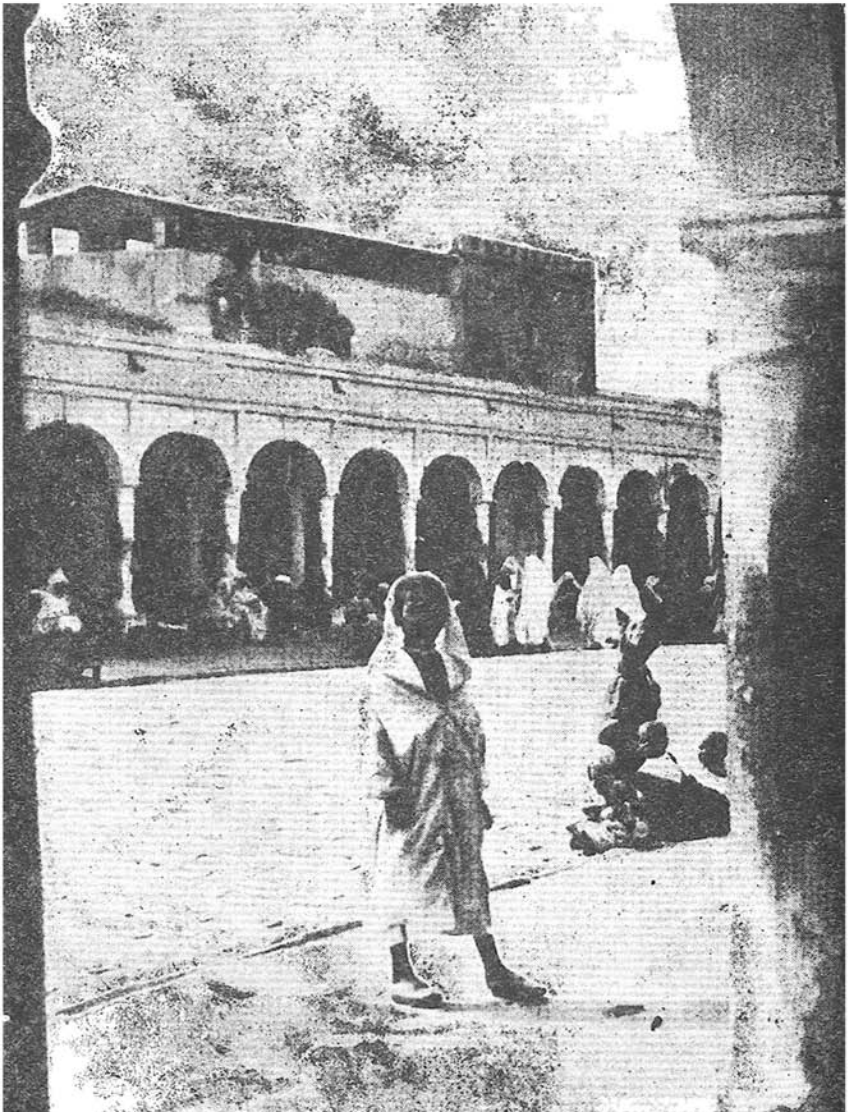

فتى مغربي حليق الرأس وقد لبس جلبابا فضفاضا
وانتعل حذاء هكذا كان المظهر أواسط القرن 14 الهجري.

عن وزارة البريد

ألبسة مغربية لباس فقيه ، ولباس بحري ، ولباس عو ن،
ولباس سيدة

سيدات حضريات في لباسهن أواسط القرن 14 الهجري
كل شيء فضفاض ، واحدة ملتحفة بالحايك

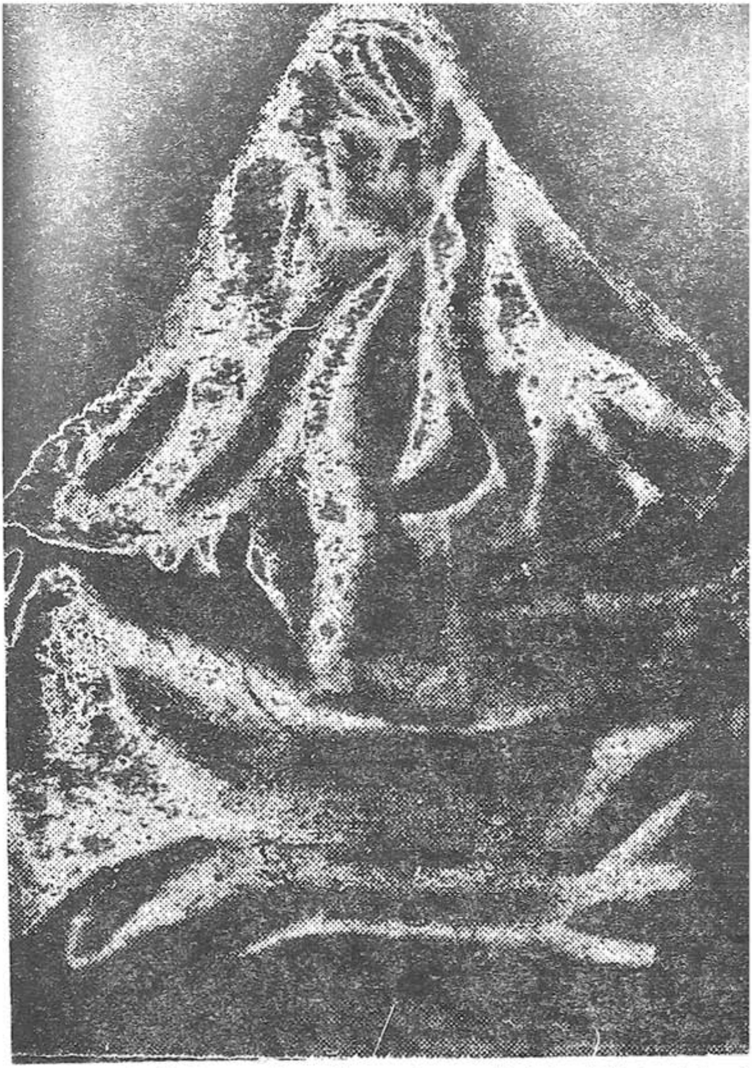

في أواسط القرن 14 الهجري كانت المرأة المغربية الحضرية
تخرج الى الطرقات هكذا ، تلبس الحايك الذي يسترها
تماما ، ولا ترى طريقها الا بواسطة ثقب عند عينها

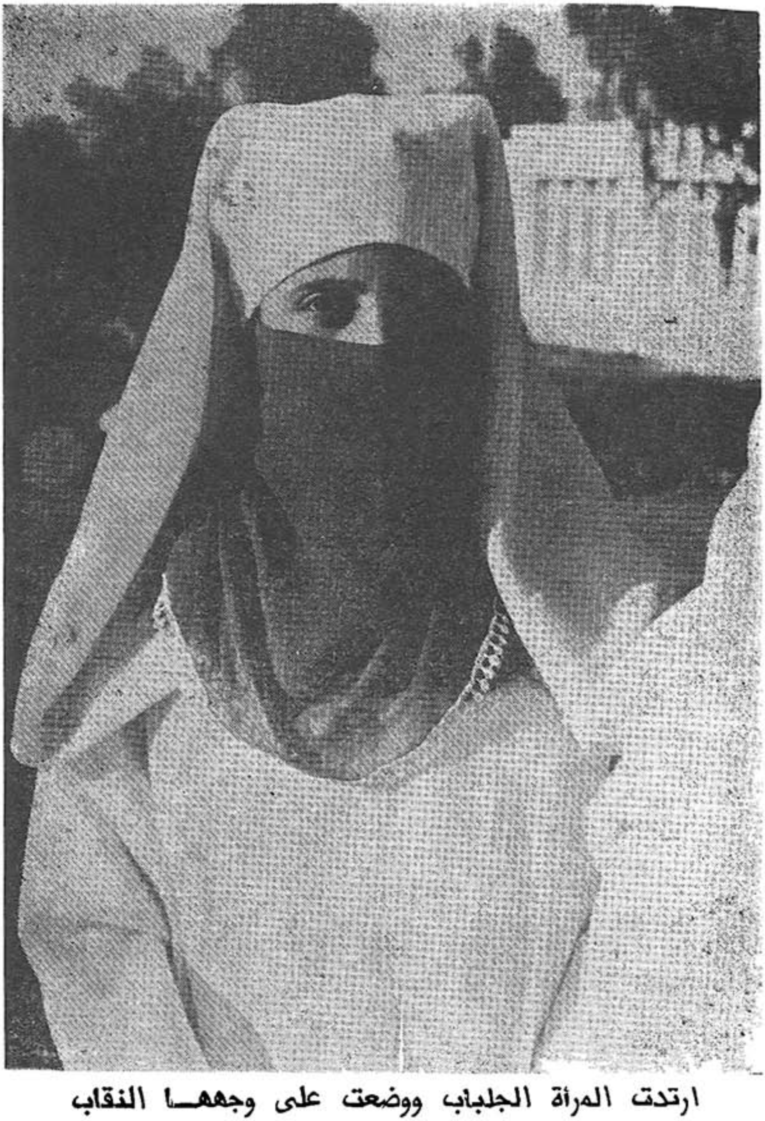

ارتدت المرأة الجلباب ووضعت على وجههـا النقاب
مرحلة بعد الحايك وقبل السفور

الفتاة المغربية وقد سايرت التطور الى أبعد حدوده

الرجلين واحد هو "البلغة" بسيطة أو مبطنة وقليل من الشبان كانوا يرتدون الحذاء الافرنجي (السباط)

الطبقة العاملة كانت تلبس التشامير وفوقه "بدعية" شبيهة ب (جيلي) انما مع الزخارف والسروال عادي فضفاض مثل السراويل الاخرى وثوبه غامق ومتين نظرا لظروف العمل والرأس يغطيـه طربوش من نوع "الطاسة" ثوبه أغلف من الطرفوش العادي وفي نصف ارتفاعه ، ويغطي اللباس المذكور "فريول" يقي الثوب من آثار العمل وبدلت بعد ذلك ب "البلوزة"

الطبقة الاخرى من التجار يكاد يكون لباسهم وسطا بين الوجهاء والصناع انما الحرص شديد على أن تكون النظافة متجلية وكذلك الاناقة وهكذا يلاحظ الملاحظ وجود سلسلة معدنية لامعة تتدلى من الطوق لها صلة بالساعة المحفوظة في الجيب كما ان الخنصر قلما يخلو من خاتم فضي مدبب الفص لامع يلفت الانظار

اللباس الخارجي للجميع هو الجلباب المغربي كان أوسع مما هو عليه الآن وله شق أمامي في الوسط بالنسبة للعامة مع فتحتين في الكم عند ثنيتي المرفقين ثم أخذت هذه الفتحات تزول وعوضت بفتحتين عند الجانبين وهكذا صار الرجل يمكن له أن يدس يديه في جيوبه دون ما حاجة الى رفع أطراف الثوب كما صار الاتساع أضيق ، أما الطول فيستعان على تقصيره بواسطة الثنية "الفرجة" بضم الفاء

أهل الفقه والوجهاء لابد لهم من أن يضعوا على أكتافهم برنسا "سلهاما" ذا لون أبيض أو غير أبيض في الصيف مع خفة في النسج وذا لون أسود فاحم غرابي ، ومتين النسج في الاحوال العادية خصوصا في الايام الباردة وإذا اشتد البرد يضاف جلباب ثان الى الجلباب الاول ، ومن المستحسن أن يتأبط الفقيه "لبدة" ذات لون غامق أو زاه ، يستعملها حيثما أراد الجلوس خصوصا في أماكن العبادة ويستهجن من الرجل العامي ان يلبس برنسا أو يحمل لبدة فذلك يعتبر تطفلا منه لا يليق ووجد الجميع منفعة في الجوارب فاتخذوا منهـا

زوجين أو أكثر حسب الاحوال الجوية بدل الخف الجلدي كما انهم لم يروا بأساً في لبس النظارات للتوقي من وهج الشمس أو للاستعانة بها عند المطالعة ويزيلونها بعد الاستعمال مباشرة فالابقاء عليها قد يوحي بالعجز أو الشيخوخة ، وهو توهم مرفوض وغير محبوب !

نصل الى الحديث عن اللباس النسوي وهو حديث - ان لم نختصره - سيطول وسيتشعب لباس المرأة يشتمل أولا على "سبنية" من الحرير المزخرف يشد بها الرأس على شكل معين قد يصل الى شد شكلي ، من حيث تتهاوى السبنية من أولى مداعبة أو حركة وهذا يعجب بعض الرجال لأن شعر الرأس الطويل ستتهاوى ضفيرته السوداء أيضاً ! قليل من السيدات خصوصاً المسنات يضعن تحت السبنية خرقة صوفية تسمى "السربية" اتقاء للبرد بعد هذا تشد المرأة على السبنية بعصابة أو حزام لباس الجسد يشتمل على تحتية ملاصقة للجسم فلا شيء يشد على الجسم شدا مباشرا وهذه التحتية من ثوب حريري غالباً فإذا ما كان الجو بارداً تلبس صدرية حريرية أيضاً ذات أكمام تصل حتى المعصمين ، وفوق التحتية قفطان خفيف الثوب صيفاً متين النسج صوفياً في الشتاء وقد تلبس في هذا الظرف قفطانين ، وفوق القفطان ، منصورية ، وهي تقابل "الفرجية" بالنسبة للرجال وهي ذات لون زاه ولابد لها من الزخرفة حتى ولو كان الثوب رديئاً !

وعند الرغبة في العمل "تتشمر" المرأة أي انها تضع (الحمالة) بين أكتافها بها تجمع اطراف كميها كما ترفع أطراف ثيابها من الامام وتشدها الى الخلف وتضع فوقها "تزارة" بتشديد الزاي فلا يبقى ظاهرا سوى سروالها الحريري المطرز عند الساقين إذا كانت في سن الشباب ، وهي تبادر الى إطلاق أطراف الثوب كلها إذا دخل المكان رجل ، حتى ولو كان أخاها أو أباها بل منهن من تتحرج حتى من نظرات زوجها !

وعند الخروج ، تعمد أولاً إلى تغطية الساقين "بالسراويل" وهو

غطاء مستطيل بطول الساق مرتين وعند اللبس تحصل تكاميش تخفي حجم الساق فأحرى لونه وشكله وقد عوض هـذا اللباس المتشدد بالجوارب الطويلة بعد تردد كبير لأن الجوارب اذا حنت تستر اللون ، فإنها لا تستر الحجم والشكل ثم يغطى الجسم كله برداء هو (الحايك) وهو في الغالب من نسيج القطن المحبب ، أو نسيج الصوف الرقيق المعروف (بالطعمة) وينزل هذا الغطاء من قمة الرأس الى أخمص القدمين ، ولا يبقى للمرأة ما ترى به طرقها سوى ثقب امام احدى العينين ـ وقد أشرنا الى هذا في فصل سابق

وكانت ثورة ما بعدها ثورة ان تنزع المرأة الحايك وتلبس الجلباب الرجالي ، وتكتفي بالنقاب، لقد ظهرت العينان الاثنتان ، وظهرت القامة بطولها وحجمها وتخلت المرأة عن (الريحية) السوداء أو الحمراء وأحدث تلبس الشربيل مع الجوارب فضيحة ! جاءت المبادرة من بعض المتجرئات المسيطرات ، ثم تطور الامر الى أن "الحايك" لا وجود له في بعض المدن وسنرى مقدار التطور من بعد

الاطفال والطفلات والفتيان والفتيـات إذا كان ذووهـم من المستطيعين فإن لباسهم يكون لباساً مصغراً من لباس الكبار رجالا ونساء والا فإن البنات يأخذن من فضـلات أمهاتهـن أو أخواتهن المتزوجات أما الاولاد ف (الفريول) أو (الفوقية) والفريول رداء شامل مزرر ، ذو كمين طويلين وضيقين ، اما الفوقية فمفتحة الطوق والكمين وكل منهما تغطي ما تحتها وتكفي في فصول الحر والبرد والقبقاب الخشبية قد تغني عن الحذاء الجلدي وأية فائدة ،فالجري والقفز عبر الدروب يتطلب تخففاً تاماً لممارسة الحركات بكل حرية وسخونة الدم وحرارة الصبا وجودة "الحريرة" وسخونة الخبز تكفي لاتقاء البرد بدون ملابس **ثقيلة** .

18 ـ المقتنيات والتحف

أهل الذوق في المجتمع أكثر ارتباطاً بمنازلهم وسعيهم حثيث كلما تفرغوا من العمل أن يعودوا إليها فوراً لأنهم لا يجدون أنساً صادقاً وطمأنينة تامة الا فيها وحرصهم أكيد على أن يكيفوا سكان البيت ، زوجة وأولاداً ، وفق ما يبتغون ، وما يبغون ـ بطبيعة الحال ـ إلا الخير والسعادة والاستقرار

هم يعرفون أن العلاقات البشرية الطيبة أفضل رابط ولكن هناك مكملات مادية تحسن منظر البيت في أعين الساكنين فيه على الاخص الملازمين له لذلك ترى رب الدار يعتني بروض الدار مهما صغرت مساحته ويتقدم للعمل فيه بنفسه أو يستعين بمن يعينه وتراه يقصد أقفاص الطيور الاليفة المغردة ليتفقد حالتها يبدل الماء يزيد في الحبوب وينظف ويصفر لها ويتوجه الى حوض السمك الملون ليتفقد حالته كذلك وإذا كانت على السطوح طيور داجنة فإنـــه يعطيها من اهتمامه أيضاً بعض المنازل المتوسطة ـ كالـــدور الكبيرة ـ كانت لها "خربة" ملحقة بها يربى فيها كبش أو طيور داجنة ، وهذا المكان يقضي فيه رب الدار وقتاً وقد يرتإي أن يجعل منه روضاً ملحقاً بالبيت تنتقل اليه العائلة في فصل الازهار

وأرباب العائلات كلهم ينتظرون فرصة زيادة المداخيل اذا كانوا تجاراً في موسم من المواسم أو عند التعاقد على انجاز عمل مـــن الاعمال إذا كانوا صناعاً أو عند ورود حصة مالية من شريك عندئذ يتفقدون المنزل ويبادرون الى سد ما يحتـــاج اليـــه من الاشياء الكمالية من الاواني النحاسية والمفضضة والزجاجية والمعدنية ويحرص على أن تكون المشتريات في مستواه وقد يكون من الذين يتعشقون البذخ في هذه الامور فيتنقى من التحف المستوردة من ايطاليا واسبانيا وصقلية ومن الشرق وهكذا كنت تجد في بعض البيوت النوادر التي لا توجد الا في بعض القصور أو المتاحف الكبرى،

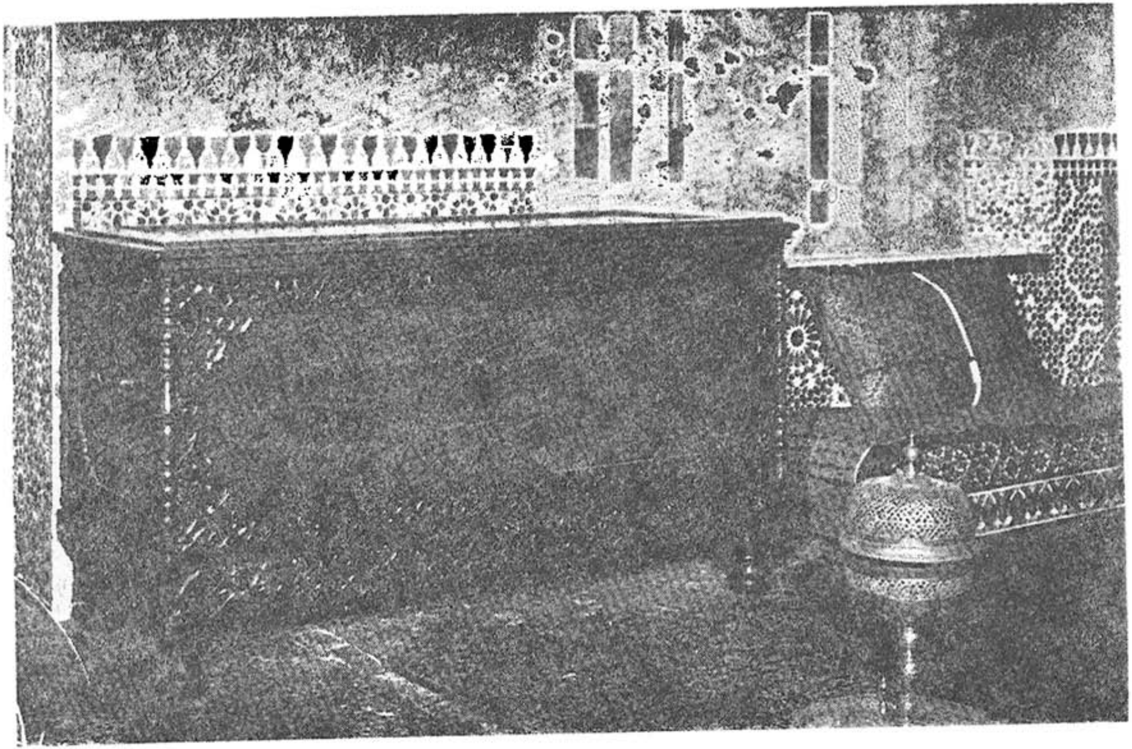

لم تكن الخزائن المعروفة مستعملة لخزن الاشياء ، وانما كانت تستعمل الصناديق من مثل هذا

ولكم يقوم من صراع ـ عند الميراث ـ من أجل حيازة هذه الاشياء حتى ان بعض المتشددين المجانين يفضلون كسرها أو بيعها للغير على أن يفوز بها من العائلة دون فرد آخر !

والمقتنيات النفيسة يحفظها صاحبها ويجعلها تحت إشرافه الخاص داخل خزانة أنيقة داخل أكبر حجرات المنزل ويهمه أن يطلع عليها ويقف أمامها متمعنا ومتلذذا بين الحين والحين

هناك مقتنيات أخرى يحرص عليها رب الدار ولا يرى مانعًا من أن يقرضها للغير ليستعملها عند المناسبات كالقدور النحاسية والصواني والمجامر والمباخر والمرشات وغيرها بل ان بعضهم اشترى مجموعة من هذه الاشياء ، وجعلها رهن اشارة أصحاب الاعراس والعقائق والمآتم الذين لا يتوفرون على مثلها

والعجيب أن هناك سيدات اشترين مجوهرات وحلي أو حصلن عليها بالميراث وجعلنها رهن اشارة اليتيمات المتزوجات والارامل ليتزين بها عند المناسبة ، ابتغاء الاجر

ولكم كنا نتشوق ونحن صغار الى أن تفتح جداتنا صناديقهن لنتفرج على ما فيها من مخبآت ونوادر وطرائف منها نقود ذهبية وفضية ومنها حبات من الجوهر والمرجان والعقيق ومنها علب فضية وعاجية وزجاجية مطعمة لا ندري بالضبط لأية أغراض كانت تستعمل كما كنا نرى ، ورائحة البلي تملأ خياشيمنا الصغيرة ، نرى اشياء ثمينة في ثوبها وتطريزها بخيوط الذهب فيقال هذه بدعية جدكم الذي كان (رايس البحرية) وهذه "زلاكية" كنت لبستها في رجلي وأنا عروسة وتشوب ملامح جدتنا العجوز حمرة كما لو عادت الى عهد العزوبة السابق ونحاول ان نستولي على شيء مما نرى فننهر ونطارد الى أن تكون فترة عصيبة تشتد فيها حاجة العائلة ، فعندئذ تخرج تلك الاشياء الثمينة والاسى يحز القلب وتباع للسمسار الذي يمر بين الحين والحين على الابواب بالثمن الذي يريده ولا يعلم أحد أية طريق تسلك تلك التحف بعد ذلك !

وهنا لابد من الاشارة الى أن المصنوعات والحلي التي كان يحرص على اقتنائها وحفظها بكامل الحرص فلم تكن للزينة وحدها وانما تقتنى من قبيل الاذخار وتجد على لسانهن "أشياء تخبأ لدوائر الزمن" ! وكهذا عندما تتحكم الازمة بربة البيت عند فقدان الزوج مثلاً فإنها تخرج مذخراتها من الحلي وتشتري عقاراً يدر عليها مدخولاً شهريًا كما أنها تبادر فوراً ومن تلقاء نفسها اذا مـا تأزم الحال بزوجها حين يشرف على الافلاس مثلا فتضع مقتنياتهـا في حضن زوجها وبذلك قد يفتح باب الفرج

يبقى أمر أحسن مقتنيات الدنيا التي هي الكتب وهي تحفظ حفظ الارواح ويسهد الجفون كيف يكون مصير الخزائن اذا لم يكن في النسل بنون أو إذا لم يكن هناك نسل بالمرة ، ان أصحاب الخزائن في هذه الحالة ، وحتى في حالة وجود أبناء غير أكفاء يبادرون الى تحبيس تلك الخزائن على مؤسسة علمية أو مسجد مـن المساجد وبذلك يلقون الله وهم مطمئنون على أنفس ما يقتنى في الدنيا وما يترك بعد انتهاء الاجل المحتوم

19 ـ الاعياد والذكريات ومظاهر التمسك بالعقيدة الاسلامية

الاعياد أيام مخصوصة من أيام المجتمع يتفرغ فيها المواطن من شواغله اليومية ، ليرفه عن نفسه وليتمتع بجوه العائلي آكلاً شارباً ضاحكاً مستبشراً ، بدون مزاحمة من أي عمل أو مضايقة من أي فرد

الاعياد الاسلامية معروفة هي عيد الفطر وعيد الاضحى وعيد المولد النبوي أو كما هي في التسمية الشعبية العيد الصغير والعيد الكبير ، وعيد (الميلود) أو "مخلوق النبي" وكلها تحظى من الشعب بكامل الاهتمام وتستقبل بعظيم الترحيب ويستعد لها استعداداً يلاحظ في كل مكان بأسبوع أو أكثر فتجارة المواد الغذائية تروج بكيفية أكبر وتجارة الالبسة ـ خصوصاً للاطفال ـ تروج هذه كذلك وتروج أشياء ليس معهوداً أن تكون موجودة كالبخور والمياه المطرة من الورود والزهور والحلويات العسل والسمن ، وتكثر أفراخ الدجاج من حيث لا يتخلى بيت عن حظه من اقتناء الدجاج والدجاج وجبة المناسبات وذلك يوجد في الافراح ويفتقد في الاتراح تماماً

عيد الفطر ياتي بعد شهر الصيام فهو يستقبل كعيد يعود بالناس على حالتهم الطبيعية السابقة كما ياتي بعد طول انتظار لايام العيد ، اذ أن آخر عيد تمر عليه نحو ستة أشهر وبذلك يكون الشوق حاداً ! ويحاول البعض أن ينتقم لنفسه من شهر الصيام ذي الساعات الطويلة فيكثر من أكل المعسلات وغير المعسلات ولكنه يجد أن لشهيته حدوداً شيء لطيف أن يقوم الرجال بالطواف على الاقارب والقريبات لزيارتهم ، في منازلهم ، وفي كل منزل يجد مشروبات وحلويات ولكن أما عيد الاضحى فيتبط بحادث الاضحية وهذه تشغل البال عندالجميع ، الكبار والصغار ، الذكور والاناث ، الاولون يدبرون المصاريف الاضافية والصغار يعملون أذهانهم وأخيلتهم في عملية نحـر هـذا الحيوان الوديع السريع التآلف ولكنهم يتناسون ذلك عندما تبسط قطع الكبد الشهية واللحوم المطهية والمشوية فليس كبشهم هـو الوحيد الذي تفعل به هذه الافعال الهائلة المفجعة فهي تفعل

بجميع أكباش الدنيا والاكباش السعيدة هي التي لا تذبـــح في المجازر المهولة الرهيبة الموحشة وانما تذبح وسط الاهازيج والانس ان صح ان هناك إحساساً بالانس والفرح لحظة الموت لحظة إزهاق الروح إزهاقاً

أما عيد المولد فهو مهيب يعمر الناس بالجلال فكل الناس يحبون الرسول ، والفرح بمولده وما يحيط به من الحفلات والتجمعات كلها تسر الناس سروراً لا حد له ، ومن الاعماق والسرور والابتهاج والانتشاء ، كل ذلك يبدأ عند ظهور شهر ربيع الاول ، من حيث يستقبل الهلال بالزغاريد وبعبارات ترحيب خاصة "أبياضي يا حبيبي محمد "الصلا والسلام عليك يا رسول الله" ويزيد في الحماس قصف المدافع الهادرة التي تجعل الارض تهتز من تحت الارجل وطيلة عشرة أيام تكون الاستعدادات للعيد من حيث تنظف حجرات المنازل ويجير ما يحتاج الى تجيير ، ويعاد صبغ الابواب والنوافذ وتبيض جدران الدار الخارجية وتقام الاستعدادات لتهيـــيء الاضرحـــة بالتزيين والصباغة والاعلام والاضواء العادية والملونة وتنظم طيلة أيـــــام الاستعداد للعيد حفلات ليلية للامداح وشرح أبيات البردة للبوصيري أو الهمزية تحت أضواء مشعة زاهرة من الكهرباء ، ومن الشموع أيضاً وتحت دخان "العود القماري" العاطر وليلة العيد يستيقظ أفراد العائلة كلهم رجالاً ونساء قبيل الفجر حيث يقصد الرجال المساجد العامرة بالامداح والذكر وتبقى النساء في منازلهن المضاءة الحجرات كلها ، وهن ينتظرن ـ على أحر من الجمر ـ أذان الصبح إذ في تلك اللحظة تقصف المدافع إيذاناً بحلول اللحظة الشريفة لحظة ميلاد الرسول الكريم محمد عليه السلام وتعود الزغاريد والاهازيج تغمر جميع البيوت ، جميع الدروب ، جميع أنحاء المدينة ويصبح الصباح ، ودع كل مواطن شعور مثل شعور الذي ازدان فراشه بمولود سعيد ويكون تبادل التهاني حارة صادقة ومن الاعماق ان الصلة بالرسول وثيقة وصادقة وعميقة وخالدة

عيد عاشوراء يكاد يكون عيد النساء والاطفال فهم وحدهم الذين يتزينون ويتعطرون ويتبادلون الزيارات وتوزع الزكوات في كل مكان وينال الاطفال أعطيات آبائهم الذين يتحفون أبناءهم بلعب عصرية هي نماذج للسيارات ودراجات نارية وطيارات بعضها يحرك ذاتياً بواسطة لولب كما يحمل الاطفال بنادق ومسدسات ذات طلقات نارية وغير نارية وتنال البنات دميات عجيبة تأخذ منهن كامل العناية والرجال يتمتعون بجانب أولادهم ونسائهم بالفواكه الجافة تمور ، تين ، لوز ، جوز ويفضل ان يأتوا بهذا الجوز ، داخل قوقعته ، ليقوم بطرقه بواسطة مطرقة ، حتى تزول القشور وتكون متعة المفاجأة، عند وجود جوزات جيدة شهية المنظر والمذاق ووجود أخرى جافة سوداء منفرة وينال الرجل من ذلك ما يشتهي ويتحف ربة البيت بالكثير ، كما تتحفه هي في سخاء ، كما لا يبخل على الابناء الملحاحين ، الذين لا ترمش لهم جفون ولا يتحلون قط بمزية الغفلة وبعيد كل البعد ان يصلوا الى مستوى التغافل !

طائفة من المجتمع لا تنساق مع الفرحين بأفراح عاشوراء وانما تلازم صمتاً وركوداً كما تقلع النساء فيها عن الزينة مطلقاً وعن التعطر والتبرج انهم بعض الاشراف الذين يذكرون في هذا اليوم مأساة سيدنا الحسين الذي اغتيل في كربلاء هذا ولو أن المذهب الشيعي لا أثر له ، انما هي ذكريات مريرة !

أضاف المجتمع الى أفراحه وذكرياته وبايعاز من الشبان الوطنيين أضاف أفراحاً لم تكن شائعة من حيث أقام احتفالات أدبية خطابية بافتتاح السنة الهجرية الجديدة ، وسماها ذكرى الهجرة وبحلول عيد المولد النبوي الشريف وهكذا كان رجال المجتمع المتنورون يحضرون الى أماكن التجمعات ويشنفون الاسماع بالاناشيد الوطنية ـ الاسلامية الرقيقة النظم العذبة التلحين ويعمرون أفئدتهم وجوانحهم بذكريات المجد ويتخيلون المشاهد الخالدة كأنها واقعة لعهد قريب

ويتقدم الخطباء والشعراء فيبدعون في القــول والانشاد فيمتلئ المكان بالهتاف والتكبير ويتخلل ذلك مشاهد تمثيلية كلها تدور حول بزوغ فجر الاسلام وما صاحبه من أحداث وانتصارات ويرضى المجتمع كله عن هذه التجمعات ـ حضرها أو لم يحضرها ـ لأنها مجيدة ولأنها تدل على تمسك الشبان بملتهم وأمجادهم

هناك ذكريات أخرى كانت تحيي في استخفاء ويتوجه فيها الى العبادات الصلاة والصوم وقراءة القرآن مع الاكثار من ذكر "اللطيف الخبير" ومن هذه الذكريات على الخصوص ذكرى صدور الظهير البربري (16 ماي) ذلكم الظهير الذي هز أنحاء المغــرب والعالم الاسلامي وكان بداية لكل المعارك السياسية والقتالية التي جاءت من بعد ثم ذكرى عقد الحماية هذه كانت يوم الثلاثين من كل شهر مارس

ذكرى أخرى بدأت صغيرة وفي نطاق ضيق ثم ما لبثت أن أصبحت رسمية وعلنية وعلى جميع المستويات وفي جميع مناطق البلاد ، وصار كل الناس مشاركين فيها سواء منهم الذين دعوا اليها في أول الامر أو الذين تحفظوا بل حتى الذين عارضوا وقاوموا تلك هي ذكرى 18 نونبر يوم جلوس محمد بن يوسف عــلى العرش العلوي

والواقع أن احياء الذكرى أوقع الاستعمار في حيرة فلا هو في حل من أن يقاوم ويضاد على طول الخط ولا هو مستطيع أن يسكت عما يبلغه له الجواسيس والفضوليون عن الاجواء الحافلة التي كانت تسود تلك التجمعات من ابتهاج وسرور ومن تسام واعتزاز ومن تحد ومناجزة ومن مشاعر التضحية والفداء

بعض المجتمعات كانت تحتفل بمناسبة أخرى لا علاقة لهــا بالذكريات الدينية ولا الوطنية وانما بالفصول السنوية والمتعلقة بالتقلبات الجوية فيها من حر الى برد وهكذا تهيأ وجبات غذائية خاصة يوم فاتح يناير الفلاحي فالليلة التي تسبق تطبخ وجبــة

''غرنون'' وغرنون عبارة عن حبات القمح المسلوق الذي يوضع بقدر عظيمة في الماء الغليان ويوضع معه الحمص ويضاف اليه بعد ذلك مقدار كاف من الحليب وترمى في القدر كذلك حفنة من حبات ''النافع'' وبعض أوراق البرتقال لتعطي للطبيخة نكهة طيبة وبعد أن تستوي الوجبة ناضجة تزاد مقادير كافية من الزبد

وتبرد القدر فتأخذ ربة الدار مغرفة كبرى وتأخذ في توزيع ما في قدرها على الصحون الكثيرة الموضوعة أمامها وتملأ هذه الصحون وتوضع في احتفاء داخل الانية الخشبية المعروفة بـ ''الطيفور'' ويغطى بغطائه المخروط المزخرف نسيت ان أقول ان قدراً صغيرة تكون على النار بجانب القدر الكبرى مليئة بالفول الذي يسلق وتضعه المرأة فوق الغرنون قبل التوزيع

ويحمل الاطفال أو المسخرون هذه الاواني على رؤوسهم ويذهبون بها الى الاقارب الذين ليس من ''عادتهم'' طبخ الغرنون وقد يرجعون ومعهم ''الرفيسة'' أو ''هربر'' وكلاهما من منتوجات الحبوب وبذلك تكون هدية مقابل هدية وتقضي العادة أن يترك صحن في فناء الدار بالليل لتتذوقه أو تأكله ''ماماعكوز'' أو من ينوب عنها من القطاط وغيرها

في الغد يأتي رب الدار بما يكفي من الخضر لوجبة الكسكس المعروفة بـ ''كسكسو بسبع خضاري'' وأيضاً تحمل ''الذايقة'' لمن ليس من عادتهم طبخ الكسكس في هذا اليوم ويكتفون بـ ''المرقة'' مع سبع خضاري ومعروف أن وجبة المرقة وجبة غذائية مغربية شهية ـ ولو أنها ثقيلة على المعدة ـ قوامها طبخ الطعام مع السمن والابازير والزعفران مع الاكثار من البصل الابيض والاحمر ويحرص على أن تمزج الوجبة بالحمص ، ويفضل في هذه لحم الضان على غيره من اللحم ولو كان لحم الدجاج

أما الاحتفال العائلي الثاني فهو (العنصرة) وتأتي قبل فترة السمائم ومعلوم أن السمائم فترة أربعين يوماً من شدة الحر ويوم

العنصرة يعد فيه وجبة الكسكس كذلك وتطبخ مع الخضر العادية أكواز الذرة الصفراء أو البيضاء إذ بعد أكل الكسكس يعمد الجميع الى نهش أكواز الذرة المطبوخة أو المشوية ولا يتجنب هذا الا ذوي الاسنان والاضراس الهشة أو ذوي المعد الضعيفة

ويظهر ان المغاربة ـ حضريين وبدويين ـ أصحاب احتفاء بالارض ومنتوجات الارض وخيراتها ولهذا يحتفلون في بدء السنة أملاً في موسم فلاحي سعيد ثم في وسطها ابتهاجاً بموسم فلاحي كريم

ولابد من الاشارة الى فترة من سبعة أيام تسمى "الحسوم" تأخذ بها بعض العائلات تبعاً لتقليد قديم ولم ندرك نحن الا بقايا منه وهي فترة حزينة مطبوعة بالحداد من حيث كانوا يتوقفون ـ أو على الاصح ـ يتوقفن عن النظافة تماماً فلا اغتسال ولا تصبين وحتى الاواني يكتفى بمسحها لا بغسلها فوسائل النظافة كالصابون متجنبة تماماً ! وقد ورد ذكر الحسوم في القرآن مقروناً بعقاب حل بقوم غابرين ؟!

20 ـ العيادات والمآتم

ان أفراد المجتمع كانوا يتمتعون بصحة جيدة عموماً نظرا لعدة أسباب منها اعتمادهم في الماكولات على المواد الطرية والطبيعية اذ لم تكن هناك معلبات ومصبرات كما لم تكن هناك مياه معدنية في القارورات ومشروبات غازية والسهر كان بصفة عامة غير معمول به فالناس ينامون مبكرين ويستيقظون مبكرين وهم في تنقلاتهم يكثرون من المشي ويزيد قوة هذه الحركة ان عدة مدن كانت فيها عقبات فصعودها والنزول ينشط الدورة الدموية كما أن بعض الاسفار كانوا يستعملون فيها الدواب ، وهي أسفار ـ طبيعياً ـ كانت اكثر متعة

مع ذلك كانوا يصابون بأمراض بطبيعة الحال انما كان عدد الاطباء قليلاً وكانت زيارتهم الطبيب محرجة بالنسبة للسيدات ولهذا كانوا يعمدون الى التداوي بالاعشاب يتلقفون أسماءهم من أفواه الزائرات فيبادرون الى "العشابين" ويشترون ما تيسر بلا موازين وقد يزيد هذا العشاب من عنده بعض الاعشاب إذا علم بالمرض ولو عن بعد قد ياتي نفع من تلك الاعشاب إذا كان الامر يتعلق بتوعك بسيط أما إذا كان المرض معقداً وغامضاً فإنهم ينتقلون الى زيارة (مسيب) وهو فقيه له المام بشؤون الاحجبة والجداول وهذه قد تفيد اذا توهم فيها المريض شفاء وكان المرض مرضاً نفسانياً لا عضوياً وإذا تفاحش الامر فإنهم ينتقلون إلى ضريح من الاضرحة المقصودة للاستشفاء من حيث يقضي المريض مدة وهو قد يبرأ فيها إذا وجد أنساً وضحكاً وحكايات اذا كان الامر يتعلق بأمور نفسية أيضاً

أما اذا وصلت الحالة الى طريق مسدود وتبين أن يوماً أسوأ من يوم في حالة المريض فإن الاتفاق يتم ولو عارض المريض أو

المريضة على عرض الحالة على الطبيب في عيادته أو المستشفى اذا لم تكن الحالة ميؤوساً منها وجدير بالذكر أن العمليات الجراحية كانت تبعث على الهول الشديد في النفوس ، فلكأنه تقدم اختياري لارض مجزرة حتى ان البعض كان يفضل الموت في فراشه على أن يدخل مجرد دخول الى مصحة من المصحات

نأتي بعد هذا على مسألة عيادة المريض وهي تبدأ منذ أن يشيع الخبر بسقوط فلان أو فلانة طريحين في الفراش وأول من كان يلاحظ ذلك هو سكان الحي بالنسبة للرجال فالرفيق إذا لم يحضر صلاة من الصلوات الخمس بمسجد الحي فإن تغيبه يثير الانتباه ويتصبر القوم حتى يوم الجمعة فإذا غاب عن صلاة الجمعة الاكيدة مع الجماعة هرع الاصحاب والمعارف من المسجد الى مسكن المريض ليطمئنوا على حالته ، وليتلو الفاتحة وبعض الدعوات وهذا الموقف ينعش المريض ولا شك

أما الذي يثقل على المريض أو المريضة فهو عيادة النساء إذ لا يكتفين بلحظات وانما يحرصن على البقاء أطول وقت بجانب المريض أو المريضة ، يراقبن حركاته وسكناته وتوجعاته وأيضاً تقلباته في الفراش ثم يشرعن في التعليقات ذاكرات على الاخص أولئك الذين كانوا في مثل هذه الحالة بالتمام ، ثم اشتد بهم الحال الى أن انتقلوا الى أحشاء القبور أما اللواتي يأنسن من انفسهن خبرة ومعرفة ، فهن يعددن اسماء الادوية وأخلاط الاعشاب التي كان لها مفعول طيب على المريض الفلاني عندما كان في مثل هذه الحالة ، وقد يظهرن استعدادهن لاعداد ذلك المرهم أو ذلك المشروب فوراً وفي عين المكان .

وإذا حصل الشفاء فإن المريض يسعد سعادة لا حد لها من حيث يرى نفسه وكأنه ولد من جديد وبذلك يبادر عند قيامه من الفراش الى زيارة أضرحة الاولياء وإذا كان ذا استطاعة فإنه يقيم حفلة ذكر وابتهال بمناسبة شفائه ويفرح معه أهله جميعاً ورفقاؤه

واهل حيه وتلك حالة تضامنية انسانية رائعة

أما اذا كان الاجل قد انتهى وظهرت علامات اليأس من حالة المريض فإن الوجوم يسود البيت ويقع أول من يقـع في الحيرة الزوجة إذا كان الزوج هو المريض او يقع الزوج إذا كانت الزوجة هي المحتضرة ، وإن كان تاثر الزوجة أعظم ولا تجد أمامها من حل سوى الدموع الغزيرة تطلقها سخية في اركان البيت بالنهار وعلى وسادة السهر بالليل وكم من حالة عسيرة مرت ببعض الزوجات وصلت بهن الى حد اضعاف البصر او الى فقد ابصارهن بالمرة بل الى فقد حياتهن كلها من حيث سقطن على نفس فراش المرض ولحقن برفيق الحياة بعد وقت قصير !

يقل دخول النساء على المريض المحتضر لقلة صبرهن على مواجهة تلك اللحظات الحرجة الخطيرة يكتفين بتـردد الرجال أو النساء المتقدمات في السن الصبورات ويتلى ما شاء الله أن يتلى من الآيات والاذكار عند رأس المريض وهو مهما كانت درجة ايمانه وتقواه يستطيب ويرتاح لما يقرأ عليه ، ويغمض عينيه مستسلماً منصتاً وبحضور الناس أو بدون حضورهم وبعد نزع قصير أو طويل يسلـم الروح الى ربها ولا تبقى بن يدي العائلة الا الجثة الهامدة

وتقوم حركات سريعة لتجهيز الميت وحمله الى المقبرة فالتاخير غير مرغوب فيه وهو ان مات في أواخر الليل أو في الصباح يؤجل دفنه الى ما بعد صلاة الظهر أو العصر ، وهو ان مات بعد الظهر يحرص كل الحرص على الا يبيت الا في قبره حتى ولو كان ذلك بعد غروب الشمس

والمقبرة العمومية هي المأوى الاخير لعامة الناس ولمـن يوصون بذلك انما هناك من يرغب أن يرقد عزيزه الهالك بجـوار ضريح من أضرحة المدينة ، تبركاً بالمكان الذي يضم جدث ذلك الولي الصالح والقبر هو الشيء الوحيد الذي لم يتطور ولن يتطور أبداً حفرة بسيطة في طول وعرض معينين ، وبناء بلا جير ولا اسمنت وكفن

بسيط من أرخص أنواع الثوب ، وتابوت ـ ان رغبوا فيه ـ من أبسط أنواع الخشب ثم يترك متاع الدنيا كلها من وراء الظهر

وتختلف عوائد المجتمع في المآتم ، انما هي على وجه العموم عبء ينزل ثقيلا على العائلة المنكوبة ، من حيث تتحمل نفقات إيواء النسوة المجتمعات واطعامهن لمدة ثلاثة أيام كاملة اليوم الموالي (صباح القبور) اليوم الثاني (يوم العجين) اليوم الثالث (يوم التفريق) وقد تضاف (الليلة الغريبة) في بعض التسميات

وتجمع نسوة في مكان معين طول هذه المدة لابـد أن يتبعه حديث وثرثرة وفضول قول فالمعنيون بالامر في حزنهم العميق والاخريات في حديث الميراث وذكريات الهالك أو استعادة أيام الهالكة وقد لا يتورعن عن ترشيح من تخلف التي صارت الى عفو الله فالزوج المنكوب لا يمكن أن يصبر ولا يمكن أن يبقى بدون من ترعاه وتنتهي مثل هذه الاحاديث وتسود أحاديث المرح والتنكيت وتروج الحكايات والطرائف

ويتمادين في موقفهن الى حد مضايقة أرباب البيت المحزونين ، ومن أجل ذلك قد يرمين بكلمات قاسية جزاء قلة مروءتهن وعندئذ يغادرن البيوت غاضبات ساخطات ، ولسان حالهن يقول ونحن مالنا ؟ ابكين انتن أما نحن فدعننا نضحك !

ولا تقصر أيدي الاقارب عن مد يد المساعدة من حيث يتسابق الافاضل الاسخياء الى احضار ما يلزم من المواد ، سواء لتجهيز الميت أو لسد حاجات النسوة المجتمعات

ومما يذكر أن التعازي لا تاتي في يوم معين كاليوم الاول أو الثاني وحتى اليوم الثالث الا من الرجال ، من حيث يتوافد المعارف الى المسكن للتعزية ، أو إلى فسحة المقابر في صبيحة الايام الثلاثة

أما النساء فقد تمتد تعزياتهن مدة أربعين يوماً كل يوم تاتي واحدة أو مجموعة من النساء ولكل واحدة عنايتها الخاصة من

حسن استقبال وتقديم قهوة وتمديد الحديث العامر والفارغ وبهذا كانت الجنازة عبئاً وأي عبء ! وما زالت

وبعد أسابيع من إهالة التراب على الميتة أو الميت يقوم الاقارب ببناء القبر والعملية بسيطة حجرة ذات نقش بسيط عند الرأس، وأخرى مثلها عند الرجلين وبينهما على الجانبين صف من الاحجار المسواة أو المنجورة وقد توضع رخامة عليها اسم الهالك وتاريخ وفاته وبذلك يذكر الى حين

أما من مات ولا ناصر له ولا محب فان قبره يبقى كما هو الى أن يندثر ويعود مستوياً مع الارض التي يسير عليها الناس المترددون على المقبرة وعلى كل حال فكله فناء والدوام لله

تقوم بعد هذا مشكلة قد تكون هينة وقد تكون خطيرة تلك هي مشكلة الارث ، فذوو وذوات المروءة يفضلون التراضي فيما بينهم والطامعون والطامعات ينصرفون الى فض المشكل عن طريق المحاكم ويقوم بينهم خصام عنيف وقطيعة ضارية تجب معها الارحام بعض العقلاء يفضلون التوريث لورثتهم وهم على قيد الحياة

21 ـ علاقات الصداقة والجوار

من الناس يتمتع بالرابطتين معًا ويسعد بهما رابطة الصداقة ورابطة الجوار فيكون على وفاق تام مع صديقه ثم يكون على وفاق صادق مع جارة وقد يهتم أحدهم بصداقته ولا يهتم بالجوار فالجار لا يعرفه ، ولا يحرص على أن يعرفه ولا يأخذ علمًا حتى باسمه بينما آخر لا يتخذ أي صديق ولا يتعب نفسه بشؤون الصداقات انما يهمه أن يعرف جاره ويسعده كل الاسعاد أن يكون طيبًا وودودًا ومشاركًا في الشدة والرخاء

وعلى العموم فيظهر ان للعلاقتيين فترتين مختلفتين ، فترة الطفولة والفتوة والشباب وهذه الفترة يعمرها الاصدقاء بالتآنس والتصافي والتحاب والتوافق ، فالصديق بالنسبة للفترات المذكورة هـو كل شيء هو الذي يحكى وهو الذي يؤنس وهو الذي يثرثر ، وهو الذي يكذب تلك الكذبات المستورة والمفضوحة وهو الذي يفاخـر ويشمخ بأنفه حينًا أو يغار ويضيق حينًا آخر

ويتجاوز الشاب فترة اللهو والعبث واللامبالاة فيروم الاستقرار والاستئناس وتدفئة العواطف يروم الزواج أي انشاء أسرة وتعمير بيت لكن أين يكون البيت ؟ في أي حي ؟ بجوار من ؟ ان الاحياء حسب الطبقات الاجتماعية معروفة ، ولكن المشكل هو الجار عن اليمين والجار عن اليسار وتجري الاستخبارات يسأل بقال الحي وصاحب الفرن ورفقاء المهنة عن هذا الجار أو ذاك ، فإن حصـل الاطمئنان القلبي والارتياح النفسي والميل الوجداني فذاك (فالجار قبل الدار) ويتم السكن مع الاتكال على الله وان انزعج الخاطر لأية معلومة من المعلومات فنفور وهروب ورفض للسكن مهما كان المسكن لائقًا ومناسبًا ما عدا اذا قرر ألا تربط أية علاقة مطلقًا حتى التحية العابرة وقد يصل الامر الى حد تحذير ربة البيت الجديدة من أن

تربط أية علاقة مع النساء الجارات مطلقاً ولربما يكون السبب هو النساء بالذات

ونمضي مع الجوار الحسن قبل أن نعود الى أجواء الصداقة فبمجرد ما يسمع الجار القديم عن جاره الجديد يقوم أيضاً باستخباراته ، اذا لم تكن هناك معرفة فإذا كان الاب معروفاً والجد كذلك ، فلا ضرورة للسؤال ، وانما يتقدم من تلقاء نفسه ، مرحباً ومنوهاً ومبدياً كامل الاستعداد ، ويقرن القول بالعمل ، فيكون في الخدمة عند حمل المتاع وترتيب البيت وقد تغتنم الزوجة أول فرصة لتتعرف على جارتها الشابة وتكون في خدمتها ومساعدتها وارشادها

وتمضي الايام وهي معها ، قريبة منها عند الوحم ، مساعدة عند الحمل وملازمة عند الوضع ومعززة عند التربية والتنشئة وتبلغ المداخلة حدها حين تكون لها ناصحة ومصبرة عند حدوث شيء من التوتر في العلاقات بينها وبين زوجها ، فتتدخل هي لدى المرأة وتعمل على أن يتدخل الرجل لدى الرجل وقد يقيمان وليمة صغيرة يكون في نهايتها تصالح خصوصاً اذا كان هناك "ظهور" بين الاسرتين فعندئذ تقود الجارة الغاضبة الى زوجها ويكون الرجل في استقبال المرأة بجانب الرجل النافر وينتهي كل شيء

هذه أجواء للخير لا شك فيها ، غير أن أجواء الشر قد تكون هي السائدة وغالباً ما يكون السبب هن النسوة أنفسهن لغيرة من بعضهن البعض أو لمطامع لم تتحقق أو لتشكك في العلاقات أو بسبب رد يد امتدت بطلب يصعب تحقيقه وهنا يختلف موقف رجل البيت من شخص الى آخر اذ قد يترك الرجل النساء في مشاحناتهن ويبقى على صداقته وحسن جواره غير ملتفت لما يقع ، ولا لما يقال ولا لما يهمس به وقد يبادر الجاران الى اصلاح ذات البين بالحسنى أو بصرامة وقد يحدث أن الرجل يكون "بو وذينة" مستمع الى وسواس زوجته ويثق بها ويصدقها مقتنعاً

بما تدعي فيخاصم بدوره جاره ويعاديه معاداة لا تسامح فيها فيدير وجهه عند الالتقاء في الطريق ويغادر المكان الذي يلجه جاره ، ولربما يصل به الامر الى البحث عن مسكن آخر ، اذا كان المسكن مكترى والا فإنه على الاقل يبحث عن وسيلة لتحويل الباب اذا أمكن .

الصداقة تمر بظروف أحسن من هذا كله لأنها تقوم على أساس من التجاوب العاطفي الصادق كصداقات الطفولة والفتوة والشباب وهي عهود خالية من الشوائب الخبيثة فهـي أقـرب الى الخير والسذاجة الخيرة فلا ألطف من أن ترى طفلاً يميل الى قرين له يتحدثان ويتساران ويحكيان لبعضهما أشياء من أخبار البيت وأشياء من أحكامهما على ظروف الحياة التي يعيشان فيها وهنا قد ترى الطفل السعيد ينصت بجوارحه لصاحبه ويعطف عليه ويصل في عطفه الى حد المساعدة والكلمة الطيبة والاثرة

صداقة الفتيان يعلو مستواها قليلا فالاولاد والبنات يرتفع مستوى حديثهم ، ويصيرون متعمقين فيها أكثر فلكأنهم يتفهمون الامور ويزيد في التهاب العواطف جنوح الاخيلة وتعشق المثل العليا ، ويضاف الى هذا الحماس والشغف في أي حركة أو عمل يزاولان فترى البنات منكبات في استبشار على ما بين أيديهن من أشغال كما ترى الفتيان يلعبون باجهاد ويرحلون الى الاماكن النائية بلا توان ويتعاقدون على السهر من أجل الدراسة والحفظ والمنافسة

تاتي بعد هذا صداقة الشباب وهي صداقة تأخذ في النضج وتدور ـ اذا لم يكن هناك شاغـل دراسي ـ حـول التشارك في الهوايات والمسليات ومستوى هذه الهوايات والمسليات قد يعلو فيكون مثاليًا وقد يسفل فيكون سافلاً بحق والمجتمع يغفـر السفالة ولا يغفر المواقحة بها ولكنه يمجد الاطهار الاتقياء وسرعان ما تحل فترة الزواج وما يسبقها وما يواكبها وما ياتي بعدها من شواغل ، وهنا تجد تعاضد الشباب على أشده خدمات متواصلة

ومساعدات بلا توقف ومشاركة قلبية حتى لحظة "الدخلة" !

بعد هذا يدخل في الرابط القديم الذي كان يجمع بين قلبين على المودة والصداقة يدخل عامل الضيفة الجديدة الزوجة صاحبة التأثير المباشر على الزوج الذي كان فيما سبق صديقاً ولا جدال في أن القرب العاطفي والروحي والجسدي أشد في الزواج حتى ان الزواج الناجح يوجد رابطاً عميقاً متيناً سامياً لا مثيل له في الروابط السابقة ومن أجل ذلك تفتر العلاقات الاخرى قليلا قليلا وقد يبقى عليها مجاملة من حيث يتم اللقاء بين الحين والحين في قارعة الطريق أو على كرسي مقهى - إن كانا من هواة التردد على المقاهي وقد يجتمعان على طاولة الـورق ان كانا من هواة لعب الورق والا فإن الطير يلازم وكره وقديماً عبر المثل عن مثل هذا الموقف بقوله "وربي لي بيتي انوريك نويتي" !

تبقى تلك الصداقات التي "تخلد" أي تستمر باستمرار وجود الصديقين ان من صداقات الكهولة والكهولة فترة الانهماك في الاشغال التي يتصل بعضها بالبعض الآخر ، وهي فترة الاعباء والتحمل والمواجهات والمآزق وهنا يكون الرجل في حاجـة الى رأي غير رأيه ، ومشورة قبل البث في اختياراته ، فهنا يكون الصديق هو المعضد والمعزز والمسدي للنصيحة والمساعد عند التنفيذ خصوصاً وان بحر الحياة تعلو أمواجه بدرجة غير متوقعة وغير مسالمة فيكون من الطبيعي تلمس (طوق نجاة) وأحياناً لا يكون طوق النجاة هذا الا في الصديق الوفي اذ تكون المرأة أي الزوجة عاجزة على أن تلعب دورها الحاسم كما أن الاقارب قد يكونون هم أنفسهم عاجزين

اذن لا غنى للانسان عن صداقة يبدل بها الاجواء العادية المعهودة حيناً ويدفئ بها عواطفه ويعطيها دفقة منشطة فتلمس المحبة عند شخص آخر لا تربطك روابط عائلية ونسبية به ان تلمس تلك المحبة شيء مسعد حقاً

22 ـ من العادات والتقاليد والاوهام :

الكلمات الثلاث يمكن أن تعتبر مسميات لشيء واحد اذ ما هي الا أقوال وأفعال وخواطر لا تخضع لعقل ولا لمنطق ولكنها مع ذلك مستحكمة يتمسك بها النساء تمسكًا شديـدا ويسالمها الرجال وقد لا يرى بعضهم بأسًا في ممارستها

وميدان العادات والتقاليد والاوهام شاسع وما يروج فيه كثير وطريف ، أحيانـًا يبعث على الضحك ، حتى عند من يمارسونه ونبدأ بالانسان فالمليح الوجه يتفاءل به ويرغب في صحبته والدميم يحس الجميع بنفور منه ، مع ان هذا وذاك لا يد لهما فيما أعطى الله والعيون الزرقاء يعجب بها كوصف من أوصاف الجمال ولكن في الواقع يتشاءم منها فالقولة الشائعة هي "العين الزاهقة والزرقة والدقة" أي العين الزائغة أولاً والضيقة ثالثـًا كلها مؤذية وصاحبة الشامة المصطنعة لا يطمأن اليها ، فلربما يكون في ماضيها ما يشين وصاحبة الفم الواسع منفرة ظنـًا انها "بئر بلا قعر" أي لا تشبع ومستعمل اليد اليسرى لا يخلو من بركة ! والكبـير الاطـراف خشن "مهيش" أي أقرب الى البهيمية وقلة اللياقة واللباقة ويتوقع من أنيؤذي ماشيًا أو قاعداً أو عاملاً فقد يطأ عى الغير برجله وقد يفسد ما هو جالس عليه من فراش ، وقد يكسر ما بين يديه من أشياء أما النحيف فظريف حلو ! الابتسامة والضحكـة الجميلـة والصوت اللطيف ، كل ذلك يزيد في محبة الاحباب والعكس ينفر ، السخاء وحتى التبذير مرغوب فيه أما البخل وشدة التدبير والتقتيـر فكل ذلك أيضًا ممقوت الرجل الضحوك "الهرهوري" خير من الجدي الصامت العبوس

ويتفاءل بالاولاد لا بالبنات لاعتقادهم أن البنات عبء كلهن

ويذهب بعضهم الى التحدث للمرأة وهي حامل على أساس أن ما في بطنها جنين ذكر ، ويا لخيبة الرجاء إذا لم يتحقق الامل ! ويحرص كل الحرص على أن تعطى المرأة الحبلى كل ما تشتهي وهي تتوحم والا تعطب الحمل وسقط كما انه يبعد عن بصرها كل قبيح وبشع ودميم ، والا ولدت مثلما ترى ويليق بها اذا مــا حدقت محدقة شريرة العين ، في بطنها العامرة أن تضع كفها مفتوحة بأصابعها الخمسة فوق بطنها

وتسمية المولود والمولودة تراعى فيه الاحوال أو المناسبة فهو ابن العيد "بلعيد" ان ولد يوم العيد وهو "بوجمعة" ان ولد يوم الجمعة ، وهو عبد الغني ، إن ولد وكان الوالد في حالة مالية ليست ولابد وهو "بوعبيد" ان جاء بعد نذر للولي "سيدي بوعبيد الشرقي" بأن يسمى الولد باسمه ان كان ذكراً بعد امتلاء الدار بناتاً وهي "غيثة" ان ولدتها أمها بعد جهد وعسر وهي بدر البدور ان ولدت في ليلة مقمرة

وفي نطاق الاوهام ترى العلاقة مع الاقارب ، وهي مطبوعة بالحذر واخفاء مظاهر النعمة ما وسع الاخفاء فان كان ولابد من الاظهار فإن ربة الدار "تقلب لسانها في فمها" نكاية في الحساد وتعمد ــ عن قصد ــ الى حك صدغها بابهام كفها اليمنى مع ضرورة فتح الاصابع الاخرى وقد يصر رب الدار كما تصر ربتها عــلى أن يذكــرا أثمان المشتريات مقرونة بالرقم "خمسة" ومضاعفاتها بكيفية ظاهرة ومؤكد عليها اتقاء للشر والشر هنا هو ضربة العين والا فلابد من احراق (الشب والحرمل) أو حمل قليل منهما والا فدق حذوة حصان على الجدار أو تلطيخ الكف بالصباغة ورسم بالبصمات كاملة على الحائط وقد أورد كاتب يهودي من المغرب في كتيب له أشياء من مثل هذه وقال انها من عاداتهم فإن كان ذلك مقتبساً فبئس المقتبس !

هناك رعب كامن في قلوب بعض الناس من السحر والسحرة والاسباب كثيرة التي تدفع إلى اذاية الغيــر مزاحمة في تجارة أو

صناعة أو أي باب من أبواب الكسب مثيرة للغيظ الرغبة في انتزاع عقار من العقارات ، تمنع احداهن عن التزوج من أحدهم واطلاق لسانها من حق هذا المتجرئ على الخطبة الشعور بالغيرة أو الحقد من سعادة زوجية أو بنوية ينعم بها أحد السعداء والسحر عبارة عن كتابة حجاب على يد أحد (الفقهاء) المتفرغين لهذه الحرفة ، والحجاب المكتوب يجعل المقصود به يخرج من طور الى طور من سعادة الى شقاء ، من استقرار الى اضطراب من سعة الى ضيق من صحة الى مرض ، من تعقل الى جنون وهذا من أخطر المشاكل التي يخاف منها في العلاقات الاجتماعية ، خصوصاً بين الاقارب ومن هم في حكمهم

بعض كتبة هذه الاحجبة تشد اليهم الرحال في أقاصي الجنوب أو أقاصي الشمال ، ويجزل لهم في العطاء وتنذر لهم العطايا والهدايا الفخمة "ان قضي الغرض" ، ويتعامل البعض مع كتبة الاحجبة اليهود التي يكتبونها بالعبرية وهم أخطر الكتبة على الاطلاق لأن سحرهم لا يمكن أن يبطله الا يهودي ، وهو لا يفعل أبداً ، زيادة على أن (دقتهم ما تتنوض زغب) ! أي ضربتهم شديدة وعميقة لا يعود الشعر الى النمو بعدها !!

بعض الناس من المتنورين حتى من غير المتعلمين لهم أوهامهم

- حك الشارب ينبئ بقرب قدوم عزيز من الاعزاء ، فيكون السلام
- رفة العين الشمال فرحة على الكمال
- حك الراحة اليمنى انفاق قريب وحك اليسرى قبض قريب
- وخزة تلقائية في ابهام الرجل دليل على حدوث ما يكدر
- عض اللسان توقع لأكلة شهية
- كثرة الضحك واشتداده يعقبه كدر غير متوقع
- مواء القطة المتواصل الى حد الازعاج نذير سوء
- لحس القطة لقوائمها نداء على رزق غير منتظر وهكذا

أما تفسيرات الاحلام فكثيرة بكثرة الاحلام ، منهم ومنهن من يقضي

الايام يفكر من حلم رآه ، ويتوقع توقعاً أكيداً حدوث شيء ما ، في كل لحظة

شاغل يشغل بعض الناس ذلك هو الرغبة في الاطلاع على المستقبل ومخبآته فهم إذا كانوا في حالة طيبة فهم يريدون أن يعرفوا المستقبل خوفاً على النعمة التي يتقلبون فيها وان كانوا في حالة غير سارة فهم يودون أن يعرفوا المستقبل وهل لحالتهم البئيسة من نهاية ؟

ومحاولو كشف مخبآت المستقبل خصوصاً النساء منهم والمعروفات بـ "الطلاعات" بتشديد اللام هن وهم ذوو دهاء وفطنة لا حد لهما يقبضون رأس الخيط كما يقال ، ويحدقون في العيون ، وينتظرون أن تنطق الالسنة ولو بالقليل من الكلمات ، ليعرفوا ما تخفي الصدور وليعرفوا في أي اتجاه يكون حديثهم ، وغالباً ما يكون حديثاً عاماً بالعموميات

هناك من جهة أخرى ، حساسية كبيرة يعاني منها بعض الناس ذلك أن امرءاً يكون عازماً على انجاز مشروع من المشاريع فيحدث أثناء ذلك ما يزعج ، كفرقعة شيء ملتهب أو تكسر شيء من الاشياء بين يدي صاحبنا أو أن يسمع أنيناً أو صراخاً أو أن تتناهى الى سمعه تهليلات مارين بجنازة وعند هذا يملأ التشاؤم جوانح صاحب المشروع فيلغيه فوراً او على الاقل يؤجله وينصرف الى عمل آخر

اناس آخرون وصلوا الى حد بعيد من التشاؤم والتضايق أو الميل الى السلامة والكسل فهم يستبعدون عن اذهانهم كل تفكير للظهور في أي مجال من المجالات فهم لا يريدون أن يظهروا او يعرفوا او يشتهروا الانزواء عندهم افضل والتستر أسلم وراحة البال لا تقدر بثمن ولا سبب لذلك الا التخوف من (بني أذى) يقصدون (بني آدم) ومعلوم أن مثل التفكير الواهم لو عم جميع الناس لتوقف النشاط العام ولشاع الدمار والخراب والكسل ولمات الطموح

تماماً في النفوس ولتدهورت الحضارة والعمران والانشطة التجارية والاقتصادية والفلاحية وغيرها

ويقول الناس العقلاء ان المتشائمين والمتوهمين والمتوخوفين هم الذين يتعثرون ويصابون بالفشل أما الحازمون العازمون غير الهيابين فهم ناجحون أبداً ولا يخصهم خير !

يبقى وهم كبير يتعلق بمسألة الجن وكان يدخل في الاعتبار الى حد بعيد فكلما ذكر اسم "الجن" الا وعقب السامع بذلك عبارة "باسم الله" ، ويزيد الواهم في الوهم فيقول انه يسمع لهم حساً وحركة وحتى مضايقة وخير ما تفعل ذوات الايمان هو انهن يتلون بعض الآيات المباركة خصوصاً آية الكرسي أما اللواتي يجهلن القراءة فيبادرن الى اطلاق البخور

ويبالغ المتوهمون في توهماتهم فيقولون ان خير مساكن الجن هي الكهوف الملاصقة للبحار والابراج والقلاع والديار المهجورة وكذلك المقابر والمحاجر المنسية بل يتوهمون أن بعض المساكن مشؤومة بسبب اقامة الجن المؤذين فيها ولذلك يتناقل الناس أسراراً عنها وقد يغادرها ساكنوها من أجل هذه الاشاعة ولو تحملوا من أجل الاستقرار ما تحملوا

وتحكي بعض النسوة بأنهن تعارفن على ساكنات الدار الجنيات وجاملنهن وعقدن معهن تحالفاً طيباً ليسود معه الوئام والسلام بين الطرفين فلا إذاية من أي منهما ومن جملة ما تتأذى منه الجنيات هو صب الماء الساخن الغليان في المجاري وإهراق النجاسة في بعض الاماكن أو اشعال النور طيلة الليل مع الاكثار من الحديث والضجيج ، أو رمي شيء حاد على حين غفلة وغير ذلك من التوهمات !

23 ـ الامثال الشعبية والنكات والحكايات والاحاجي

للوسط الشعبي شواغله الفكرية وله آدابه وفنونه يأخذها الخلف عن السلف مشافهة وبطريقة عفوية خالية من التكلف وخلال المعاملات اليومية وداخل المسكن وفي الشارع وفي الاسواق وعلى أبواب المتاجر وعلى كراسي المقاهي وفوق الدواب وفي الحافلات لا يحتاج الى وقت مخصوص أو مكان معين أو جلساء متخيرين تاتي مناسبة المثل ـ وما أكثرها ـ فيطلقه الحاذق تدعيماً لأقواله وقصداً منه الى التأثير الشديد على محدثه وتلوح سانحة النكتة فيصوغها وفق الظروف والاحوال ويرسلها هينة لطيفة منبهة أو عاصفة راعدة موجعة ويحيط به أحفاده الصغار فينعش الفؤاد بلقياهم ويملأ السمع بنجواهم ودفعاً للمشاغبات التي لا تخطئ طفلا متحركاً ذكياً يعمد الى سرد الاحاجي أما الحكاية فلها ظرفها الخاص وجلستها الخاصة ، وجلساؤها الأخصاء فالحكاية أطوار ومواقف ، ومراحل ومشاهد ، والحرمة والمقام يقتضيان أن يكون السامعون على مستوى السارد

ان الامثال تراث منقول ومحفوظ ومضبوط والفطنة فيه أن يستعمل في الوقت المناسب عند الحادثة المناسبة بالاسلوب المناسب والامثال كثيرة ومتنوعة ، تختلف صياغتها من مدينة الى أخرى ويزاد عليها هنا ويتوسع فيها هناك وليس هذا الفصل يحصرها أو يستقصيها ولكن نكتفي منها بما يلي جاعلين منها مجموعات منظمة على أبواب معينة

أ ـ الامثال الوجزة ذات الرنة

1 ـ آح ، بردت !
ـ حج ، وحاجة
ـ عشاق ملاك
ـ زرب ، تعطل

5 ـ بوه يشبه بوه
ـ ستة من ستين
ـ طارو ولا لحگوه
ـ نارو على منقارو
ـ عش نهار ، تسمع اخبار
10 ـ سيدي ، بسيادو
ـ اللي غلب يعف
ـ لا تعمل شاي ، لا تخف شاي

ب ـ **الامثال المطولة المنغومة**

ـ الحنة حرشة والماشطة عمشة والعروسة فيها بوهزهاز
ـ مول الطاحونة والسانية والمرا الثانية حتى ليلة مايبات هانية
15 ـ امشات عيشة تجيب القزبور جات حبلا ، من سبع شهور ولوكون ما خافت من الطلاق كون بقات حتى خلاق
ـ بني عفان ايلا عاشو عيشة الذبان وايلاماتو يسعولهم لكفان
ـ قالت العودة من نهار اللي ولدت ، ما كليت علفي وافي ، ولا شربت مايا صافي
ـ كيفتش على جوا منجل وطربوش العجل وسروال الجمل
ـ اطلع تاكل الكرموس اهبط اشكون قالها لك ؟

ج ـ **امثال تتعلق بالخلق الصالح وحسن التصرف**

20 ـ سعداتك يا فاعل الخير
ـ سير بالنية وارقد مع الحية
ـ مني ومنك ينطبع ومن واحد وحدو ينقطع

ـ الحرة ايلا صبرت دارها عمرت
المعايرة فالوجه صابون وفالظهر طاعون

25 ـ اضربني وابكا واسبقني واشكا
ـ الكرش اغرارة واربـاطها عقل
ـ قوت الريوي تتغرق السفن
ـ أنت مير وانا مير الله يجيب اللي يصوك هذا الحمير
ـ لعوين مع النصارى ولا الكلاس اخسارة

30 ـ اللي اعمل راسو فالنخالة تينقبولو الدجاج
ـ اللي غاب عليك أصلو شوف فعلو
ـ ايمارت الدار على بابها
ـ ريح ساعة يخلي كاعة
ـ اللحفر شي حفرة يطيح فيها

25 ـ الزين فالدفلة والدفلة حرا
ـ اخنيفسة تنوس خير من اغزالة تهوس
ـ لا خير فلسانو لا خير فمكانو
ـ طاس الذهب يتبزق فيه الدم

د ـ أمثال لها علاقة بتهذيب الطفل

ـ الفكوسة من الصغر تتعواج

40 ـ اربط احمارك مع الحمير يتعلم الشهيـق والنهيق وخرجان الطريق
ـ كيفصل الزناقي ويخيط الدروبة
ـ اللي ما سمع رأي كبيرو الهم تدبيرو
ـ انهيه ، انهيه وايلا عما سير وخليه
ـ كيتقضا مال الجدين ويبقى ما فاليدين

45 ـ أولاد لفشوش يخرجو حلوية

ـ مع من شفتك   مع من شبهتك
ـ ايلا جيت تقرا غرب   وايلا بغيتي تجرب قرب
ـ الطالب لا تريه ، ومن بعد ماتريه فاهم !

هـ ـ امثال تخص الفطنة والحذاقة والوعي بالامور

50 ـ كن اسبع وكلني   ولا تكونشي ذيب تمرمدني
ـ ازضم صحيح تمشي غاني
ـ امياك تخميمة وتخميمة ، ولا ضربة بمقص
ـ قليل ومداوم   خير من كثير ومقطوع
ـ شد ، تجبر ما تحل
ـ الضربة للسارية والمعني للجارية

55 ـ اللي اجبر ما احسن من لعسل ، يلعقو
ـ النفس نفس الملوك   والحالة حالة المساكين
ـ حل بابك وتبختر   ولا سدو تستر
ـ السلطان بالتاج تيحتاج
ـ غدا نسقيك آ الكامون

و ـ امثال تدور حول شؤون الحياة

60 ـ اللي صابها ليلو ، ما اعطاها لغيرو
ـ المحبة الزربانة مفرقة علايام
ـ ادهن راسو بلعسل   وخشاه فغار دلذمل
ـ منين لحقت عليك يا وجهي خبشوك لقطوط
ـ داري ، يا سترت اعواري

65 ـ آحاح على غدا   أما اليوم عدا
ـ لا تشكر   لا تذم ، حتى تجرب عام
ـ شداك لقرع تمشطو راسو ، وهو بناسو
ـ ايلا كان حبيبك عسل   لا تلعقوش كلو

ـ الشطايري تيتعشى زوج د النوبات

70 ـ اللي خلا حرف من الشرع تيحوزو الله عليه

ـ ايلا بغا اللاما تيتعما

ـ ايلي ضربتو يديه ما يبكي

ـ قالت ام لعروسة لبنتها گاع بكاو ومشوا آبذيتي

ـ وري لي بيتي انوري لك نويتي

75 ـ اللي جات تفوت

ـ حبني محبة خوك واحاسبني محاسبة عدوك

ـ اللي درقك بخيط درقو بحيط

ـ بنادم يا كحل الراس خايبة فيك طبيعة السن يضحك السن والقلب فيه خديعة

ز ـ امثال تضرب في شأن ما يصون الصحة الجسدية والنفسية

ـ تغذا وتمدا تعشا وتمشا

80 ـ النواض بكري بالذهب مشري

ـ حضي لي ساسي وراسي وخلي لي كسدتي تقاسي

ـ الضر بالقنطار والراحة بالنوايا

ـ الضر بالقنطار ، والراحة على راس الييرا

ـ بعد من لبلا ليبليك

85 ـ سل مجرب لا تسال طبيب

ـ لا عين شافت لا قلب يوجع

ـ سفلك ترتاح

ـ اللي ضحك فرح قلبو واللي بكا عما عينيه

ـ العين اللي تموت شبعها شوف !

90 ـ نباتو بلا ذنب نصبحو بلا معصيا

ـ الله يعطيك ما اعطى للساكن وحدو

ـ هاني من لا ساق اخبار
ـ القلب المغير   الوجه يعطيك اخبارو
ـ الهذرا بين زوج والثالث خلاط

ح ـ أمثال فيما يتعلق بالمال وأساليب تصريفه

95 ـ اللي ترهنو بيعو   واللي تخدمو طيعو
ـ اللي خلص دينو شبع
ـ على قد فراشك مد رجليك
ـ قلت الشي تترشي
ـ فليس على فليس   تولي كديس

100 ـ بات بلا لحم ، تصبح بلا دين
ـ بحال الكسكاس   منين تيقوى رزقو تيتغمضو عينيه
ـ اللي عجبو رخصو   فالدار يخلي نصو
ـ ضربو لحلقو ينسى اللي خلقو
ـ الله يرحم من مات ، وخلا الميدة عامرة فتات

105 ـ اشر الملك   باش ما كان ، وفاين ما كان ، وخليهم يشمتوك
ـ الحر حر   والصنعة ماتضر
ـ هود مساري واطلع شاري
ـ اجبد لا ترد ، للقاع توصل
ـ الضحك تيفسخ البيع

110 ـ بالنقطة تيحمل الواد
ـ اللي بسعدهم تيكسبو   والزغابا تيحسبو
ـ لاجورا في الحيط خير من ياقوتة في الحيط
ـ ارفد خراهم لا تسعاهم
ـ ايلا شفت المزلوط غادي زربان ، عارف مول لفلوس سخرو.

115 ـ اللي ما عندو فلوس ، ديو مسوس واگلاسو بين الناس اخسارة
ـ صبييع ما يخوي الكُلة
ـ زوف تبيع
ـ تيشوف البزقة تيحسابلو درهم !
ـ كليت بيك آ السمن

ط ـ أمثال مرحة ولاذعة ، وموجهة في نفس الوقت

120 ـ الله يجيب اللي يحسن بنا ، يعطينا بنتو ، ويخدم علينا.
ـ الخادم تتعنا بنهود لالاها
ـ هذي من الغرايب ، المرا مكحلا والرجل غايب
ـ زهيرو محفرة ، ولا ديو مع امرا اخرا
ـ راجلي على سبة ، طلقني على حزقة

125 ـ اشكون شافولك يا لمسوكـة بالليل والمكحلـة عند القنديل .

ـ دوايت الحزاقة واللماقة ، والمخفيفة الزاهگة ماجبرت لها طاقة !
ـ اقلب القدرة على فمها ، والبنت تشبه لمها
ـ قران ، ومعصي ، وبايت فالحبس

130 ـ أعلى قلة الوالي ، نقول لعبد خالي
ـ جا ، ريناه ، امشى ، نسيناه
ـ للامليحة وزادتها الترويحة
ـ للا زينة ، وزادها نور الحمام
ـ حاجة الخاطر تسوى القناطر وحاجة بزز تسوى الدبز
ـ ذاقو سعيد وجبرو لذيذ واحلف حتى يزيد

135 ـ بحال مهراز دار الدباغ دک انت دک انا
ـ مريقت جارتي تتعجبني

ي ـ أمثال تدل على رقة الشعور ورهافة الاحساس

ـ عينك ميزانك .
ـ العارف شوفتو اكفاتو
ـ غير انت اومي   وانا نفهم
140 ـ الحر بالغمزة   والعبد بالدبزة
ـ كيفيق بالندا   ايلا طاح
ـ جوعي فكرشي   وعنايتي فراسي
ـ الحجرة من يد الحبيب تفاحة
ـ على وجه الكتاب تتباس الجلدة .
145 ـ الرجل فالرجل   والحزارا بنت غم الذل
ـ تيسال على البيضة ومن باضها
ـ اللي فاتك بليلة   فاتك بحيلة
ـ كيوقف البيضة فالطاس
ـ كيزضم على الزبيبة   ويفيق بحلاوتها
150 ـ الزيزون ماتتفهمو غير مو
ـ ايلا فاتك الكلام   قل سمعت   وايلا فاتك الطعام قل شبعت
ـ مايبكيلك غير شفرك   وما يحكلك غير ظفرك
ـ طاح الحك فالما   واجبر اغطاه تم.

يا ـ أمثال لا تخلو من قسوة في شأن العلاقات الاجتماعية

ـ كل مع خييك ، واحض من خييك
155 ـ لا تعمل خير ـ ما ترى باس
ـ الاقارب عقارب
ـ خوك فالصنعة عدوك
اللي غيعمل الخير   يعملو فراسو

ـ ايلا يعاود يعاودلو الحجام !

يب ـ أمثال تتعلق بالحياة ومشاكلها وخطط السير فيها

160 ـ كل التبن ، وادهن فمك بالسمن ، ودوز على عدوك مصبن ، حتى يقولوا هذا ولد من ؟

ـ كل محنة تتزيد فالراس عقل

ـ شوية لربي ، وشوية لقلبي

ـ اللي بغا التريد يعملو من اعشانو ، واللي بغا لعروسة يعملها من مراتو

ـ الشي من الشي نزاهة والشي من قلة الشي سفاهة

165 ـ جاري يا مرايا لا ما شاف وجهي ، يشوف قفايا

ـ آستر ما ستر الله

ـ اللي قوا زعفرانو يعملو فغلالة

ـ بحال الشايك دمو على خدو

ـ دار قد سقالة

170 ـ بحال العربي فالشماعين

ـ اشكون حمو فسلا واشكون عيشة فالدوار

ـ شاط الخير على زعير ، حتى دفكوه علرياط

ـ العربي والفار لا توري لهم باب الدار

175 ـ فلاح مكفي سلطان مخفي

ـ اللي حرث اجمل دكو

ـ كل ثور تيحرث مع قرينو

ـ قام قيمة واهدم خيمة

ـ مولات العگيگ ما تمكاش

180 ـ شبعت أنا واشبع حراتي ارفد يدك آمراتي

ـ زيدها تبينة تزيدك حليبية

ـ هذا النقيلة من ذاك النخيلة

ـ انشم يدي ونقول شبعت

ـ كل ازرع يجيبلو الله كيالو

185 ـ كفوس غلوس

ـ كل فولة مسوسة تيجبلها الله فروج اعور ياكلها

ـ كزار ويتعشى بالفرت

ـ بعدما كلا وتكا ، عاد قال الخبز ما لو بلا مسكة ؟

ـ سلفو والعب معاه اشمن فضل تدي معاه

190 ـ اللي تشطح ما تخبي وجها

يج ـ أمثال فيها تنويه بالعمل والعاملين وتمجيد الحرفة

ـ الصنعة ايلا ما غنات تستر وقيل تزيد فلعمر

ـ اخدم باطل وماتبقاش عاطل

ـ الخدمة مع النصارى ولا الكلاس اخسارة

ـ زوج حرفات ما يتلاقوا فلراس

195 ـ قوت الصنايع ، والرزق ضايع

ـ ولد المعلم عندو النص فالصنعة

ـ حرفة بوك لايغلبوك !

ـ بناي ايلا راح

لا زربا على صلاح

200 ـ لو كانت تساوت لعقول كون بارت السلوع

ـ احوانت متصافة والرزاق متخالفة

ـ ارحم الله من رقى شغلو وتقنو

ـ تيتسنى الفار يجر به الهيدورا

يد ـ ويتداول البستانيون الامثال الآتية المأخوذة من تجاربهم

ـ ايلا خرجت الليالي لا تشري ثوب غالي

205 ـ ازبرني قبل الليالي والا خلي لي ديالي (على لسان الشجرة)

ـ فشهر يبراير تتصب الشتا بالغراير

ـ مارس الضحاك ، مرة شرقة مرة برقة

ـ مارس وهوالو يبريك وفوالو !

ـ بريك إلظليك نهارو الطويك مايخلي كسرة فمنديك

210 ـ ايلا كان مارس يسيك وابريك ظليك ومايـو صافي صقيك الثلث فالصابة كيحيك على يـد الخماس الذليك

ـ سعد بلع ، كيجمد الما فراس القراع

ـ سعد الذبيح لا وجهاسميح لا كلبا نبيح

ـ سعد البلدة ، كيرد العروسة جلدة ، والعكوزة قردة

ـ سعد السعود ، كيجري الما فالعود ، وتيسخن كل مبرود وتيفضفض كل مولود

215 ـ اشتا صبت على العلام !

ـ الشمس على الروا زهوا

ـ الخوخ نور

ـ فاتك الغرس قبل مارس والزريعة قبل مايو

ـ كل محولة مذبالة

220 ـ ايلا حمارت عند العشي ، اطلق احمارتك تمشي وايلا حمارت فالصباح اطلق احماتك ترتاح

ـ ايلا شفت الضباب عارف موراه الطياب

ـ ايلا هاج البحر راه تيعيط للشتا

ـ ايلا داز ابريك ، اعمل فوق البحر سرير

ـ ايلا شوفت التين استنى الطين

225 ـ غشت أولو تين واخرو طين

ـ ايلا ولاو أوراق الكرمة قد وذنين الفار ذيك الساعة كيتقد الليك مع النهار

يه ـ أمثال جاءت حول الحيوانات أو على لسانها

ـ قالوا للبغل شكون هو باك ؟ قالهم العود خالي !
ـ ايلا رخاص الشعير اغلات الحمير
ـ الثور ما يعييوه قرونو
230 ـ حتى خروف ما خلاق بالصوف
ـ الجمل ماتايشوف حدبتو تيشوف حدبت عمتو
ـ تيعض فدارو بحال الكلب
ـ ضياف الدجاج
ـ ايلا شفت موكا خطابة اعرف بوعميرة هو العريس
235 ـ البطوير الحاذق من منيقرو تيتشد
ـ اكبرتي يا فريرج ودرتي لبنينرا !

يو ـ أخيرا جاءت أمثال بايحاء من التعامل مع أمم أخرى

ـ اشبع مال حتى غرنط
ـ غادي بيه حتى قرطاخنة
ـ "زغبي" ولا وكال
240 ـ قبة على سنداس
ـ حالتو حالت بيدرو
ـ اسمع لا تكونشي "روسي" !
ـ فعايلو فعايل الكريك
ـ هذي افعايل السلاگط
245 ـ لالمان ايلا دبر واللينكليز ايلا بحر والفرانسيس ايلا جدر

هذه مجموعة من الامثال تبلغ ـ كما نرى ـ مائتين وخمسة وأربعين مثلا لقد تعمدنا فيها بعض التوسع والاحاطة لتكون دالة على مرامي ومقاصد الشعب من وراء إرسالها ثم ليرى القارئ ـ حالا ـ

ومستقبلاً – من أية مهارة لفظية وفنية هي مصوغة ومن أية فلسفة اجتماعية هي نابعة وعلى أية جدية في السلوك هي دالة ثم على أي مبدإ مرن ومرح وغير صارم هي مبنية فالشعب الذي صاغها شعب عربي في اصالته ومتمرس بالحياة وهو فاهم وحاذق وثاقب النظر كما أنه فياض الجوانح مفتح النفوس شديد التمسك بالامل متفائل بالحياة قوي الرجاء في السعادة دنيا وأخرى

24 ـ الاحاجي والحكايات والنكات

هواية شعبية شائعة انما بين البنات وبين النسوة خصوصاً منهن المتقدمات في السن ، اللواتي يملأن الجو من حولهن بالاحاجي والاحاجي معميات لفظية طريفة وعجيبة البعض منها يـدور حول النبات ـ مثلاً والاشياء والبعض منها يدور حول الانسان نفسه البعض منها بريء في لفظه والقليل سفيه البعض معقول والبعض يتراءى وكأنه مجرد ترصيف للالفاظ وهذه امثلة لذلك

حول النبات

- دقيت فباب السانية اخرج لي عبيد لابس وندية فوق وندية ، ويقول آح آمنتي البرد في قبتنا خضرا وسكانها عبيد ومفاتحها حديد

حول الاشياء

- بير فوق بير كل بير بغطايتو
- طويل وصفر يتخبا عام ويتجبد شهر

حول الانسان

- لا فعلالي زينها يراري بعد الحجبة والرتبة يلعبو بها الدراري
- لا الباهية زينة الريش والريش داير بها ماتباع ماتشرا مايتدفع مال فيها

البعض البريء

- قدو قد خاه ماجبر يتلاقى مع خاه
- دورها دور الحلقة واغواتها يحمي زنقة

غير البريء لفظاً

- قفة د الزغب تحتي يا بنت اختي

• يباتو متعانقين ويصبحو متفارقين
والمقصود على الترتيب الكرنب ، الدلاح القصبة ، النفير المستعمل في رمضان ثدي المرأة العين الجدران الغيطة جلدة الشاة للجلوس مصاريع الابواب

والاحاجي فن يشغل النساء ـ كما قلنا ـ فيما بينهن وقد يشغلن بها أحفادهن وأبناءهن ويرمين بها تهدئتهن في جلسة مريحة صامتة الى حين وهي ـ مع الاسف ـ لا تحظى من رجال البحث بكثير اهتمام ولو انها مستحقة لذلك

تبقى الحكاية وهي تمثل تراثا عظيما من تراث الشعب وهي كذلك فن منقول شفويا ويضفي عليه كل حاك من نفسه وذوقه وحنكته فالحكاية الواحدة قد تسمع لها أكثر من أسلوب فقد يكون وافيا اطنابيا مشوقا لا تمل معه مرور الساعات وقد يكون مبتسرا سوقيا منفرا ان الحاكي أو الحاكية غير الموفق تبقى حكايته في فمه ويتفرق الجمع من حوله

الميدان فسيح لا جدوى فيه حتى من ذكر العناوين لتلك الحكايات ، لانها من الكثرة والتنوع الى حد كبير ، كل ما يمكن قوله ، انها حكايات في طيها أساطير وغزل ومروءة وكرم وقد تاتى على مشاهد من حياة القوم ومجالسهم وتصرفاتهم وآمالهم وأمانيهم وتنوه بتصرفات الخير وتذم تصرفات الشر وتشنع على مهازل المغفلين وتشيد بسلوك النبهاء

وهذه احدى الاساطير بعنوان

عيشة بنت الحطاب مسودة سعدها بيدها

ـ ماتت امرأة ، وتركت ابنة اسمها عائشة ، تكفل أبوها برعايتها المساء يكون قد باع البضاعة واشترى لوازم البيت وسارت الايام هكذا

ـ ذات يوم وهو يحطب خرج عليه رجل أسود ونبهه الى ان

سيده ـ سيد الغابة ـ قد قلق من كثرة الضجيج والضرب في جذوع الاشجار لكن الحطاب اشتكى اليه سوء الحال

ـ امهله العبد وانقلب الى سيده ليخبره وفعلا عـاد ومعه رحى حجرية وكانت الرحى من الحجم الصغير الصالحة للاستعمال ورفض التزوج

ـ كان يتركها في البيت ويذهب ليحتطب وعندمـا ياتي المنزلي

ـ بمجرد رجوع الحطاب الى بيته أجلس ابنته بجانبه ثم أدار الرحى وفي الحين حضر العفريت المرصود على الرحى وأظهر الطاعة وحسن الاستعداد فلم يسع الحطاب وابنته الا أن يطلبا كل ما يخطر على البال

ـ وبتحسن الوجبات الغذائية تحسن الحالة الصحية للرجـل وللبنت وكان ان لاحظت احدى الجارات ذلك فاستخبرت البنت الساذجة التي لم تكن معها وصية فباحت لها بكل شيء وهنا ألحت المرأة الداهية ان ترى ذلك الرحى العجيبة

ـ تركت البنت الطائشة الرحى وذهبت تلعب وانسلت المرأة الى السوق فجاءت برحى مشابهة تماماً وسلمتها للبنت وتركت لنفسها الرحى المرصودة

رجع الاب واخذ الرحى وطلب ما أراد ولكـن لا مجيب وتساءل عن السبب فأنكرت بنته معرفتها بأي شيء ومن أجل ذلك اضطر أن يعود الى الغابة ليحتطب

ـ وخرج العبد ليعبر عن استياء سيده مرة أخرى فحكى له كل شيء ولما شاور سيده أمده بـ " كنبري " وطلب ألا يترك هذه الآلة الموسيقية وراءه أبدا

ـ عمل الحطاب بالوصية ، بحيث كان لا يفارق "الكنبري" أبدا

ولما ذهب الى الحمام اخذه معه غير انه اضطر الى أن يطلب الى "الجلاس" أن يحافظ له عليه ودخل ليغتسل وكان "الجلاس" من المولعين بالنقر على "الكنبري" فشرع وهنا برز العفريت المرصود على "الكنبري" واظهر حسن الاستعداد طلب اشياء جاء له بها في الحين وهنا خرج واشترى (كنبري) آخر مشابه ولما خرج الحطاب السابق اعطاه الكنبري المزيف

– نقر الحطاب على الكنبري عند عودته الى المنزل ولكن بلا جدوى رجع الى الحمام فأنكر (الجلاس) أية معرفة له بالمسألة

– اضطر الحطاب الى ان يعود الى الغابة فبرز العبد مرة ثالثة وتساءل في غضب عما جرى فأخبره الحطاب بما وقـع ولما عاد من عند السيد عاد بقضيبين اثنين ونبهه الى أنــه من المستحسن أن يتركهما في كل مكان وهنا أعلمه أن سيده سياتي في ليلة معينة ممطرة ليأخذ عائشة لتصير زوجة له وطلب منه أن يشهد على نفسه بذلك أمام العدول ليكون الزواج شرعياً صحيحاً

– عاد الرجل واستعمل القضيبين فظهر عفريت ثالث مرصود ووافى بأشياء عجيبة ومشتهاة

– في الصباح حملت البنت القضيبين الى الجارة ما دام والدها قد أخبرها بأنه لا يمانع في أن تقرض القضيبين لمن تشاء اعتقاداً منه انها ستخبر سارقة الرحى المرصودة الاولى

– فعلا فرحت الجارة بتسلم القضيبين ، وسمحت للبنت بان تذهب الى ألعابها وبمجرد ما ضربت القضيب الاول بالثاني برز لها زبانية من العفاريت وأهطوها على الارض وجردوها من ملابسها واخذوا يجلدونها وهي تصيح وهم لا يقولون الا كلمات أين الرحى ؟ ردي الرحى ! وبعد ان شبعت البنت لعباً عادت فوجدت المراة في حالة يرثى لها ووجدت الرحى والقضيبين فرجعت بالكل الى والدها

– وفي نفس الليلة ذهب الى الحمــام وترك القضيبين عند

"الجلاس" ودخل يغسل باطمئنان ، أخذ "الجلاس" القضيبين وضربهما في بعضهما فخرج نفس الزبانية وطرحوه أرضاً وأخـذوا يضربـون ويضربون بلا رحمة ولما خرج الحطاب وجد "الكنبري" قد جيء به ووجد القضيبين فتناول متاعه وعاد الى بيته مسرورا

ـ وفي ليلة عاصفة ممطرة جاء كما اتفق متسول يطلب طعاماً لله ولم يكن ذلك المتسول الا (صاحب الغابة) نفسه جاء ليأخذ عروسه التي عقد له عليها والدها

ـ خرجت عائشة بالصدقة للمتسول فطلب منهـا أن تغمض عينيها فأغمضتها ، ولما فتحتها وجدت نفسها في مكان عظيم ،، ببنيانه وفرشه وأضوائه وخدمه وحشمه ومن هناك أخذوها الى مكان أخذت فيه نظافتها وزينتها

ـ وجاءوا بها في أبهة واحتفال لتتعشى مع عريسها (صاحب الغابة) وأخبرها أن أيام عرسها مقبلة عن قريب

ـ وحكت له ببساطة عن حياتها السابقة كما سألته بسذاجة عن مستقبلها ولم يكتم عنها أي شيء

ـ وسلاها ببعض الطرائف والحكايات الى أن أخذته سنة من النوم وهنا أخذت الفتاة تتأمل عروسها الجميل وأخذت تدقق النظر في كل مكان من جسده كما تلمست الملابس وعقد الطوق وجدت ساعة غريبة

ـ دققت النظر في تلك الساعة فظهر لها زر ضغطت عليه فارتفع الغطاء وظهرت درجات نزلت فيها عائشة وفي يدها شمعة اشعلتها وهنا وجدت جماعات من الناس كل جماعة منكبة على انجاز أعمال من أعمال تجهيز المنزل الذي ستسكنه في المستقبل فرش أغطية ألبسة جواهر وحلي وكانت كلما سألتهم قالوا (هذا لعائشة اذا هنات راسها)

ـ عادت فصعدت الدرجات وقبل الخروج اطفأت الشمعة وذهبت الى فراشها لتنام وفعلت في الليالي الاخرى مثل ذلك حتى كانت الليلة السابعة

ـ في الليلة السابعة قامت بجولتها العادية إلا أنها كانت كلما سألت الصناع والعمال عما يفعلون أجابوها هذا من أجل عائشة بنت الحطاب مسودت سعدها بيدها

ـ عند صعودها في الدرجات وخروجها نسيت أن تطفئ الشمعة ولذلك نزلت قطرة من الشمع ساخنة على خد (صاحب الغابة) النائم ، فاستيقظ مذعوراً ورأى ما فعلته عائشة غضب ودعا تابعه وطلب منه أن يخرجها ويضعها في دهليز مسكن والدها

ـ سمع الوالد بكاء فحمل القنديل وخرج يبحث فوجد ابنته عائشة مرمية على الارض في حالة يرثى لها أدخلها وسألها ما جرى فحكت له التفاصيل بلا نقصان ولا كذب

ـ ولما أراد أن يستخدم واحدة من تلك الاشياء المرصودة الرحى، والكنبري والقضيبين فوجدها متوقفة كلها عن العمل انتظر وانتظر ومن أجل ذلك اضطر الى البحث عن رزقه في الغابة

ـ استيقظ قبل الفجر ودون ان يتكاسل قصد الغابة ومعه دابته ودهش من أن وجد شاباً تائهاً بين الاشجار وهو ينادي ويقول "ابكي يا أشجار ابكي يا أحجار ابكي يا أطيار على فراق للاعيشة بنت الحطاب" وكلما سكت ناحت معه هـذه الاشياء التي يناديها واستمر ذلك حتى طلوع النهار وعندما طلع النهار اختفى الشاب فأقبل الرجل يحتطب ثم رجع

ـ عاد الى الغابة في الليلة الثانيـة في نفس الوقت فوجد نفس الحال وفعل ذلك في الليلة الثالثة ولكنه في هذه الليلة الرابعة اصطحب معه ابنته عائشة

ـ نادى "صاحب الغابة" الشاب ابكي يا أشجار ابكي يا أحجار ابكي يا أطيار على فراق للاعيشة بنت الحطاب ولكن الاشجار والاحجار والاطيار لم تبك وانما أخذت تضحك مسرورة وتهتز من الطرب والابتهاج دهش الشاب وأخذ يبحث ويبحث وعندئذ عثر على الحطاب وعلى ابنته المعشوقة

ـ بكيا معاً حتى خارت قواهما وتقدم الاب بالاعتذار عما فعلته ابنته وهنا غفر الشاب لخطيبته العزيزة كل ما مضى وطلب من صهره أن يصحبه الى سكنه الخفي الموجـود في طيات الارض

ـ أقيمت الافراح والليالي الملاح ابتهاجاً بزفاف عائشة بنت الحطاب

* * *

أما النكتة فهي تعليق عفوي أو مقصود على تصرف أو قول لم يكونا في محلهما ولا بد فيعقب النـاكت بقولة خاطفة أو كلمة واحدة يدركها المنكت عليه أو يدركها من يجالس أو لا يدركها أحد الا اذا فات أوانها

واذا كانت المثل تراثاً في ملك الجميع يستعمله الجميع على الوجه المستطاع فإن النكتة خاصة بقائلها لأنها من بنـات أفكاره ومن صياغته ومن مجهوده الخاص لذلك فهي محفوظة له ، قد تروى عنه ولكنها لا تصمد للخلود

وايحاء المثل وان كان صارماً أو قاسياً أو موجعاً فانه يقبل وقد لا يبقي في النفس أثراً بعكس النكتة فإنها تبقى لتخزن وتعمل عملها في النفس ومن أجل هذا كان أصحاب النكت الجارحة مبغوضون لا يروم أحد صحبتهم اتقاء لاذاية لسانهم

نعم هناك أصحاب النكتة الحلوة النـابعة من النفس الطيبة وهؤلاء لا يود أحد ان يفارقهم بل انهم مطلوبون ومرغوب فيهم

ويفترق الجمع عندما يغيبون عنه ولنضرب بعض الامثال

ـ يتحدث متحدث ويكون حديثه ثقيلاً لا يثير إعجاباً ولا ضحكاً ولا ابتساماً فيعلق أحد طويلي اللسان (ايوا كيخ) وكيخ كيخ كناية عن الضحك الصاخب من الاعجاب والمقصود العكس !

ـ ويدخل ثقيل على مجلس فيه ثقلاء ضاق بهم من يجالسهم فيعلق المنكت "كملات" يقصد اكتمل جمع الثقلاء !

ـ وبينما الجماعة حول المائدة تأكل يدخل احدهم فجـأة فيعلو صوت " لا سلام " وللتعبير مفهومان لا سلام على المتطفل أو ترديد المثل الذي يقول " لا سلام على طعام " اتفضل !

ـ ويطلب من أحدهم أن يقدم مساعدة فيتقاعس ويلتفت حواليه باحثاً عن فكاك فيعقب احدهم بس بس وهذا نداء القطة والاشارة الى الحكاية التي تقول ان أباً طلب من ولده أن يخرج ليرى هل المطر ينزل ، فنادى الولد على القط بس بس " فلما دخل القط مرر كفه على فروته وقال ليس المطر نازلاً فعلم الاب أن ابنه مثال في الكسل وهكذا

25 ـ من الالفاظ الشعبية الحضرية العامة

لا شك مطلقاً في أن اللهجة المغربية العربيـة الحضرية في تطور مستمر وتختلف عما كانت عليه من خمسين سنة مضت فلو عاد مواطن ـ على سبيل التصور ـ من قبره وكان قد مات من خمسين عاماً لما استطاع التفاهم بسهولة ووضوح مع مواطني اليوم على اختلاف درجاتهم الفكرية والاجتماعية فالتعليم الذي اقتشر انتشاراً غير قليل والاذاعة والتلفزة اللتان عمتا جميع الانحاء كل ذلك جعل الالفاظ الفصيحة تغزو اللهجة الدارجة وتحل محل اللفظ الدارجي

والالفاظ الدارجية عبارة عن ألفاظ فصيحة في الاصل ثم حرفت، اما لعدم القدرة على النطق بها كما يجب أو للجهل بقواعد الصرف والنحو أو للرغبة في التنغيم والتفصح ولو بالقلب والافساد واللحن ! هذا بالاضافة الى اقتباس ألفاظ من اللهجات البربرية الرئيسية الثلاث تاشلحيت وتمازيغت وتاريفيت ثم اقتباس ألفاظ من اللغات الاجنبية كاالفرنسية والاسبانيـة خصوصـاً الاسبانية لان الاسبانيين لم يكونوا يترفعون كالفرنسيين عن معاملة افراد الشعب وليس من شأننا استخراج الاصيل والدخيل وتصنيفـه فذلك شأن له رجالـه

ولتمكن المقارنة بن ما كان وبين ما هو كائن وليتيسر للراغب في التعرف على اللهجة الدارجية الاصيلة كما أدركناها في فتوتنا عمدنا الى تصنيف بعض الالفاظ أبجدياً (بطريقة مغربية) انما كما وردت على الذهن يعني ليس الترتيب ترتيباً معجمياً ثم حاولنا ـ ان نشرح ذلك لان للفظ الدارجي خاصيته وبلاغته ودلالته الفريدة ولكي يتضح المعني أحسن سعينا في تركيبـه دارجياً خالصاً ثم اعقبناه بـ (ترجمة الى اللغة الفصحى الام وأثبتنـا

الشائع في الاستعمال ، سواء أكان حقيقة أم مجازاً   وقد اكتفينا بجمع نحو 470 لفظ

قد تصير هذه الالفاظ   أو الكثير منها   أثراً بعد عين خلال العقود المقبلة ، ولن يخفف الاسف عليها الا كون الفصيحة هي التي ستحل محلها في الغالب   ولكن آداب عامية موجودة   وهي تراث لا يصح أن تستهين به   لانه يمثل الانسية المغربية في حدودها المحددة .

أ

اللفظ الدارجي	مقابله بالفصحى	التركيب الدارجي	مقابله بالفصحى
آخْ	كلمة توجع	آخْ ، راسي تَيَتْحَرْقَنِي	آه ، رأسي توجعني .
أَهْ أَهْ	تذمر	أه أه ، شْحال د الصْداعْ	يا إلهي ، لكم يكثر الضجيج
آ وَدِّي	على كل ...	آ وَدِّي ، آشْ غا نقول لك ، السكات حْسن	على كل ، ما ذا أقول لك ؟ السكوت أحسن
آ يْ	لفظة توجع	آ يْ حْرَقْتِينِي	آهٍ ، لقد آلمتني .
أَ يِّنِّي	يا له ...	أَيِّنِّي عْلَى رِيحْ مَجْهْدْ	يا لها من ريح عاصفة
إِيـِّهْ	نعم	إِيه ، انا مُولا ها	نعم ، هي لي
أَمْصَابْ	ياليت ، حبذا	أمصاب كون قُلْتِيهَا لِي قبل	ياليتك قلتها في الأول
آ هْيَـا	ياهذا ...	آهيا ذاك مْنِّي	إنني أكلمك يا هذا ، (يا أخي)
آ هـا	يا عجبا	آها ، هذا الشي كُلُّو كَايَنْ ؟	عجبا ، كل هذا جرى ؟
آ الله يا وَدِّي	كيف لا	الله يا ودي ، انا تَنْعْرْفُو مْلِيحْ	كيف لا ، وانا أعرفه جيداً .
آ حْيَانا (نسوية)	يالك	آ حيانا عْلِيكْ آ الْبْلا	يالك من ماكر !
آجَّابك = آشْدَّاك	لماذا بالله ؟	آجَّابك تْمْشي لْعَنْدُو ، وا شْدَّاك ؟	لما ذا - بالله - ذهبت اليه ؟
أَحّْ أَحّْ عْلِيكْ	يالأمثالك	أحّْ عْلِيك ، انت هاكّا	متألماً انا لأمثالك ، ما كنت أظنني ..
إيوا	وبعد .. ؟	مْشِيتِي وتْلاقِيتِي بِيهْ ... إيوا	ذهبت واتصلت به .. فماذا بعد ؟
إيلا	إذا ..	ايلا خرجْتِي سَدّْ الباب	اذا خرجت فأغلق الباب

ب

بَخْصَصْ	حدق جيداً	باركة ما تَبَخْصَصْ فِيَّ	كفى تحديقاً في وجهي
بْزَقْ	تعمّق	بْزَقْ ما تَقْشَعْ (مثل)	مهما تعمقت فلن ترى شيئاً
بْزَقْ	زلق - فضح	بْزَقْلُو بَعْطارو	فضح أسراره
بازْ	بالعجب، استغرب	بازْ على سَنْطيحة!	يا لها من صلابة - جبهة صلبة.
بَزَّزْ	بالرغم، بالقوة	ما نعملهاشْ بَزَّزْ، غيرْ بخاطري	لن افعلها رغماً عني، من طيب خاطري
بْزَرْبا	بسرعة	سِرْ بالزَرْبة وارْجَع دَغْيا	اذهب سريعاً وعد في الحال.
بَزَّعْطْ	ولو، وإن، لا يهم	مالَك؟ حيت عندك نَفُوس، بَزَّعْطْ	ما بالك؟ هل لأنك ذو مال، وإن...
باسَلْ	ثقيل، ينقصه القبول	- بارك من الهَدْرَة راكْ باسَلْ!	كفى حديثاً، انك غير مقبول
بَمْ	عنف - خشونة	ما تسمع مَنُّو غير بَمْ	لن تسمع إلا الكلام العنيف منه
بَزُولَة	نهد - رزق سهل	حيَّدْلو ذيك البزُّولة وزماهْ...	منع عنه الرزق السهل ثم هجره.
بَشْحالْ ؟	بكم ؟	بَشْحالْ تَبيعْ ذيكْ الغَلَّة ؟	بكم تبيع تلك الفاكهة ؟
بَرَّاني	اجنبي - بعيد	اكْلَسْ مْعانا، واشْ انْتَ بَرَّاني؟	جالسنا، هل انت اجنبي عنا؟
بَطّاح	كلمة تعريض وسخرية	تاخُذْ هَذْ الفْليسات؟ قُلْ بَطّاحْ!	هل تريد هذه الدريهمات - مسكين!
بَعِّيوا	دقيق، نحيف	تَدْها قَدْ بَعِّيوا	انها ضعيفة الجسد، جد نحيفة
بَعُّو (للأطفال)	غول، شبح	آجي، ها بَعُّو غايَكْلكْ	أقبل، سيصادفك الغول!!
بَرْمَكْ	تفخفخ	هاذْ عْلى كْلْسَة، بَرْمَكْ!	يا لها من جلسة، انها الفخفخة.
بابْتي	من حقي	كان بابْتي نَمْشي لْعَنْدو	كان من حقي أن أذهب إليه.

ب

بلّا تي شْوِيَّة	تمهل قليلا	بَلاَتِي شْوِيَة، اعْلاشْ الزَّرْبَة؟	تمهل، لما ذا السرعة؟
بارْدْ تَلْجَة	بارد جدا[1]	مَسّيتُو، الْقِيتُو بارد تَلْجَة	تحسست جسده فاذا به بارد.
بْلَشَّمْ	كفكف الدمع، لم.	بيضغ - هُمَا تِيبْكُوا وهُو تِيبَلْشَمْ دْمُوعُو	هم يتباكون، وهو يكفكف دموعه
ابْقْعَضْ	بحث بدقة وحرص	مْنِينْ تَتْقَلْقُو حَاجْتُو تِيبَقْعَضْ عْلِيهَا	متى ضاع منه شيء بحث عنه بحرص
بالاكْ	خذ بالك	بالاكْ آ الْغَادِي، أَرَّا يا حْمَارْ	خذ بالك ايها السائر، اسرع يا حمار
بْهْلانْ	البلاهة	اسْكُتْ بارْكَة مَنْ الْبَهْلاَنْ	كفى سخافات ... اسكت.
بْحُوطْ	تمسكن، تباله	تَيْتْهَلْ الْحُوطْ باشْ يَقْضِي حَاجْتُو	يتمسكن ويتباله ليحقق غرضه.
بْحَالْ	مثل	عَنْدْ هَا شْعَرْ بْحَالْ الْحْرِيرْ رَكْبَة	لها شعر ناعم مثل الحرير.
بارْكَة	يكفي	خْذِيتْ حَقِّي، بارْكَة عْلِيَّ	أخذت نصيبي وهذا يكفي.
بْحَالْ بْحَالْ	سواء. تماثل	جِيبِيتي وَلاّ مْشِيتِي بْحَالْ بْحَالْ	أقبلت أو أدبرت سواء.
بْجَّحْ	عرض بدون لياقة	عَرّا ذاتو وبْقَى مْبَجَّحْ	كشف عن جسده، وبقي عاريا بوقاحة
بْشَّعْ	ابتعد	اعْلاشْ هَذا الزّحَامْ بْشَّعُو شْوِيَّة	لماذا الازدحام ابتعدوا قليلا
بْجَهْدْ	بقوة	ادْفَعْ الْباب بْجَهْدْ واخْرَجْ	دفع الباب بقوة ثم خرج
بْزَّافْ	بكثرة	فِيه تَاوْتَاوْ بْزَّافْ بْلا قْيَاسْ	انه مهذار كثيرا وبلا حدود.
بسْلامْتُو	حفظه الله وطه	وِلْدْهَا - بْسْلامْتُو - بْدَا يْمْشِي	طفلها - حفظه الله - شرع يتمشى
بْكْرِي	باكرا[2]	نُوضْ بْكْرِي، رَاكْ تَتْنْعَسْ بْكْرِي	أنهض باكرا ما دمت تنام باكرا
بْجْرِي	بسرعة	سِيرْ - عافاكْ - بْجْرِي ..	اذهب - عافاك الله - بسرعة
بْدّلْ	غيّر لباسه	بْدّلْ حْوَايْجُو وارْتَاحْ مْعَ راسُو	غير ملابسه ثم أخذ راحته.

ت

تخت ـ تقل	لازم ـ التصق	شان كسكسو وجا تفقل	لمع طعام الكسكس فلازم المكان
تُخْ (للأطفال)	يذبح	هذا الفولي نعملولو تُخْ	هذا الكبش سنذبحه.
تُكْ	خز	تكْيتي بالبيْبرا	وخزني بالإبرة.
اتْفو	ابصق	اتفو عليه	بصقة على وجهه.
تُشْ	ينصب	البزبوز محلول والما تيتشش	الصنبور مفتوح والماء ينصب
تِقار	احترام ـ ابتعاد	بعّد منّو، التِّقار من بَابْ	تجنبه، الابتعاد أحسن.
تْحزّم	شمر على ساعديه	تسلو ـ تحزّم وزاد يخدم	تهيأ وبدأ العمل.
تْمارا	الجهد، المشقة	ما فتحدادث عينين تمارا	ليس في عمل الحداد الا المشقة.
تايكة (نساء)	مليحة	امرا تايكة، تتشلب	سيدة مليحة تجلب العقول
تترجكل	تمشي متثقلة	العكوزا ماجا تترجكل	هاهي العجوز قادمة متثاقلة.
تيتقلز عليه	يسخر منه	هو تيحدث وصاحبو تيتقلز عليه	انه يتحدث والآخر يسخر منه.
تاويل	حذاقة، أناقة	وايتي هذي امرا بالتاويل والذالة	يالها من سيدة ماهرة حاذقة!
تكرّاع	تجشؤ، علة كلام	غير هو جبدو، وهو تيتكرّع عليه	ما ان بدأ الحديث، حتى حمل عليه
تحماو عليه	تكتلو ضده	هو وخاه، تحماو عليه	هو وأخوه تكتلا وتعاونا عليه.
تابهلا	تبالد	تيدفع تباهلا (مثل)	يظهر التبالد والسذاجة
تفاراو	صفوا أمورهم	دابا تفاراو، بعدما تعايبو	اتفقوا بعد النزاع.
تشفاه	طاب نفسا بما أصابه	تشفاه حيث طاح مريض	طاب نفسا لما سقط خصمه مريضا.
تقاد حر	انتقام، تساوى	تقاد مع الناس راك بحالك بحالهم	تساو مع غيرك انك مثلهم.

ج

جا	حضر - أراد	جا يْطبببو اعماهْ (مثل)	أراد ان يعالجه فتسبب له في العمى
جابْ	حمَل - جصل	جابْ السُّخْرَة مْنَ السُّوقْ	أحضر المؤونة من السوق
جُوخَة	دراعية	لْبَسْ الجُوخة وا تْنَتُو	لبس الدراعية ولاء منه
جَرْجْرُو	سحبه ، جره	الحزني تيجرْجرُو وتيدْفنُو	العون يجره ويلكمه
جُوكِيَّة	سوء الباليا تدالخبة	ما تْحَوْل هذا الدار غير جوكِيَّة	تتوهم المسكن مكانا للهرج .
جْقْلَة	تجمّع	فرْقوا عْلينا هذ اجْقلا	تفرقوا عنا .
رجْقَلْ	غضب بشدة	غير ساق لخبارْ وهو يجْهَل	مال بلغه الخبر حتى هاج
جُغْمَا	جرعة	مَضَى اعْضيضَة واشرْبْ جْغيمَا	تضم قضمة وتجرع جرعة
البَايْحَا	الداهية - البلاء	ما شْكا ، ضرْبتُو جايْحة	أعاذنا الله ، نزل به البلاء
جابَدْ تيقارُو	محترم لنفسه	جابَدْ تيقارُو لعندُو ، ما يتمش عدْ	محترم لنفسه لا يضر أحدا .
جمّلْ	اشترى بالجملة	ادْخل للرّحْبة وجمّل كُلْ شي	دخل سوق الحبوب واشترى كل البضاعة
جَايفْ	مختنق - عطشان	المطيبة يشرْبْ راهْ جايفْ	اسقه انه مختنق يكاد يموت
اجْعَقْ	اكثر من اللوم أو الشكا	هو كاتس وهو تيجْعق	مادام جالسا وهو يتبرم شاكيا .
اجْبَرْ	وجد ، لقي	بقى تيفتّش حتى جبْرو	ظل يبحث حتى وجده .
اجْلَاخا	لئيم ، مشاكس	لا تْعاشْر مي ذاكْ اجْلاخا	لا تخالط ذاك اللئيم .
جدْبان	منهمك في الشغل	مْشيتْ نشوفو جبْرتو جدْبانْ	لما ذهبت لزيارة وجدته مشغولا جدا
جهْدْ	قدرة - مقدار	كْليتْ جهْدْ وقيّة د الزبْدة	أكلت مقدار 1/16 كلم زبدا
جَفْلُو	نفره	ابقى تيزير على ولدو حتى جفْلو	استمر يضغط على ولده حتى نفره

ح

حبّة	دمل	جاتو حبّة فقعاتو	أصيب بدمل فقأه
حزّة	أزمة	الصاحب تينفع في الحزّة	الصديق معين في الأزمة
حسّ	إحساس، شعور	الله يلعن حسّو	سحقا لشعوره وإحساسه
حاذكة	حاذقة، حازمة	تزوّج بمرا حاذكة وبدّ زاعما	تزوج سيدة حاذقة وحازمة.
حكّة	(حقا) مهلا	ما فرتْ فالصيف، حكّة كنت مريض	ما فرّت في الصيف، مهلا، لأنني كنت مريضا
حماكة	غافل - مخدوع	رشّحو بيه، حيث هو حماكة	خدعوه لأنه غافل قليل الخبرة.
حشومي	شديد الحياء، خجول	خلّيه عليك راه حشومي	دعه إنه خجول
حاول عليه	رفق به	راه ضعيف مسكين حاول عليه	انه عاجز فرفقا به
حملو	ضربه على رجليه	الفقيه حمّل لمحضري	ضرب المدرر المتعلم على رجليه
حسّن لو	حلق له، غشّه	مول الحانوت حسّن لو بلاها !	غشه البقال غشا فظيعا.
حافاه	لامه برفق	حافاه حيث ماجاش لعندو	وآخذه لأنه لم يزره
احتك	طرّز، مشى كثيرا	خرجت من داري، ومن ثم وانا نحتك	من مسكني وأنا أجد السير.
حافا هامعاه	كافأه بسخاء	خدم لو مزيان، وهو حافاها معاه	أتقن له العمل فكافأه بسخاء
حفّن شي حفنة	خذ قدر كفيك	حفّن من [الحنشة] دالحمص شي حفنة	خذ ملء كفيك من كيس الحمص
حرّش معاه	أغلظ القول له	كان طاير لو، اعليها حرّش معاه	كان غاضبا، ولذلك أغلظ في القول
حسيفة	نقمة - تربص	كان قاريحا فيه احسيفة	كان متربصا ناقما عليه
حماقا	أخرق، طائش	لا تديش عليه راه حماقا	لا تهتم بأمره إنه أخرق

ح بقية

حقّف	حلق حلاقة خفيفة	حَقّفْ شْلَدْ غمُو	حلق شوا ربه قليلا
احْميّة	تجمع - تكالب	جاوْ نعند و حْمِيّة	هاجموه متكالبين .
احْرامي	خبيث - ماكر ...	بَشّعْ مَنْ ذ ا كْ لْحرامِي	تجنب معاملة ذاك الماكر المشهور الأصل
حامْضْ عْليكْ (ضربة)	أعلى من مستواك	خْطبتْ ذِيكْ الْبِنْتْ حامْضَةْ عْليكْ	هل خطبتها ؟ انها من مستواك أعلى
حَرْفِي بْلا دْوازْ	بلا مرق	اكْلا الْخُبْزْ حَرْفِي ، واغْدا كْلا الْمَوْزْ	تناول الخبز وحده ثم اكل الطعام بعد.
حَصْلُو	ضبطه ، قبض عليه	هذا الشّفّارْ حَصْلُو الْعسّاسْ	هذا اللص قبض الحارس عليه .
حَفْيانْ	بلا حذاء	جا حَفْيانْ وعَرْيانْ بْحال الْمْجِيجِي	قدم حافيا عاريا مثل المتشرد
حَمّرْ لُو وجْهُو	عمل مايرضيه	ولْدُو حَمّرْ لُو وجْهُو وْطوّلْ لُو رْقبتُو	ابنه عمل مايرضيه ويرفع رأسه
حَامِي	ساخن - غال	ارْفدْ الصّفّودْ جْبْرُو حَامِي	أخذ السفود فوجده ساخنا .
احْرَكْ لُو	هاجه - عنّفه	غِيرْ تْلْقاهْ ، وْهُوَ يْحْرَكْ لُو	ما أن رآه حتى أخذ يعنّفه
حَمْحَمْ عْلِيهْ	أخفى أمنيته	شافْ الْبَصْطام فِيهِ الْفْلوس وبْقا يْحَمْحَمْ	رأى حافظة النقود ، فتمنى ما فيها
حَمّمْها	سوّدها.	صافط لْباهْ بْرا مْحَمّمْة	بعث لأبيه رسالة عامرة بما يسوء
حَوّْلِي	كبش - مغفل	جبْراتو حوْلِي وبْدات تْقل مابْغات	وجدته مغفلا فسارت على هواها .
احْيالة	تعجرف	فِيشْ تِيتْو وحْدو رْتُو كُلّها حْيالة	تنقلاته وأحاديثه كلها عجرفة
حاشاكْ	صان الله مقامك	تَيْقولْ بْشِي كْلامْ - حاشاكْ - دْيالْ	السّلاكط - كلام من كلام الأجلاف
حَسْكَتْ لْغُبّة	امتلأت رقبتها	اشْمانَتْ وحَسْكَتْ لْغُبّة	سمنت الى حد امتلاء الرقبة .
حَضِيهْ	راقبه	احْضِيهْ ، وشْكُطْ عْليهْ	راقبه ، وخذ بخناقه .
حَيّدْ	ابتعد	حَيّدْ مَنْ ثَمّ آذاكْ لْفْضولِي	ابتعد من هناك يا فضولي

خ

ختوري - اختاتر	خنز عبلات	باركا من هذا الختاتر	كفى من هذه الخزعبلات
خزباقة	هزء - طائش	خزباقة تيدخل وتخرج فالهدرة	مخرف لا يثبت على قول
خنونة	مخاط - منهوكة	خلاها الوشم بحال لخنونة	خرجت من الوهم منهوكة
خانز	منتن	اغلق منا خزة هذا الحوت خانز	سد أنفك هذا السمك منتن الرائحة
خص	ينقص، يحتاج	خصني نتكاسى شوية	انا في حاجة الى اغفاءة
خبار = واخا	نعم - مقبول	بغيتي نخلصك، خبار آسيدي	تريد أجرتك، نعم ياسيدي
خش	انكمش	خش فجواه، وقطني	انكمش داخل (زكيبته) وصمت.
خيتك	اخوك (تصغير)	اتهلا فخيتك	اعتن بأخيك أ تحفه
خازوق	ثقيل - غير مقبول	اعلاش جبتي معاك هذا الخازوق!	لم صحبت هذا الثقيل؟
خنقاطيرا	احتيال - دسيسة	اعملوا خنقاطيرا، واداو ليه ديالو	احتال عليه وسلبه متاعه
اخزز فيه	حدق -	عينو اخزز فيه وهو يقطني	مازال حدق فيه حتى أطبق شفتيه.
خلقة	خطوة	باقي هنا؟ زيد خلقه بحالك	لماذا أنت هنا؟ اذهب
خاوي	فارغ، جاهل	سولو لفقيه سقا خبرو خاوي!	سأله الفقيه لكن وجده فارغا،
خلعة	فزعة	يالطيف على خلعة، اعلاش غوتي	يالحامي فزعة، لماذا صرخت؟
خيرو	ترك له الخيار	عندو زوج، خيرو فواحدة	له اثنان .. ترك له الخيار
خاواهم	آلف بينهم	عندو بغلة واشرى اخرى، خاواهم	له بغلة واشترى أخرى، آخى بينهما
خيط	خاط - وفق	بداو يدابزو خيط بيناتهم	اخذوا يتنازعون فوفق بينهم
خشوش	أحدث حركة	الشكت، هذا فار تيخشوش	اصمت، انها حركة فأر

د

دارْ اغْلاسْ	هو السبب	قَبْطُوهْ جِيتْ دَارْ اغْلاسْ	اعتقلوه لأنه تسبب لنفسه في ذلك
دَابا	في الحين - فوراً	يِسْرْ دَابا، وَاجِي دَغْيَا	اذهب الآن وعد فوراً
دّاها - عبّاها	أخذها - حملها	(دّاها ودّاها، والله ماخلاّها) ←	تزوجها وما أفلتها (أمزوجة)
داز	مرّ - فات	دُوزْ عْلَى بَابْ دَارُو وُولِّي	مرّ على باب مسكنه ثم ارجع
الدّْبازْ	المشاجرة	مابْغِينا دْبازْ، ما بْغِينا مْعَابْزَا	لا نريد مشاجرة ولا مصارعة
دَكَّةْ	دقة، داهية	باركا من المْكْلا، الله يْعطيكْ دَكّا	كفي نهما، أوجعك الله بضربة
دَهْدَهْ	سمع صوت قراءته	اللِّيلْ كُلُّو وْهُوَ نْيْتْهَدْدَهْ بالقراية	طيلة الليل وصوت تلاوته مرتفع
دَهْوَةْ	شاغل مهمّ	الْطَاهُ الله شِي دَهْوَةْ	شغله الله بشاغل مهم
دَوَّايْ	ثرثار - نمام	راكْ دَوَّايْ، اسكتْ شْوِيَّة	انك لثرثار اسكت قليلا
دَاسْرْ	مدلل، قليل التربية	وَلْدُو دَاسْرْ، ماقْدَرْشِي يْرَبِّيهْ	ابنه مدلل لم يستطع تربيته
دَهْرُو	مغفل، بليد	آشْ هَذَا دَهْرُو بْزَاقُو هَابَطْ؟	من هذا المغفل الذي يسيل لعابه؟
دَلْقَمُو	ضربه على ذقنه	عِنْ حِلْ فَمُّو وْهُوَ يْدَلْقْمُو	ما أن فتح فمه حتى أسكته بلكمة
دُوقِي	فنان، ذو احساس	وَايْنِي مَعَلَّمْ دُوقِي هَذَا اللِّي زَوَّقْ	يا له من صانع ماهر هذا الذي زخرف
دِّيها فْرَاسَكْ	اهتم بنفسك	مَالَكْ عْلَى هَذَا الفْضُولْ؟ دِّيها فْرَاسَكْ	مالك والفضول؟ اهتم بأمر نفسك
الدّْبَزْ	يخرف، غير مضبوط	آشْ تَتْعَمَلْ وآشْ تَتْقُولْ، رَاكْ تَدْبَزْ	ماذا تفعل وتقول يا هذا انك تخرف
دَبَّزْ	ضربة بقبضة اليد	عَضُّو، وَدَبَّزْو، وْرَكْلُو!	عضه بأسنانه ولكمه ثم ركله.
دْشَشْ	تحسس باليد	اطْفَا الضَّوْ وْبْدَا تَيْدَشَّشْ	اطفأ النور وقام يتحسس بيده
دَوَّزْ	مرّر - أكل متمهلا	مَالَكْ تَاكُلْ بالزُّرْبَة ... دَوَّزْ!	لم ذا السرعة في الأكل ... تمهل

ر

رَبَّاهُ وَشَبَّاهُ	اعتنى به طفلاً وشابا	حبيبو ربّاه وشبّاه	خاله هو الذي تولى تربيته
رضاها الله	لا مايزعج	أرتاح مع راسك، ارضاها الله	خذ راحتك، لا مايزعج
رَطْبَة # مَرْشَة	ناعمة # خشنة	المرا تتكلى الحنة رطبة	تحنى - بخليط الحناء ناعماً
رْكَع	قنبط	راكْ تترْكَعْ آمسكينْ !	انك تتغبط يا هذا !
رشوق	الانشراح - النشوة	خطوسي منوبة دا الرشوق	محتاج لقليل من التسلية .
رزحتو	أضرّبه - غدر	تشاركْ مْعَاهْ، سَعَا رزحتو	عقد معه شركة لكنه غدر به .
رْشَحْ بيه	خدع، سلب	شرا له من عندو سعا ارشح بيه	اشترى منه بضاعة فاذا به يخدعه.
رزمة	لفة - طرد	الْمْلَتْ حوايجها فرزمة	جمعت متاعها في لفة
رهباني	متحايل - مخادع	آجي كودْ، لا تكونشي رهباني	تصرف بجد ولا تتحايل
رباني	مستقيم - بسيط	رجلْ رباني ما يعمل غير الخير	رجل مستقيم فاعل خير
ارْيُو - رَيْ	آراء - رأي	خليكْ من قوّتْ اريوك، وبدا بعدا	كفى من ابداء الآراء وابدأ أولاً
رْغَبْ	توسط، تشفع	جا يضرب ولدو، سعا مو عزيزا رغبت فيه	اراد ان يعاقب ولده لكن الجدة تدخلت
رخفة	تساهل، يُسر - تهاون	باركة من الزيار، ارخف شي شوية	كفى تشددا، تساهل قليلاً .
رَصّ اشغالو	ضبط السير للأمور	رصّ اشغالو ومشى مع السلامة	ضبط أموره ثم ارتحل بسلام
راوي	مرتوٍ - مكتفٍ	شبعان وراوي، ما خصني خير	أكلت وشربت بما فيه الكفاية
رافْ عْليه	ساعده قليلا	راف عليه، ما عارف باش	أعطاه، ولا أدري ما أعطاه
رْشَم - رْشمها	وضع علامة . علمها	ارشم الطريق بذيك الشجرة	كانت الشجرة هي علامة طريقه
ريِّك	سال لعابه	البشير الصغير تيريّك	الطفل الرضيع كثير اللعاب

ز

زايط	هائم - طائش	خليه عليك راه باتو زايط	لا تهتم بأمره انه طائش
زردة	وليمة	تابع الزردة فيتما كانت	حيثما سمع بوليمة ذهب إليها
زغلايكة	وحل كثير	هز حوايجك من هذا زغلايكة	شمّر عن ساقيك من هذا الوحل
زغبي	شقي - تعيس	مسكين، زغبي وصكع!	يا للمسكين، انه شقي سيء الحظ
زاهقلو	مختل التوازن	راك زاهق لك، آش تتعمل؟	انك مختل، ماذا تراك تفعل؟
الزّي	الحديث الهامس	اقطع الزي خلينا نغمضو	كف عن الهمس دعنا ننم.
زربان	متعجل	بشويتا، مالك زربان هكا!	مهلا، لماذا أنت متعجل هكذا.
زمّم	كتب، أثبت	يا سيدي تيزمّم فالكناش	حتى، يسجّل اموره فالكناش
زعما	يعني - يقصد	ما شي هكا، زعما بغيت نقول لك	ليس الأمر هكذا، أعني أن أقول
الزمر	مضايقة - إزعاج	باركا علي من هذا الزمر!	كفني من مضايقتي وازعاجي
زيدو ≠ باركة	زده ≠ يكفيه	اعطيه وزيدو، حتى يقول باركا	أعطه وزده حتى يقول: كفاني
زهواني	متصاب - مرح	هداك الشيباني زهواني مع راسو	ذلك الشيخ يتصابى
زعفان	قلق - متذمر	مشيت لعندو جبرتو زعفان	زرته فوجدته متذمراً جداً.
زرق عليه	طارده	غير دخل لقدّا روهو يزرق عليه	بمجرد ما رآه طارده.
زفر فيه	أبغضه - شدد عليه	كانوا بحال الخوت، سعا زفر فيه	كانا متحابين كأخوين ولكنهما تباغضا
زكود	مضايف - زائد	جات، وجابت معها الزكود: ولدها	حضرت وأحضرت طفلها المضايف
زيّر	ضغط، تشدد	كان تيسالو شي فلوس، زيّرو حتى خلّص	كان مدينا له، ولكنه ضغط عليه حتى أدى
زيف	منديل	اعطني الزيف نشوفو...	خبأ المنديل في جيبه الصدري

ط

طاب	نضج - التهب	الله يطيّب جلدُو ومَعَ لحمُو	أطاب الله جلده وانضج لحمه.
طاحْ	سقط	طاح على كُنتُو، وطارت شيشيتُو	سقط على قفاه وطارت طاقيته
طاشْ	تشرد - تأرجح	هذا الولد طاش، مشى بجالُو	زاغ الولد عن الصواب وضل.
طاقْطاقْ	(طرق الباب).	من طاقطاق حتى السلام عليكم	من البدء الى النهاية.
طابْ ما طابْ	غير تام - غير مقبول	هذا الشي كُلُّو طاب ما طابْ	ليس كل هذا على الوجه المطلوب
طايرْلو	غاضب، قلق	مينينْ ما قضشايْ بقى طايرْلو	حيث انه لم يقض شيء ظل غاضبا
طنّازة	كثيرة التنكيت والسخرية	ما تعرضهاشْ جبتْ طنّازة	لا تستدعها للحفل انها كثيرة السخرية
الطّيرة	التشاؤم، التطاير	مالك انتِ مع ربيبك؟ رانْتِ فالطّيرة!	لماذا انت متضايقة من ربيبك؟
طوّفو	عبث به، سخره	اعطاه يخدم لو، ساعا طوّفوا	استعمله في خدمة لكنه عبث بثقته
طمّرها	خبأها جيدا	طمّر السلعة، باش يبيعها بالغلا	خبأ البضاعة ليحتكرها.
الطلّة	هاجمه بعنف	جا يقولو، ساعا طلّة	أراد ان يكلمه فاذا به يهاجمه بعنف
طلّْ	أشرف من أعلى	طلّ من الطاقة على وسط الدار	أشرف على فناء الدار من طاقة عليا
طافحا	مزدهرة	العرصة طافحا تبارك الله	تبارك الله انها ضيعة مزدهرة.
الطّياب	الصحو	غدا، غدي يكون الطّيابْ	سيكون يوم الغد صحوا.
طراطق، طقاطق	أمور بسيطة	كنتْ مشغول بشي طقا طق	لم اكن مشغولا الا باشياء بسيطة
طرطق	كسر - حطم	ابقى ينفخ الكرية حتى طرطقت	واصل نفخ القربة حتى تفجرت
الطراطقْ	الألحان الموسيقية	ليلة العرس شبعنا طراطقْ	تمتعنا بالألحان ليلة الزفاف
طرّقها	أصلي الغناء - أبعدها	الكلابة الباجية طرّقها مازكة منا	أبعد الكلاب عنك لم يعد ملازمًا

ك

كُبّْ	صُب	كُبّْ لْرَاسَكْ وَاشْرَبْ	صب لنفسك واشرب .
كُحْ ...	سُعال	مَا بْقَى فِيكْ آ لَعْگُوزْ غِيرْ كُحْ كُحْ	لم يبق فيك يا شيخ الا السعال و...
كَحْكَحْ	أكثر من السعال	اللِّيلْ، وماطال، وَهُوَ تَيْكَحْكَحْ	طول الليل وهو يواصل السعال
كَمّْشْ كَمْشَة	قبضة بحرص	خُذْ هَذَا الرِّيَالْ وَكَمّْشْ عْلِيهْ	احتفظ بهذا الريال بقوة
كَخْ (للأطفال)	تجنب - ابتعد	كَخْ الحَلْوَة خَايْبَة	تجنب تلك الحلوى لأنها ضارة .
كُرْرْرْ (للأطفال)	(مداعبة في الأذن)	آجِي نْقُولْ لَكْ (كُرْرْرْ..)	قرب أذنك (كوررر)
كَلّْ	شعر بالملل الشديد	عْتَقُو رَاهْ كَلّْ	خذ بيده لقد ملّ
كَفُّوسْ	لا قيمة له، وضيع	وَايْنِي كَفُّوسْ وَاشْمَنْ كَفُّوسْ	يا له من وضيع، جد وضيع
كْوِيتْ وَبْرِيتْ	أُصبت وشُفيت	ذَاكْ الشِّي فَاتْ، كْوِيتْ وَبْرِيتْ	ما وقع فات، الآن طابت نفسي
كْنِيتْمَة	شحيح، بخيل	كْنِيتْمَة، مَا تَيْسَخَّاشِي بْكَرْشُو	شحيح، لا يسخو ولو بقرش
كُنْ هَلِّي	يا ليت	وَاشْ تْلَقِيتُو، كُنْ هَلِّي سَوَّلْتِيهْ	هل التقيت به؟ يا ليتك سألته.
كَوَّنْ	سكت بالمرة	مَنْ اللِّي گْلَسْ، وَهُوَ مْكَوَّنْ	منذ جلس وهو ممسك عن الكلام
كِيفْكِيفْ	سواء	مْشِيتِي وَلاَّ جِيتِي كِيفْكِيفْ	ذهبت أو رجعت سواء
كِيفَاشْ	كيف، كيف جرى	كِيفَاشْ وْقَعْ هَذَا الشِّي	كيف جرى هذا ؟
كْمَارَا	وجه منفر	دَرَّقْ كْمَارْتُو، لِئَلاَّ يَرُدُّوا	أخفي وجهه الكريه، لا ردّه الله
كَرْكْبُو	دحرجه، طارده	مْنِينْ مَا عْجَبُوشْ كَرْكْبُو	لم يستحسنه ولذلك طارده .
كَرْشَاوِي	أكول، نهم	مَا يْعَجْبُو غِيرْ يَاكُلْ، كَرْشَاوِي	لا يعجبه الا الأكل يا له من أكول
كَتْلْهَا وْجَمْلْهَا	فعل شيئا كاملا !	كَتْلْهَا وْجَمْلْهَا وْمْشَى بَاعْ دَارُو	فعل جميلة وشيئا كاملا حين باع مسكنه (سخرية)

ݣ

ݣاع	لا ضرورة	رَجل مزيان ݣاع لا تسوّل عليه	رجل طيب لا ضرورة للسؤال عنه
ݣانة	عقلية	ما تديش عليه عندو ݣانة حاقيلة	لا تهتم به، ان له عقلية تافهة
ݣُجّة	شعراً شعث	عندو ݣُجّة يعشّش فيها البلارج	له شعر أشعث يصلح عند اللقلاق عشا
ݣُصّة	شعر مقدمة الرأس	خلّيه الحجّام يسلو ݣُصّة ولا ݣرّون	دع الحلاق يحلق له المقدمة او الصدغين
ݣدّم	داس بقدمه	جا يدوز ݣدّم الصينية	أراد ان يمر فقلب صينية الشاي
ݣمّز	كاد ان يتقيأ	بدا شغلو وݣمّز منه	شرع في عمله، وأوشك ان يتقيأه
ݣعݣع	بيل، تقيأ	الشكايري شرب حتى ݣعݣع	السكير شرب حتى تغيرت أحواله
ݣرّوج	آنية فرنية طويلة	خبّات لخميرة فالكروج	حفظت الخميرة في آنيتها.
ݣابل	العام القادم	امبارك لعيد ما تكون تعݣابل	يهنيك العيد وتعيش لعيد قادم
ݣدود	خفة وطرافة	تبنيتا، تبنيتا، الها ݣدود !	طفلة، وبالعاس طفلة جذابة
ݣرّع	قسّم اعتباطاً	شدّ الخبزة وبدا يتݣرّع	اخذ الخبز وشرع يقسمها كما يتيسر
الݣنة	مؤخرة الرأس	ازهق وطاح على ݣنتو	انزلق وسقط على قفاه
ݣازيطة	جريدة	البس النظاظر وبدا يقرا الݣازيطة	ثبت نظارتيه وشرع يقرأ الجريدة
ݣارح	فطن، حازم	واخا صغير ݣارح وݣاد	ولو انه صغير السن فانه فطن ومتيقظ
ݣباجي	يكنى به عن الحوال الصاخب	الݣباجي ديالهم تباين تيتسمع	مراجعهم وهرجهم كان يسمع من بعيد
ݣمكوم	يكنى به عن نفخ الوجه	مبين غضب ذاق ݣمكومو	تدلى شدقه من شدة استيائه
ݣزوي	الحديث الهامس	الناس ناعسين وهما فالݣزوي	القوم نيام وهما يتهامسان
ݣدح	شربه بكثرة	نزّل تبريتو وبدا يݣدح لحليب	وضع الإبريق بين يديه وأقبل يشرب

ل

لا عقلا	لا يفهم . . غبيا	لا تعطينيش ، لهلا	لا تعط شيئا ، لا يهم
لبتخ	لطخ	جابْ الصّباغة وبدا يلبتخ	اتى بالصباغة وشرع بلطخ
تلحك	عمل ما تيسر - غش	المعلم الغشاش غير تيلحك	الصانع الغاش لا يتقن
لصوق	تمسح - تملق	بازكا من لصوق ، اعل النفس	كفى تملقا صن كرامتك
لا لد وماليي	اللهو والتهتك	ما دا عا غير فلا لد وماليي	لا اهتمام له الا بالملاهي
لكك	أغلق بإحكام	اغلق الصنى في الخابية ولككت عليه	اذ خزالصنى في الخابية واحكم الإغلاق
لمتقت	اكثر التذوق	ما تقدرش تاكل ، حيث تلمتق	لا تستطيع الأكل لأنك اكثرت التذوق
لهلا يوريك	لا أراك الله ما يجري	كن شفت ما كان ، لهلا يوريك	لو حضرت .. أحسن ، لا أراك الله ما جرى
لا صح	راغب جدا	كاينشي تقصيرة ، را انا لا صح	هل هناك من سمر ، انا راغب جدا
لا باس	ذهب الضرر	كنت مريض ، لاباس ، تكبروتنسا	هل كنت مريضا ، لا بأس ، تكبر وتنسى
لبتوط	ابن الحفيد	عندها الولد والحفيد ولبتوط	لها ولد و حفيد و ابن الحفيد
اللتوا	لي اللسان واعوجاجه	قلت لك : لا ، لا . جواب : اللتوا	لوى الله لسانك ... قالت : لا ، لا
لبة	عقد	لبة على الغبة (مثل)	عقد جميل على العنق الصيني (
لخلاح	ملحاح - لبس	اللي بغاها تيوصلها ، لخلاح ، بلا	ما أراد شيئا الا وصل اليه بالالحاح ومكره
لحنوا	الفراغ - التسكع	آش تيعمل ؟ والو غير لحنوا	ماذا هو مشغول ؟ لا شيء ، فراغ في فراغ
لكلوكة	سمينة ، كاملة البدن	قبل ما تمرض ، كانت عينيه لكلوكة	كانت في أوج صحتها قبل المرض
للا ومولاتي	سيدتي وأبجلها	ما عندك ما تقول ، للا ومولاتي	ليس فيها ما يقال سيدة ومبجلة !
اللوسة	اخت الزوج	اللوسة سوسة (ارضة) (مثلا)	أخت الزوج قد تدس لزوجة أخيها

م

مْحَجَّبَة	متمسكة بالحجاب	بَنْتُو مْحَجَّبَة وَمْرَبِّيَة	له بنت مصون ربة بيت
مْزَيْنُو	ما أظرفه	مْزَيْنُو مَبْسَمْ عَنْدْهَا !	ما ألطف ابتسامتها .
مْزَلُوط	بئيس	مْزَلُوط ، مَا يْكَسْبْشِي شَانُو فُمُّو	من شدة بؤسه يكفهر وكأن أسنانه ليست له
مْكَنْفَس	جاف الطبع	مَا فِيهْ مَا تْعَاشَرْ خَيْسِي مْكَنْفَس	لا يعاشر مطلقا ، لأنه جاف الطبع
مْحَيَّط	مهمل ، مقاطع	كُلْهُمْ تَيْتْعَدْوُ وَتْيَضْحْكُوا وَهُو مْحَيَّط	يتعدون ويضحكون وهو مهمل
مْرَزَّاق	محظوظ	صَحْبُو ، صَحْبُو ، رَاهْ مْرَزَّاق	عليك بصاحبته عليك ! انه محظوظ .
مَا سَوَّكْ مَا لَوَّكْ	لم يكف	شْوَيَّة دَا الْخُبْز ، مَا سَوَّكْ وَا لَوَّكْ	الخبز قليل ، لا يكفي ليلاك او يسوك بها
مْبَلِّي	المُبتلى - مولع	مْبَلِّي بَالْكَارُو وَالتَّنْفِيحَة و...	مولع بالسيجارة والسعوط و...
مْتَلِّي	ضائع ، مهجور	أَنَا مْخَلِّي مَاشِي مْتَلِّي	اني أعيش في عناية غير مهجور
امْحَوْقِينِي	معتلقيني ، مجمعين	مَالْكُمْ مْحَوْقِينِي ! مِيبِرُو نْحَالْكُمْ	ما بالكم متلقيني ! انصرفوا .
مْحَلَّفْ عْلِيه	ناقم عليه	مْحَلَّفْ عْلِيه ، مَا نْعَرْفْشْ عْلاَشْ	انه ناقم عليه ، ولا يعرف السبب
مْخَلْخَلْ	معتوه ، مضطرب	رَاهْ مْخَلْخَلْ شْوَيَّة	انه مختل قليلا .
مْدَوَّخ	غير متثبت	آشْ تْقُولْ ؟ رَاكْ مْدَوَّخْ	ماذا تقول ؟ انك غير متثبت .
مْرَشُّوح	مخدوع ، مغشوش	هَاد الشِّي غَالِي ، رَاكْ مْرَشُّوح	بضاعة غالية ، لقد خدعوك .
مْزَاوَكْ	متشفع	عِيشَكْ ، أَنَا مْزَاوَكْ فِيكْ	بحق عيشك ، إني متشفع
مْكَرْكَرْ	متكاثر	الشْعِيرْ مْكَرْكَرْ فَالرَّحْبَة	ما أكثر الشعير بسوق الحبوب .
مْكَمَّح	مشمس جدا	تْشَمْشَتْ مْعَ رَاسِي وَتْكَمَّحْتْ	تعرضت للشمس كما ينبغي وتغير لوني
مْلاَّلْ	كثير الملل - نفور	زَوَّاجْ طَلاَّقْ - عْشَّاقْ مْلاَّلْ	مزواج مطلاق لأنه ملول .

معفونْ	وسخ - بسيط القذارة	ما شكا، معفون ما فيه ما يتشاف؟!	لا سمعت شكواه قذر تماماً
مغبّنْ	متكدر - حزين	مغبّن، لهلا يجعلنا من جيرانو	حزين بئيس لا جعلنا بقربه!
معذري وضاغانا	(تستعملها النساء)	جيت بكري، معذري وضاغانا - كانوا ناعسين	جئت مبكرة - ومعذرة - ما زالوا نائمين
مطوّر - مجبّد	ذكي جداً - عارف	خضي معاه، تراه مطوّر ومجبّد	كن معه على حذر انه داهية.
مقزّب	قصير الثياب	هذا الوليد مقزّب، البرد عليه!	طفل معرض للبرد لأنه قصير الثياب
امقيت	غير مقبول	ما انحدّروش مقيت عيبة.	لن أكلمه لأنه غير مقبول معيف
مخلي	مشؤوم	هذا المخلي، اللي امحلها تخنّس بيها	مشؤوم، ما عمل عملاً الا أخفق فيه
امتولّد (نساء)	مدبّرة - حاذقة	متولّد، تعمل الكنيس ما القليل	مدبّرة، تحسن التصرف في القليل
ماذا ماجاب	ما اهتم، لا أخذ ولا أعطى	قالو شي كلمة ماذا ماجاب فيها	قال له كلمة، لم يدرك الى ماذا تشير؟
مقربلة	غير منظمة	دخلت لدارها وجبرتها مقربلة	دخلت مسكنها فاذا به في فوضى
مفرقط	غير زائد الطول	لبس جلابة مفرقطة	ارتدى جلبابا غير طويل.
مهيدر	متراخ، مهمل	ما عزّليت بشي ذا المهيدر يخدم معاك؟	لم تنتق سوى هذا المتهاون ليساعدك
محتك	متردد - متخوف	هذا المحتك لا تعوّلش عليه	لا تضع ثقتك في هذا المتردد
مجواع	غير قانع - طامع	مجواع يبسر بدّه قاع	مهما أخذ وكسب لا يقنع كأنه بئر
مبرّق	مفضوح	كذب كذبة وبقى مبرّق	كذب لكنه انفضح.
مجمّك	لا يفقه	سولتو، سا عا جبرتو مجمّك	سألته فاذا به لا يفقه
مفرقشة	غير جميلة الساقين	ذا تماعا قرة ويكيني رجليها مفرقشة	جسدها مليء غير ان ساقيها قبيحتان.
مولّي	راجع	تستناني ها انا مولّي	انتظرني اني راجع

ن

ناجم	مستطيع . مقتدر	راه ناجم باش يعملها	انه كفء للقيام بها.
نخوة	ترفع . فخفخة	تيبغي النخوة وتيفتش عليها	يبحث عن الفخفخة ويعمل لأجلها.
ناناه	أنانيته . غيرته	منين شاف جارو اربح جاتو ناناه	كانت أنانيته لما رأى فوز جاره.
نغنغ	يتحدث من أنفه	داك النفناف تينغنغ فالهدرة	ذلك الأخنى يتحدث من أنفه .
نصو	نصفه	خذ نصو وزا نصو	خذ نصفه وهات نصفه
نش	ذب	العسال ينش النحل على العسل	بائع العسل يذب النحل عن العسل
انتر	جذب . قطع بأسنانه	السنة اللي تتفغفغ نترها وحيّدها	السن غير الثابتة اجذبها وانتزعها.
الناض	الرصيد . الذهب	منين جات السلعة تجبر عندو الناض	لما وردت البضاعة كان عنده الرصيد الكافي
نتش	أخذ بعنف	كنت رافد الفوطة انتشها من يدي	كنت أحمل فوطة فانتزعها مني بعنف
نخم	بصق النخام	ناظر ترابي تيتنخم قدام الناس	مدير التربية يبصق أمام الغير
نفخة	تكبر . ترفع	علاش جاتو ذيك النفخة !	ترى ما سبب هذا التكبر فيه ؟
ناكاه	ضاده . عارضه	ابقى تيرد الهدرة حتى ناكاها	رد عليها وحاججها الى حد المضادة .
نغلو	لم يكلمه مطلقا	هو تيهدر معاه ولا خور منغلو	انه يحدثه و الآخر ساكت بإصرار
نونو (للأطفال)	شيء جديد . طريف	خذ نونو زوين	خذ ها انها تحفة جميلة
نوارة	زهرة . نموذج	جالس بين صحابو بحال النوارة	جالس بين أصحابه مثل الزهرة .
نم	كناية عن شيء تافه	أش عطيتي ؟ نم ؟!	ترى ماذا أعطيت ؟ هذا الشيء التافه؟
انصاف	فراعة جبية !	الفارغ فرح مراتو كنّ على بالو من النصاف	يا هذا الذي سيفرح متنفسا مع زوجته (النصافي)
نواه	شككه	بدا تيهدر وتيخزر صاحبو حتى نواه الى معاهم .	تسارّ مع صاحبه الى ان شكك مجالسيهما.

ص

صابّة	إنتاج الحبوب - سقف	تَشكِينَ، تِيَبّاتْ تحت الصّابّة	بئيس، يبيت تحت سقف بين جواريه
صاطْ	عملاق - جبّار	هَذا الحَمّالْ تَقُولْ غِيرْ صَاطْ.	انه حمال عتي تحسبه عملاقاً
صَحّ - بصَحّ	ثابت، لا شك فيه	هَذا الشّي اللّي تَقُولْ بَصَحّ بَعْدَا؟	قبل كل شيء، هل ماتقوله صحيح ؟
صَمْ	صعيد - جامد	ضَرْبُو بْصَمْ، وَفَلْقُو	رماه بصعيد وشجّ رأسه
صامَتْ	ساكت - غير مائع	لا تَصَبَّنْلِيشِي غِيرْ بالصَّابونْ الصَّامَتْ	لا تستعمل سوى الصابون غير المائع
صابو	وجده - لقيه	فَتَّشْ ثالَا رْهَم حَتَّى صَابُو	بحث عن الدرهم الى أن وجده
صافي	تامّ - نقي	بَارْكَة، شْبَعْتْ، صَافي	يكفي، لقد شبعت جيدا
صَهْصْ	شدة الحرارة	لْبَسْ جَلّابَة دَالصُّوفْ حَتَّى صْهَدْ	لما لبس جلبابا صوفيا شعر بالحرارة
صَيّرْ	أنفق	هُوَ اللّي تَيْصَيّرْ عَلَ الدّارْ	هو الذي يتولى الانفاق على العائلة
صَبّنُو	كناية عن الإلقاق	بَيَّطْلُو بّاه، وَصَبّنُو عْلَى ذِيكْ الفَعْلَة	دعاه أبوه ووبخه من أجل ما فعل
صَرْفَقُو	صفعه	جَا عَلُّورَا وَصَرْفَقُو	أتاه من الخلف وصفعه.
صَاوْبْ	فعل - أصلح	كانتْ المَكَانَة فاسْدَة وصَاوبْهَا	كانت الساعة معطلة وأصلحها.
صَرْفْ - صَرْف	فكّة نقود	كانتْ عَنْدُو مْيَة دَالرْيَالْ صْحِيحَة صَرْفْهَا	كان يتوفر على ورقة نقدية ثم فككها
صَيّكْ بالضحك	ضحك ملء شدقيه	هْدَرْ لُو فْوَذْنِيه وَصَيّكْ بالضّحْكْ	أسر له في أذنه ثم ضحك ملء شدقيه
الصْلَابَة	وقاحة	فِيه صْلَابَة بْلَا قْيَاسْ	وقح بشكل زائد
صابح	بائت - غير طري	الْولَدْ ما تَيَكُلشْ الطّعام الصّابح	الطفل لا يأكل الطعام البائت
صَرْصَرْ	أحدث طقطقة	مَنْ بْعِيدْ سْمَعْتْها تَتْصَرْصَرْ	كان صوتها الفاج يسمع من بعد
صَفّي	أزل الكدورة، استقم	صَفّي وَاشْرَبْ (مثل)	متى تيقنت من طهارته فاشرب.
صَحّفْ	قلب الكلام - أخطأ	كانْ تَيَقْرَا وَتَيْصَحّفْ	كان يقرأ - مخطئا في قراءته

ض

ضباب	يكنى به عن لاشيء .	ما تشدّ مَنْ عَنْدُو غيرْ الضّبابْ	لن تنال منه الا الهباء .
ضُبْ	سمين - خشن	هُو ضَبّ ، وَطَحَشْتُو خَارْجَةْ	انه سمين وبطنه بارزة
ضُكْ	جاف - منقبض	ما تهْدَرْشِي مْعاهْ جِيتْ ضُكّ	لا تحدثه انه جاف منقبض
ضْرُوبَة	عجلة - شابة قوية	ضْحِيحَة تْبَارك الله تْقُولِيهَا ضْرُوبَة	قوية البدن كأنها عجلة .
ضعيفْ الحالة	فقير - مخصوص	ضْعِيف الحَالَة يَدّ لقدّامْ وَيدّ الوّرْ	انه مايستره الا يداه ! امام وخلف
ضخّمْ مْعَ راسُو	أغناه ≠ عاقبه	تْزَوّجْ بْخَوَاجِيَّة وَضْخَمْ مْعَ راسُو	تزوج غنية واستغنى وتبذخ
ضاربْها بسَكْتَة	معرض عن الكلام	احْنا نْتْهَدْرُو وهُوضَارْبْهَا بْسَكْتَة	نحن نتحدث وهو ممسك عن الحديث
ضْحْكَة	أضحوكة	آذاك الضَّحْكة ، راهْ خْذالكْ دْيالكْ	يا أيها الأضحوكة ، لقد سلبك متاعك
ضَغُور	خشن ، جاف	قِيلُو عْليكْ راه ضْغُورْ	تجنبه انه غير لطيف
ضبّعْ	جعله مبهوتاً كالضبع	مْضَبَّعْ ، كَايْلَسْ حَالّ فمُّو	مبهوت ، يجلس وهو فاتح فاه
(ضخامة)	عظيم القامة	عمّر المحَلّ ضخامة ، تبارك الله	ملأ المكان بضخامة ذاته .
ضْبحْ	أكثر من اللهث والضجة	النْهار كُلُّو وهْي تَتْضْبَحْ	كثيرة الضجة طيلة النهار
ضاوي	منير	بِيتْ ضَاوِي وبِيتْ ظْلِيمْ	حجرة مكتنفية نوراً ، وأخرى لا .
ضاق	ضجر	كَانْ كَايْلَسْ بْوَحْدُو ساعا ضَاقْ	كان جالساً بمفرده لكنه ضجر
ضْيْ	نور	ضَيْ النْهار احْسَنْ مَنْ ضْوّ لامْبا	نور النهار أفضل من نور المصباح
ضدْ فيه	معاكسة له .	قالو الْكْلَسْ ، ساعا خْرَجْ ضدّ فيه	طلب منه الجلوس لكنه عاكسه وخرج
اضْفرْ مْعاهْ	برم معه	ذَاكْرو معاهْ وبْرمُو القضية .	تباحثا في الأمر وبرم اتفاقا
ضايْدُو	حاربه وعاكسه	الْمحلْ حانوتو قدّامُو ، وبدا يْضايْدُو	فتح دكانه امام دكان صاحبه وعاكسه

ع

عبّو	كلام فارغ - كذب	ما فكلامو مَيْنْ عبّو واشفزّقْ	ليس في كلامه الا الفراغ والكذب
عاقاك	أتضرّع إليك	تماقاكْ، تحتْرُو تما يْعاوْدْ	انتشفع اليك، لن يعود لمثلها
عبّاف - عايفْ	مشمئز - نفور	ما تاكُلْشي الشّابلْ حتّى تِعْبِفُو	لا تبالغ في أكل حوت الشابل لئلا تعاف
اعْبْرعليه	استغفله - خدعه	لَعْرُوبيَّة عَبْرُو بِيّ (مثل)	البدويون خدعولي!
عتوكة	دجاجة صغيرة، فتية	ادْبَحْ فَرُّوج ولا عتوكة	لك ان تذبح ديكاً أو فرخة.
عجّابة	كثيرة الانتقاد	مَا تْعاشْرَهاشْ حِيتْ هِيّ عجّابة	لن اتعامل معها ما دامت كثيرة الانتقاد.
عدّا	تُوفّي	الْيُوم عدّا، وادْفَنْ حتّى لَغْدّا	مات في يومه، ولم يدفن الا في الغد.
عرّاه	سلبه - ضبعه	التْشَارَكْ فالبيعْ والشْرا، ساعا عرّاهْ	عقدا شركة تجارية ولكن سلبه حقه،
عزّي	أسود اللون	الْقْمرّي، عزّو ربّي (مثل)	الأسود أحبه الله!
عفريتْ	صارم - جبّار	هذا عفْرِيتْ، تِيْخبّطْ المتعلقين من التما	جبار ينفض كل متعال مترفع
عقْرا يشّة	سرطان البحر - عجوز	دبك لعكوزة كيفْ عكرا بِشّة	الشبه تام بين العجوز وسرطان البحر.
عيّانْ	تعب - منهوك	أنا عيّانْ مَخْدُودْ خَلّيني نرْتاحْ	اني تعب ومنهوك، دعني استريح
عيّطْه	صرخ - هتف	عيّطْ عْليهْ بْلغوّاتْ	نادى عليه بصوت مرتفع.
عشّاكْ	بـ لا حرى	ما فمّلْ حِيْر فَدّ، عشّاكْ أنْتَ	لم يحسن لأي أحد فأحرى أنت!
العاشق فالنّبي	(للنساء)	امْرا غْزالة تايْكة (العاشق فالنبي)	سيدة مليحة جذابة صلاة النبي عليها
عويشقة	عذراء - صغيرة النساء	وَاخا هُو شارفْ خدّا عْويشْقة	ولو انه شيخ فقد تزوج فتاة صغيرة
عاوْدْتيني	مرة أخرى	جيتي عاوْدْتيني، زيهْ خلّفانْع الطّرِيقْ	جئت مرة أخرى، فخذ طوالك نحو الطريق
اعْتَقْ	نجّى - فك - أنقذ	كان غا يغرق سمّا عتقو	كاد ان يغرق ولكنه أنقذه

غ

غبْشة	امتلاء الرقبة	اشتانت غبتى حتكك العنبّة	امتلأ بو نها وتدلى ما تحت ذقنها
غادى	مشى - سوف	قادى نسافر غدّا	سوف أسافر غدا؟
غمْغم	دسّ أنفه - تشمّم	انعس فشونْ هُو، وغمْغم بيها	نام في حضن أمه وتشممها
غنْغن	عزف عزفا سيئا	وا خا غنْغنى ما سمعو حدّ	ولو انه عزف فلا أحد استمع إليه
غلّو	أكل بشراهة	الكلأ حتى غلو	أكل حتى امتلأت معدته .
غيّم الحال	طلعت السحب	ما نا نخرجش حيث الحال غيّمْ	لن أخرج مادام الطقس تغير
غيص	رحل - عن كره	ما جا غير على قلبو يغيص يغيص	حضر على كره منه .
غوّت	صرخ	تيغوّتْ بحيث جاه شي وجع، ما شكا	يصرخ مما ألم به، لا يعرف شكواه
غوّت عليه	وبّخه - لامه	المعلم غوّت على المتعلم	وبخ المعلم الصانع .
غرّز	قضم بأسنانه	خذا الحمّص، وبدا يغرّز	تناول الحمص المقلى وبدأ يقضم .
غرناك	كثير البكاء	هذ الولد غرناك يتقلّق الخاطر	طفل كثير العويل الى حد الإزعاج .
غفلو	غافله - خدعه	غفلو، وجبدلو ودنيه	غافله، وقرض أذنه .
غرْدو	ذبحه ذبحا	كتّف الحولي وغرْدو	وضع الكتاف على قوائم الكبش وذبحه .
غبّرو	أخفاه تماما	خذا السوارت وغبّرهم	أخذ المفاتيح وأخفاها تماما
غاملة	غير طرية - بليدة	ما تتعرف والو، ما نله مسكينة	لا تدري شيئا انها متخلفة بليدة
غفلون	الغفلة التامة	خليها فدا رغفلون !	دعها في غفلتها المطبقة .
غيّرها	كدّرها	قالها شي كلمة غيّرها بها .	أغاظها وكدرها بكلمة سيئة
اعْتر	اعترضه ما يسقطه	كان غادى بززبا ساما اعتر وطاح	كان سائرا بسرعة فتعثر وسقط

ف

فاق	أفاق - وعى	فاق بيه، واغمض بزاف وغشيم	تنبه لمكره، ولكنه تبالد.
فاش	في أي شيء ؟	فاش تتحطى، قل اشرخ ملخ	ماذا تريد؟ وضح كل شيء.
فيداعة	ذات سلوك مشبوه	ماتعاشريشي ذيك الفيداعة	لا تعاشري تلك الفيداعة
فطايل	مشاكل	ما ذهاتيني غير الفطايل	ما شغلتني إلا المشاكل
فشوش	ميوعة، انحراف	فشوش كثير هذا، خصك الزيار	هذه ميوعة زائدة، لا بد من التشدد معك
فهامة	التظاهر بالفهم	باركة علينا من كثرة الفهامة	كفانا من التحذلق وتصنع الفهم الكثير.
فوال	ثرثار	تراه فوال، يبقى يكلس وهو يهدر	ثرثار، ما أن يجلس حتى يبدأ في ثرثرته
فين - فينما	أينما، حيثما	فينما مشيتي تجبرو	حيثما ذهبت تجده أمامك.
فركوش	مؤنس لطيف	ربات شي فركوشة تونسها	تولت تربية صبية تؤنسها
فرقعها	فرقع - فضح	بقا ساكت، وفلخر فرقعها	تصبر صامتاً وأخيراً فضح السر
فرخ	كتكوت - شاب فتي	يبقى فرخ، مايقدرشي على تمارا	ما زال فتياً لا يقدر على تحمل الجهد
فقّصه	حسد - حقد	تفقصنيه غيب ما فولاباس عليه	حسده لما رأى مستواه المالي الطيب.
فرّك	بلل - أغرق	فرّك حوايجو بالما	بلل ملابسه بالماء.
فقفع	هز استقراره	كان مهني مع راسو جا فقفعو	كان مرتاح البال فهز استقراره.
فردك	فك الخياطة	فردك الخياطة وعاودها	فك الخياطة وأعادها من جديد.
فيقو	أيقظه - نبهه	فيقو، وامشا يفيق لخرين	أيقظه، وذهب لإيقاظ الآخرين
فهدة	بهية القامة	عجبت كل شي، بنت فهدة	لفتت البنت البهية جميع الناس.
فالسو	تافه - مفلس	بيعا وشرية فالسة	عملية تجارية لا مردود لها.

ق

قَبّْ	كَنية الأم - غطاء الرأس	جِينْ هُوَ شَافُو، رَهُو يَعْمَل قَبْ	بمجرد ما رآه غطى وسكت
قُبَّة	خصلة من الشعر	تْكَامْشَتْ مْعَاهَا، وَعَلَّقْ بِيدِّيهَا قُبَّة	تشابكت معها وأبقت في يدها خصلة.
قَجُّو	خنقه	قَجُّو، وجْمَعُو بْنُصّْ	خنقه ثم أسقطه أرضا.
قَصَّعْ	أوجع - تشدد	ازْغَمْ على رَجْلِيهْ لَرْيِفَة وَقَصْعُو	وطئ على قدمه الريفة فآلمها.
قَبَّحْ	تطاول	ما تْحَشْشَمْشْ، تْتْقَبَّحْ على لَفْقِي!	الا تستحي، انك تتطاول على الفقيه
قُوَّتْ	كثرة	قُوّتْ لِيتْشِيطِينْ مَا مَزْيَا نَشْ	كثرة الدماس محل سيء لا يليق
قَرَّدْحَة	قدر كبير	جَابْ الطَّهْبَة بِيهَا قَرْدْحَا!	القدر اللازم للضريبة باهظة
قَنُّوفَة	أرنبة الأنف	تْتْهَبَّلِيتْيَا قَنُّوفْتَكْ !	مابالك تتشامخ علي بأنفك؟
قَلَّعْ مْعَاهْ	هاجمه بشدة	غِيرْ هُو دُرَا، وْهُو يْقَلَّعْ مْعَاهْ	ما ان كلمه حتى بدأ يهاجمه
اقْنَعْ	رضي - اكتفى	اقْنَعْ بِالِّي عْطَى اللهْ	رضي بقسمته .
قَفْزْهَا عْلِيهْ	سلبه - خدعه	الشْرِكْ مْعَاهْ، سَاعَا قَفْزْهَا عْلِيهْ	عقد معه شركة لكنه خدعه
قَدُّو	ملائم - كفاه	دَعَةَ الْبْلاَبْ جَا قَدُّو، والْبْلْغَة كْبِيرَة عْلِيهْ	الجلباب ملائم اما الحذاء فكبير عليه
قَدْقَدْ	متساويان	هَدَا الزُّوجْ وْلاَدْ قَدْقَدْ	هذان الولدان متساويان في السن.
قَحْمُو	أخذه على مضض	خْدَا الحُوتْ الطَّايَبْ وَقَحْمُو	اشترى السمك غير الطري على مضض
قَدْ دُو	اكتفى به	هَذَا الشِّي اللِّي كَايَنْ مَن التُّوبْ قَدْ دُو	ليس هناك الا هذا القدر من الثوب فاكتف
قَرَّدْ	(قرفص)	قَرَّدْ بَاشْ يَتْوَضَّا	قرفص ليتوضأ .
قَاقِي	يوقوق	الدْجَاجَة تْتْقَاقِي وَتْبِيضْ	توقوق الدجاجة ثم تبيض
قَرْقَبْ	أحدث صوتا	رَافْدْ الشْوَارَبْ وَتَيْقَرْقْبُهُمْ	يحمل المفاتيح ويحدث بها صوتا

س

صاخْ	غفا - أغمي عليه	آنا تْغَيّط عْليهْ وَهُو سَايَخْ	ناديته فاذا به غيبوبته.
تسبّبْ	استكتب رقية	امْشَى لَعَنْد الْفقيهْ باشْ يتسبّب	قصد الفقيه ليكتب له حجابا
تسبّبْ عْليهْ	تكلف البحث عن سبب	بَعْدْ مَنّي، مَا تتسبّبْ بِيَّ عْليّا	اتركني، ولا تبحث عن سبب يأتي عني
تسَطّاهَا	تسبب لها في خلل	بْقَى يْتِكَرْفَسْ عْليهَا حتّى سَطّاهَا	عاملها بشراسة حتى تسبب لها في خلل
سَهْوَكْهَا	لم يُعقّد الأمور	مَالَكْ صْعِيبْ؟ سَهْوَكْهَا، وَخَلّيهَا لَلّه	لماذا التصلب؟ اترك الأمور تسير بلا صعوبات
اسْوَا	يساوي - قيمته	هذَا اجْنانْ، اسْوَا عَشْرَ الَف رْيالْ	هذا الحقل يساوي 10 آلاف ريال
اسْكُبِّي	الكذب - الاحتيال	بارْكَا من السّكُوبِّي والسّفْوَنْجْ	كفى كذبا واحتيالا
سَاقْ لَخْبَارْ	بلغه الخبر	سَاقْ لَخْبَرْ وَجَا يَجْرِي	لما بلغه الخبر جاء مسرعا.
سْرَطْهَا	بلعها، اختلسها	فلُوس لَيْتَامَى اسْرَطْهُمْ فَكْرَشُو	اختلس أموال اليتامى
سَتَّفْ	رتب	البَيَّاعْ والشّرَايْ سَتّفْ سَلْعْتُو	التاجر رتب بضاعته
سَنْطِيحَة	جبهة - وقاحة	يْتْدَخّلْ رَاسُو فكُلّشِي، وَايْنِي سَنْطِيحَة	يتدخل في جميع الأمور يا له من وقوح
سْلاَطَة	متسلط - مطايب	صَاحْبُو ادْرَجْ عْلِيهْ اسْلاَطَة	صديقه تسلط عليه وطايبه
سْفِيفْطَة	دنيئة، خسيسة	امْرَا سْفِيفْطَة تَطْمَعْ فالحْلوَة ديال الدّراري	سيدة خسيسة تطمع في حلوى الأطفال
سَيّبْ	رمى	سَيّبْ عْلِيهْ حَجْرَة وْدَتّاهْ	رماه بحجر فأعطبه
سَالاَ	انتهى - كمل	سَالاَتْ اشْغَلْهَا وْدَارَتْ بْرَاسْهَا	أنهت أشغال البيت وأخذت زينتها
سَخْفُو	أنهكه	الجْرِي بَزّافْ سَخْفُو	كثرة الجري أنهكته
سَخّا بِيهَا	سلّم فيها، فارقها	طاحَتْ لُو كَانَتْ مَحْفُوقَة ما سخابيها	ضاعت ساعته المضبوطة وتألم لذلك.
سْخُونْ رَاسُو	طيب - عنيد	مَا تْعَنْدُو شِي رَاهْ سْخُونْ رَاسُو	لا تعانده ما دام عنيدا.

ش

شَابّ دْ لْحْمُومْ	شاب فى العنفوان	شَابّ دْ لْحْمُومْ مَاتْ مَسْكِينْ	شاب فى عنفوان الشباب مات.
شْدِيدْ	قوى - ماهر	اخْضِى مْعَاهْ رَاهْ شْدِيدْ فَاللّْعَابْ	لاعبه بحذر انه ماهر.
شِيبكى	أنيق	هَذا الْعَزْرِي دِيمَا شِيبكى!	هذا الأعزب أنيق على الدوام
شَهْبَة	شقراء	خْلاّ الْحَرَّابِيَّة وتْزَوَّجْ شَهْبَة	ترك السمراء وتزوج الشقراء
شْهِيوَات	الأكلات الملذة	الشْهِيوَاتْ كُلْهَا فُوقْ الْمِيدَة	كل الأكلات الملذة على المائدة.
شْوِيَّة	قليلا - بمهل	يَتْمَشَّى بْشْوِيَّة حِيثْ عْيَانْ شْوِيَّة	يسير على مهل لأنه تعب قليلا
شَهْوَة - بْنِينْ شَهْوَة	لذيذ - جد لذيذ	كْلِيتْ شِي حُوتَة مَقْلِيَّة بْنِينْ شَهْوَة	أكلت سمكة مقلية لذيذة جدا
شُوكَة مْخَلْفُو	مضايق له	مْعَلْمُو وَاقَفْلُو شُوكَة فْحَلْقُو	رئيسه فى المصنع يضايقه بلا تهاون.
شَارَفْ	عجوز - منهك	وَاخَّا شَارَفْ عِينُو خَضْرَا !	ولو انه عجوز فانه منهمك
شْكَرُوفَة	عجوز شمطاء	عْكُوزْتْهَا شْكَرُوفَة نْيَابْهَا خَارْجِينْ	حماتها الشمطاء ناقمة عليها.
شَيَّرْ	رمى - قذف	شَيَّرْ عْلِيهْ - بْغِيرْ رَبِّى كَانْ يْخَوَّرْلُو	عينيه - قذفه وكاد يفقأ عينه لولا لطف الله
شْرَكْ	شرق	كَانْ يْتْشْرَبْ وْهُوَ يْشْرَكْ	بينما هو يشرب اذا به يشرق.
شَرَّحْ مْلَّحْ	وضح - بين	قُولِّى، لاَ تْخَبِّيشْ - شَرَّحْ مَلَّحْ	أدل لى بأقوالك لا تخفى شيئا.
شْوَاهْ	شواه - نكبه	قْتَلْ لُو وَلْدُو - اللَّهْ شْوَاهْ لُو كْبْدُو	اغتال ولده فنكبه نكبة يا إلهى!
شَلْفَطْ	اختلس	اعْطَاهْ شِى أَمَانَة سَاعَا شَلْفَطْهَا	ترك له أمانة فاختلسها
شْمَاتَة	خائب - مشموت	اشْمَاتَة ، مَا فِيدِيه لاَ قْرَايَة لاَ صَنْعَة	انه لخائب ليس متعلما ولا محترفا.
شْفِيَّة	شيء مؤلم	وَلْدُو اخْرَجْ خَطِيَّة وشْفِيَّة لَلْعْدْيَانْ	خاب أمله فى ولده وكان سارا للعدا
شْحَطْ	انتهب - سطا ضرب	اشْحَطْ هَذَا الْخَبْزَة آذَاكْ الْعَلْهَيْش	أسطو على هذه الخبزة يا أكول!

هـ

هَبّ رِيح	شخص خرافي	هاهوفّنا، هاهوتمّ، مثل (هب ريح)	ينتقل مثل - هب ريح -.
هاتْرْ	متصابٍ	يِقيلْ عِليكْ لِبْنَاتْ رَاكْ هَاتْرْ	دع التودد للفتيات انك متصاب .
اهْجاجْ	ترويع - تكدير	مَارْتَاحْشِي، مْ ذَاكْ الْهْجَاجْ	لم يشعر بالراحة انه مروع
هادّا	مصيبة ماحقة	ظالم، وَمَاشُفْنَى ظَالِمْ، الله يْعِطِيهْ هادّا	الظالم يا له من ظالم انزل الله به مصيبة.
هَرْهُوري	ضحوك - مرح	رَجِلْ هَرْهُوري، الكلمة نعاه قصيرة	رجل مرح لا تقوى على مفارقته
هَرّو	ضغضغه	لَا تْهَرُّوشْ تَحْتْ بَاطُو، رَاهْ يْهزارْ	لا تضغضغه تحت إبطه انه (مضغاغ)
هَاكَّة	هكذا - مثل هذا	اعْمْلْ هَاكَّا وَلَا خَلِّيهَا	افعل هكذا والا اتركه بالمرة
هَمْزَة حَامْضَة	صفقة خاسرة	آشْ هَذا الْهَمْزَة الْحَامْضَة	ما هذه الصفقة الخاسرة .
هَنْكَارَا	حذاء بال مرقّع	الْبِسْ فِرْجِلِيهْ شِي هَنْكَارَا وَتَمْ مَاجِي	رفع حذاء رديئا في قدمه وأقبل .
هَوِّرْها على الله	هوّن الأمر	تْعَايَشْ بِالِّي كْتِبْ الله وِهَوِّرْهَا	يعيش على كفاف بلا مصاعب .
الهْوَاشْ	ضجيج - ثرثرة	بَارْكَا مْ الْهْوَاشْ، آذُوكْ الدَّرَارِي	كفى ضجيجا يا أولاد .
هَيْلَالَة	صخب	غِيرْ جَاوْ الضْيَافْ قْوَّتْ هِيلَالَة	بحضور الضيوف كثر الصخب .
هدْرَة	كلام - حديث	الشْحَالْ وَهُوَّ مْعَانَا فَالْهَدْرَة حَتَّى نْسَاوْ رَاسْهُمْ	مضى وقت طويل وهو يحدثه نسيا نفسيهما
اهْنِيتَة	هنيئا	اهْنِيتَة اعْلِيكْ نْجَاكْ الله !	هنيئا بنجاتك .
هَلْدَفْ	مسرع	جَاءْ هَلْدَفْ تَكْفَطْهْ جَلَابْلُو	جاء مسرعا مشمرا عن ساقيه .
هَاكَّاكْ	هاكذاك	هَاكَّاكْ اعْمِلْ، دَابَا عَارْفْتِي	افعل هكذا لقد أدركت الطريقة .
هَارِي	ناضج جدا	كْلَا الْفُولْ طَايَبْ وَهَارِي	أكل الفول مطبوخ وناضج جدا !
هَابْلَا	ناضجة جدا كذلك	الغَلَّة هَابْلَا فُوقْ الشْجَرَة	الغلال تام النضج تكاد تنفطر حلاوة !

و

ي

واخّا	نعم - ولو	وَاخّا سَمْعَتِينِي ماقلتيش وَاخّا	ولو انك سمعت كلامى لم تجبنى بنعم
وَالُو	لا شيء	ما فْجِيبِي والُو، خَاوِي تَبَصْفَرْ	لا نقود فى جيبى انه فارغ تماما
ولّى	عاد - صار	وَلّى تبْلادُو، وَلّى بِيها بَنّايْ	عاد الى مسقط رأسه وصار بناء .
وايْلِي	كيف لا ؟	وَايْلِي، كِيفَشْ ماسْمَعْتِينِيش	كيف يا ترى لم تسمعنى .
واهْ واهْ	ياله	وَاهْ واهْ ، هَذا خِيرْ كْثِيرْ	يالها من خيرات متدفقة
واكْ واكْ	استغيث	وَاكْ وَاكْ - آعْبادالله - راهْ قَتْلْنِي	استغيث يا ناس لقد خنقنى
واعَرْ	صعب، شديد المراس	المعلّم دْيَانا وَاعَر، ماتقْدَرْشْ تْقَافا قدّامُو	رئيسنا صارم لا تستطيع مجابهته .
واهلي عْلِيكْ	خيبت الظنى	واهلي عْلِيكْ ، اصْغَرْ مَنَّكْ وَفَاتَكْ	خيبت الظنى ، سبقك من اصغر سنه
وايّاكْ	إيّاك - كن حذرا	وَايّاكْ تَعْقَلْ رَيُّو ، رَاهْ خَاوِي	احذر العمل برأيه ، انه رأى تافه
ولّاف	ألوف	هذا القْطِيّطْ وَلّافْ بَزّافْ	هذا القطيط ألوف جدا
وَلْوَلْتْ	زغردت	فَالعَرْسْ وَلْوَلْتْ حَتّى شْبَعْتْ	زغردت كثيرا فى حفل العرس
يمّا - ميمتى	أمّى	يَا يمّا رَاكْ مَاعَزّْ مَنَّكْ غِيرْ رَبِّي	لا اعز منك يا والدتى الا الله .
ياكْ ؟	أليس كذلك ؟	شَفْتِينِي خَارَجْ ، يَاكْ ؟	رأيتنى خارجا ، أليس كذلك .
ياكْ ياكْ	كن على حذرا !	تَتْلَعّبْ بالجَنْوِي ، يَاكْ يَاكْ	تلعب بالسكين ، كن على حذر .
يبّاهْ !	انى متعجب !	يَتّدْعا مْعَ بّاهْ - يَبّاهْ	أقام دعوى على أبيه - أتعجب !
يَخْ	اشمئزاز	يَخْ عْلِيكْ وبِيكْ ، كْرَهْتْنِي	بعدا لك يا خبيث ، اذهب عنى .
يْدّيها	يأخذها	غَادِي يْدّيها مْعَاه ، وَيْجِيبْها مْعَاهْ	سيأخذها معه ثم يحضرها .
ياكاما	هل .. ؟	شَفْتَكْ تَتْضَحَكْ ، يَاكَامَا ..	أراك تضحك ، هل فزت بمرادك ؟

26 ـ التهويمات والاغاني

يحظى الاطفال السعداء من أمهاتهم الحنونات بكامل الرعاية وأهم جانب في هذه الرعاية هو إسدال كامل العطف عليهم من حيث ترى الام وهي آخذة طفلها الى حضنها لتنتعش بجسده الصغير وبنبضات قلبه الفتي فتحقق بذلك ترابطاً روحياً خفياً بينها وبينه ، لا يدرك أحد حدوده ولا قيمته وما أعظم سعادتهما حينئذ !

أحياناً ياتيها طفلها ، وهو تعب منهوك من كثرة الحركة واللعب ، أو ياتيها فزع مضطرب أو له رغبة في النوم فتاخذه عندئذ لحضنها وتضمه بذراعيه وتفسح المجال له في حجرها ثم تاخذ في النقر براحتيها على جنبه نقرات منتظمة ومنسجمة مع حركات فخذها وأثناء هذا تشرع تهوم تهويمات رقيقة خفيضة بصوت تجتهد في أن تجعله منغماً حنوناً ومن هذه التهويمات
آنه ، آنه

آراري يا راري ، يا رقاد الدراري	(الدراري الصبيان)
رقدلي وليدي ، بالمسك والغوالي	(الغالية : نوع من الطيب)
راريت قالوا غنيت	(راريت هومت)
سكتت ، قالوا هبيلة	(هبيلة خرقاء)
ارفدت راسي لله .	(ارفدت فوضت امري)
والعبد مايلو حيلة	(مايلو ليس له)
سيوانا يالحمقة	(سيوانا شخص خرافي)
ياللي أولادك فيران	
اللي يكره لي ولدي	(وليدي تصغير ولد)
يسعى بين البيبان . آنه ، آنه	(يسعى : يسأل الصدقه)
	(البيبان الابواب)

قد تترك الام هذه التهويمات التي ليست بذات موضوع مهم ولا ذات لفظ رائق وتعمد الى الذكر مرددة ـ في الغالب ـ كلاماً من ابداع "رجال القوم" أي أهل الذكر والخشوع والصلاح

طلع النهار على القـــمر	ولا ابقـــــى الا ربـــي
النـــاس زارت محمـــــد	وانا اسكن لي في قلبي.
طلع النهـــار علـــى قلبي	حتى انظـــرت بعينـــي
انت ادليلـــي يا ربـــي	انت أولـــى منـــي في
النـــور طالـــع يتـــلالا	من گبة العربي الامجـــد
خلتني في ذا الحـــالا	واسبتنـــي يـــا محمـــد
الواقفـــين عـــلى زمـــزم	خليونـــي نـــروا منـــو
آحببنـــا يـــا محمـــــد	سلطاننا يـــا مـــا حنـــو !
ايلا انكرتك يا لامجـــد	انصيب راحـــا في نفسي
لـــولا حبيبـــي محمـــد	ما كان عرش ولا كرســـي
الحب منك ما هـــو لي	انت الحبيب اللي نهـــوا
آحببنـــا يـــا محمـــــد	ريـــت حبـــك فيـــه دوا

وتختم هكذا وقد طفح بها التخشع الى حد سيلان الدموع

قلبـــي مولـــع ومزلـــع	مجـــذوب لاش تلومنـــي،
اللـــــه يا رب مــــولاي	أهـــل المحبـــة فاتونـــي
مجذوب ماناشي مجنـــون	غير الاحوال اللـــي بيـــا
انظرت فاللـــوح المحفوظ	والسابقـــا سبقـــت ليـــا

ويدخل في نطاق هذه التهويمات اللطيفة ، العذبة في السمع المؤثرة في الجوانح ما تتغني به الام أو الجدة للبنت الصغيرة وهي مستوية على الارجوحة ، خلال الايام الموالية ليوم عيد الاضحى أو خلال تجمع البنات بسبب ضيافة مثلا ـ وهذا النوع من التهويمات يسمى "العروبي" وهو غالباً ما يكون بنغمة "الزيدان" المعروفة

عند أصحاب الطرب الاندلسي ، أو هواة الامداح النبوية الشريفة
تقول احدى هذه العروبيات

آنا ، نا ، نا ياحمد حمدان .

يا قطيب الخيزران	(يا قضيبا من شجرة الخيزران)
يا سبيكة من ذهبان .	(يا سبيكة مصنوعة من ذهب)
في يدين الدلالة .	(يطوف بها عارضوها للبيع)
واعلاش يا حمد تزضم حفيان	(ولماذا يا احمد تسير حافيا)
وطير الغبرا . وتغبر السيگان	(ويثور الغبار ، فيؤذي السيقان)
مانا يامنتي تاجر	(لست يا أمي من التجار)
مانا ولد خواجة	(ولا انا ابن غني)
غير الگلاس بين البنات	(لا أريد الا جلسة بين الحسان)
زهو وفراجة !	(وتلك سلوى وفرجة)

هذا ويهتم بعض الباحثين بالتنقيب عن هذه "العروبيات" وتصنيفها ، وحبذا لو سجلت آليا بالاصوات الرخيمة من النوع الذي كان يأخذ بقلوبنا كل مأخذ ، ونحن صغار !

وكيفما كانت الحالة التي تعيشها المرأة فإنها حينا من الاحيان تترنم وقد يعلو ترنمها فيصير غناء وقد تتحمس فتزيد على غنائها تخشعا والترنمات ـ في الغالب ـ تاتي من امرأة رصينة ، أو متراصنة عركتها السنون والاحداث لهذا فهي تغتنم في الغالب فرصة سانحة وعلى انفراد فتسر غناءها لنفسها فإذا كان في هذه النفس شيء ، فانه يتجلى في موضوع الترنيمة ، وغالبا ما تكون ابتهالا وتضرعا بجاه الرسول ، أو بحرمة ولي من الاولياء وتشوقا الى البقاع المقدسة والامنية ـ حينئذ ـ من المستبعدات

أحيانا يكون الترنم بأغنية سبق ان التقطت كلماتها من الافواه ، عن طريق مغنية أو مولعة بالغناء ، أو من اسطوانة أو من مذياع وهذه الاغاني يدور موضوعها في الكثير من الاحيان حول

العشق والغرام وهو موضوع غير مرفوض من امرأة في كل زمان ومكان لكن الشائع هو قصائد الملحون الغزلية وهـــذه القصائـــد الجميلة ذات الايقاع الرائع ياتي فيها التغزل على شكل فريد في آداب الشعوب فهو غناء يصف المرأة عضواً عضواً والمرأة لا يهمها ما يردد الرجال من حقها بل قد يثير فيها حياء وتقززاً ! لهذا فهي تفضل الاستماع الى قصائد أخرى مغربية أو واردة من تونس والجزائر من مثل قصائد الشيخ العنقة المنسوجة عـــلى منوال الطانكو والسامبا تقول احدى القصائد

الحمام اللي والفتـــو مشـــى عليـــا

بعدما كان صديقي ، يحوم على خيالي

ما بقى لي في الدنيا ، ما نيدر أمان

بعد الحمام اللي والفتو مشـــى عليا

ان الصوت الرنان الرخيم المنغم سحر المـــرأة وسحرهـــا الموضوع ذو الطابع الرومانسي الخيالي الجميل وسحرتها نغمـــة الاكورديون الشجية التي تهز الافئدة

بعض متعشقات الاغاني الاصيلة كن يحرصن على الحضور في المناسبات للاستماع الى "الشيخات" والحفظ عنهن بكيفية مباشرة سريعة وعجيبة ، كما انهن يترددن على المنازل التي تستعير صاحباتها آلات الحاكي ويستمعن بشوق الى مغنى الاقطار العربية ومغنياتها، وبطبيعة الحال يكون الحفظ الدقيق هنا أكيداً

ويصل الامر بالمولعات في الاغاني أن يستدعين حبياً ليغنين وحينئذ يكون غناؤهن ألذ في الاسماع وأوقع في النفوس لانـــه يكون مفصحاً ومصحوباً بالملامح والاشارات والابتسامات ولربمـــا تركز المغنية على وجه مليح من الوجوه الحاضرة لانها تستحضـــر الشاعر صاحب القصيدة وما كان يعاني في نسج قصيدته أو الملحن

وهو يسهر الليل يدندن مقتنصاً اللحن الاشد وقعاً في النفوس والاكثر تأثيرا في العواطف

وبحكم سبق الجزائريين والتونسيين الى الاتصال بأروبا فإن التحرر عندهن كان أسبق كما أن تقارب اللهجات بين الاقطار كان يسهل الفهم لما يتغنى به ، في هذا الحين كانت أغاني عبد الوهاب وأم كلثوم وفريد واسمهان ، وعبد المطلب وليلى مراد ونادرة ونجاة خاصة بجمهور الشباب الآخذ بأسباب الثقافة وسنعود الى الحديث عن دور الفن في الاوساط

تبقى مسألة الرقص وهذه كانت مجهولة بين النساء ومن تجرأت وتحركت راقصة أمام رفيقاتها فإنها ولا شك تثير في النفوس اشمئزازاً ان لم نقل شكوكاً فكلمة "شطاحة" ترادف كلمة "ساقطة" لا ترضاها أية كريمة لنفسها

27 ـ مسليات عامة الناس

مهما كان دور المواطن في مجتمعه فإنه يمل حتى من التفرغ والكسل ان كان عائشاً فيهما ! لهذا يبحث كل ذي إحساس رهيفاً كان أم غليظاً عن المسلى والمسليات في المجتمعات عديدة ولا يليق أن تستهين طائفة بطائفة في هذا المجال ، لان فنون ومسليات كل صنف تعجبه وتهز جوانحه وتنسيه همومه وتخرجه حيناً من واقعــه

لقد اشرنا من قبل الى ان الطبقات المثقفة والموسرة كانت تتسلى بالطرب الاندلسي وبمجالس الامداح النبوية وهي محافل تكاد تخص الرجال انما النساء لهن محافلهن فيها القليل من الطرب الاندلسي ومن الامداح النبوية ومن طرب الملحون ومن الاغانــي الشائعة ومن "العروبي" و "المزوگي" وتقليد طرب الشرق وتونس والجزائر ويقرب من هذا أو يكاد يتجاوزه في بعض الاحيان والاماكن ما تتمتع به الطبقات الوسطى من المجتمع

بالنسبة للطبقات الدنيا التي لا نجد ما تنفق على ضروريات الحياة فأخرى على كمالياتها فإنها تبحث عن التسلية في الاماكن التي تناسبها أعني التي لا تكلف فيها وبلا مقابل مرهق وهكذا تتوجه الجموع الى الحلقات المتجمعة في الهواء الطلق خارج المدينة أو على مقربة من خارجها لا كما هو الحال عليه بمدينــة مراكش وهناك تسرد القصة ويمثل "السكتش" المشجى أو المضحك ويعزف صاحب العود أو صاحب الكمنجة أو الليرة أو البندير، ويصاحب ذلك غناء ورد عليه أو غناء جماعى أو رقص وتقضى البراعة الفنية أو الدهاء أن يوقف المشهد أو القطعة لتبــدأ عملية استخلاص الاجرة وهى عملية استجداء صرف يكثر فيهــا الدعاء والاستعطاف ومطالبة الجمع بما فيهم من نساء وصبيان بأن يقولوا

الشيخ سارد الحكاية وحوله جمهور متنوع ينصت واستغراب ؟

"آمين" عند كل دعاء وان (يقرقبوا عليها مفاتيح الربح) يعني أن يصفقوا !

ويقوم "الفنان" أو مساعده بجمع التبرعات أو الصدقات ـ سمها ما شئت ـ ثم يكمل المشهد أو الاغنية أو الاهزجة وقد نقطع للمرة الثانية ، لجمع التبرعات وربما أكثر من مرتين

لا أحتاج الى أن أقول ان المضمون والاداء بسيطان سخرية من غني جشع أو سخرية من فقير ساذج أو من زوج مخدوع أو تصوير لمشهد غرامي تطبعه الفورة الجنسية أو تمثيل لتعامل حضري وبدوي ، أو لمعيشة بقال سوسي مقتر وهذا يصحك المحتلقون ملء أشداقهم وحتى تدمع عيونهم !

أستطيع أن أضرب أمثالاً من فناني الشعب أو مسليه من الذين ترددت مع رفاق الصبا على حلقاتهم ، منهم الفنان الشعبي المعروف الحسين السلوي رحمه الله ، الذي أسمعنا الكثير من اغانيه الشائعة والتي استمرت شائعة حتى الآن والذي لا يعرف الناس هو أنه ـ زيادة على الغناء ـ كان يقوم باسكيتشات حلوة يضحك لها المتفرجون من أعماقهم ومن شدة حب الناس أولئك الناس الذين كانوا مشغوفين بحلقات الحسين السلوي الذي هو في الاصل من مدينة مراكش أقول انه من شدة الشغف كانوا يحسون بفراغ مريع عندما يتغيب عن حلقات "باب الخميس" المعروفة بمدينة سلا اذ أن هذا الفنان كان جوالاً وتتخطفه مدن الشمال على الخصوص مدينتا تطوان وطنجة ، وهذا أمر وارد في أغانيه مثل قوله "طنجة يالعالية" وقولة "عشقي في بنات تطوان عشقي فولاد تطوان هي وماليها كما أنه صور مدينته سلا التي قضى فيها فترة من عمره وبها مات ، في أغنيات مثل "يعجبني شط البحر" و "السانية والبير" و "ما احلى النزاها مع الناس لقدام" وصور المشاهد الاجتماعية المؤسية الاليمة مثل "درنا البونات كاملين" و "لاماريكان"

هناك شيخ كوميدي رائع بلغ من السن عتياً كان يدعى "لاعكز" كان يمثل الادوار الاجتماعية البدوية فيضحكنا نحن الحضريين ويضحك معنا البدويين المتحضرين وأعترف أنه فجر صدورنا ضحكاً ، بل فعل بنا شيئاً أكثر من ذلك والمدهش انه بع انتهاء (الحلقة) يتحول الشيخ الماجن رجلاً وقوراً صموتاً يسير في شبه إستعجال لا يرد على من يمازحه ولا على حتى من يناديه !

بين الحين والحين كانت ترد على البلدة ـ التي أقطنها ـ مجموعة من "الفنانين" الواسطيين أي الجزائريين وينصبون خيمة كبيرة ويأخذون في النداء ترغيباً في الدخول وعندما يستجيب الناس ويدخلون مقابل ثمن بسيط يجدون جوقاً صغيراً ويجدون راقصة ترقص كاشفة عن أجزاء من جسدها وهذا شي مضعضع لكيانات المتفرجين الذين يملأون المكان بالتصفيق والصفير والتأوهات والحقيقة أن المراهقين من أبناء العامة كانوا يتواصون للدخول الى هذه الخيمة مرات ومرات ان أمكن وأحياناً تتدخل السلطة فتبيح الغناء وتمنع الرقصات وعندئذ تقل المداخيل ويضطر أصحاب الخيمة الى اقتلاع أوتادهم !

ولعل حلقة "الازلية" أو الحكاية أرقى أنواع الحلقات فجمهورها يحضر باكراً ، وقد يحجز الامكنة منذ الزوال ، ويأتي ويبقى صابرا في انتظار "الشيخ" الذي ياتي بعد العصر والذي قد يكون شيخاً بالفعل أو مجرد كهل حسن البزة في الجملة ويجد الكرسي في انتظاره وبجواره آنية الشرب التي تبلل حلقه عندما يجف وقبل أن يبدأ يطالب بالتصلية على النبي فتؤدى وتكرر ثلاث مرات ثم يفض الغطاء عن الكتاب ويتنحنح ويداعب لحيته ويصوبها نظرات فاحصة الى الحاضرين ، ربما ليتأكد من حضور الزبائن المواظبين أصحاب الاداء منهم وغيرهم وليتعمق وجوه الطارئين على المجلس فلربما يكون من بينهم عنصر خير فياض وربما عنصر مضايقة ومشاكسة

من يدري ؟ ويشرع ملقياً نظرة سريعة على آخر حصة وينطلق بصوت جهير الا اذا اقتضت ظروف القصة أن يخفت ويشير بيده وبأصبعه وحتى بأكتافه وبجموع جسده ان اقتضى الحال وفي الوسط يتوقف ليجمع دريهمات ذلك المساء يجمعها هو بنفسه أو بواسطة احد الحاضرين ينوب عنه وقد يطيب الحديث ويطيب الاستماع فلا يتم الشيخ حصته الا بعد غروب الشمس ونزول الظلام فيتفرق القوم وهم يتلمسون طريقهم !

أحد الواسطيين كذلك كان له دور مسل من نوع آخر كان يحجز مساحة مربعة أو مستطيلة ويملأ وجه الارض فيها بالرسوم الملونة التي تمثل مواقف ومشاهد لصحابة وأولياء وأبطال وربما حتى لملائكة وكل من هؤلاء أبرزه الرسام الشعبي المحدود الموهبة وسط أشياء خارقة للعادة ولي واقف ـ مثلاً ـ وبجواره أسد رابض وبطل مسلم نازل بسيفه على الفارس الخصم الكافر من حيث شق رأسه وجسده وقسم الفرس من تحته قسمين ويمد قضيباً طويلا يوجد معه ويشير الى كل صورة أو رسم على حدة ويدلي بتعريفات منغومة ومسجوعة حلوة في الاسماع ويصل به الطواف الى لفافة من الاوراق البيضاء طبعت عليها آيات وجداول وطلاسم ويضفي على هذه الاحجبة من تنويهاته وشهاداته القيمة وما أن يسكت ـ وربما قبل ذلك ـ تأخذ الايدي في تخطف هذه الاوراق بعد طيها لتحفظ في الجيوب توقعاً لكل خير من ورائها واستجلاباً لكل منفعة ودفعاً لكل ضرر

ان مشاهدة المتفرجين وهم عائدون الى مساكنهم بعد الفرجة أو الاستماع لتؤكد انهم تمتعوا وانتشوا وأحسوا الاحاسيس الطيبة ولذلك افترت ثغورهم ولمعت عيونهم وانقلبوا راجعين وهم راضون عن أنفسهم وعن الدنيا وهل هدف الفن ـ أي فن ـ الا هذا أو البعض منه ؟

واذا كانت العامة تطلب تسليتها هكذا ـ أي كما ذكرنا في الفصل السابق ـ في جو من العفوية والبساطة وعدم التكلف تعطي ان أمكنها العطاء أو تأخذ التسلية بدون مقابل فإن أحاييل من الخداع والحيلة كانت تنصب لها

حيناً يأتي "قرداتي" ومعه قرد يلاعبه ويحادثـه ويناوشه ويطلب منه أن يقوم ببعض الحركات والاعمـال اثارة لضحـك المتفرجين واستجلاباً لدريهماتهم

وحيناً يحضر آخر صندوقه ويطلب الى صاحب "الغيطة" أن يصدح بالتزمير الذي ياتي الناس على أصدائه من كل مكان وبعد طول انتظار واثارات للشغف وبعد التهويل واصطناع الادوار يخرج حية فظيعة تسمع مع خروجها شهقات وآهات ويأخذ في لفها حول عنقه وحول جسده محاولا أن يقرب فمها من خده أو عنقه وكم يكون شوق بعض المتفرجين شديداً أن تلدغه ان يروا مفعـول اللذغة وان يروا الملذوغ ممددا يغالب سكرات الموت وهنا تترى الدريهمات بدافع العطف والشفقة على حياة مهددة

وثالث الاحيان يأتي احدهم بألعاب "سحرية" ، هي على بداعتها تأخذ بإعجاب مشاهديها كإخراج مناديل مترابطة من صندوق شوهد قبل قليل فارغاً أو سحب بيضات متوالية من الفم أو التحدث الى رأس مقطوع

وفي حين رابع يكتفي صاحب الفرجة بأن يفترش الارض على حصير بسيط وأمامه أواني من القصدير والخشب لا يعرف أحـد لماذا تصلح ، وقد يجلس بالقرب منه كلباً أو قطاً أليفين في عنقهما حبات من العقيق أو من بعض الاشياء اللامعة شبيهة بتلك التي

تتدلى من ''أنبوبة'' السبسي ويأخذ جرعات من الكيف ويروح يقول ويقول كلامًا مسجوعًا منغمًا يدور حول السخرية من الزمن والدنيا وأهلهما ومن تصرفاتهم ومن خداعاتهم وتآمراتهم وأنانياتهم ويصادف ذلك استحسانًا من المتفرجين المعانين وبذلك لا يبخلون عليه باقتسام ما في الجيب وهو قليل مثل هذا الرجل كان من المنتسبين الى طائفة ''هداوة''

وحينًا خامسًا ياتي محارب قديم من (ليزانسيان كومباطا) في حالة مزرية بلباسه العسكري وحذاؤه وقبعته في حالة مريعة من الوسخ والتمزق لم يبق معه من شيء محافظ عليه نسبيًا سوى الاوسمة ويروح يحكي للمتفرجين عن أهوال الحرب ومعاركها وقتلاها وأسلابها وسبيها ولما تمد له المساعدة البسيطة يقبضها بترفع إلا أن مثل هذا كان يقع فورا في يد الشرطة الفرنسية التي لا تريد ولا تقبل أن يمس بشرف أمتها العسكري من قريب أو من بعيد ولذلك قد ترى هذا الرجل في الغدفي ثياب حسنة ومعه نقود !

وبالجملة فإن التحايل على نقود المتفرجين البسطاء والتشعوذ كانا طريقًا مسلوكًا وهكذا يتحامق العاقل ويتباءس المكتفي ويصطنع المشاجرة المتصالحون المتوادون بل ويظهر الصلاح والورع أخس الناس سلوكًا ...!

29 ـ أهل الفنـــون

الفنون المعروفة في العالم المتحضر كثيرة الموسيقى ، الغناء الرقص الرسم النحت المسرح وغيرها ومجتمعنا لم يكن يتعاطى منها الا الفنين الاولين يتعاطاهما برجاله ونسائه بكباره وبصغاره أداء أو استماعًا أما الفنون الاخرى فهوايات عابرة

وتتجلى الموسيقى أكثر ما تتجلى في ضربات الايقاع وعمادها التعريجة "الكوال" و "الدعدوع" ، وهو أكبر من الاولى حجمًا ثم الطبل ، والطبلة والبندير والطر والطاسة وهذه جلها آلات مجوفة تغطى من احدى فتحتيها بالجلد جلد الماعز على الاخص مع مد وترين يعطيان رنة عند الضرب

أما الوتريات فهي أقل عددًا وتتطلب مهارة أكبر عند الاداء ولا يحسن العزف عليها الا متمرس طويل التمرس وحاذق كبير الحذق ، وان شئت متفرغ لها كل التفرغ معها صباحه ومساؤه وليله وأشهر هذه الآلات هي العود وهو آلة مشجية يطيب لها الانصات وحدها مهما طال الوقت ثم الكمنجة وهي آلة تزاحم العود في الشهرة وذيوع الاستعمال أما "الرباب" وهو آلة وترية عريقة فقليلة الاستعمال ولا يحسنها الا القليلون والقليلون جدا

وتكمل هذا آلات النفخ وهي الغيطة والناي "الليرة" وهذه الثانية هي الآلة الوحيدة التي تقع رخيصة ولطيفة في أيدي كل هاو وهي وان كانت من أعز المقتنيات الفنية بالنسبـة للرعـاة وعمال البساتين حيث يجدون فسحًا من الزمن والمكان لممارسة تداريبهم أولا ثم أناشيدهم الساذجة التي هي وان كانت مكررة فإنهـا مشجية ومغذية للعواطف ومن الطريف أن بعض العامة كانوا يتوهمون في هذه الآلة الموسيقية شؤمًا ويقولون عنها انها "تتدعى بالخلا" أي أنها نذيرتفرد وغربة ولعل ذلك راجع الى أن عازفي

الناي يلازمون الخلوات كما قلنا وانهم يحبون الترنم وحدهم في أوائل الليل وأواسطه أحياناً في الظلام الدامس وإذا ما طوردوا انزووا أقرب المقابر وراحوا يعزفون فيكون ذلك منهم بمثابة الندب والنواح !

وكيفما كان الحال فإن جل الآلات المذكورة كانت لا تقع الا في أيدي الهواة فهم الذين يحسنون استعمالها ويبرعون في تطريب الحضور بها وقد تصبح الهواية حرفة فيستدعون ضمن أجواق من افرادها من ينشد ومن افرادها من يعزف وفي المقابل يسلم لهم أجر غير أن الاجر يكون محدوداً وغير متنظم ويكاد ينحصر في ايام الدفء ومن اجل هذا لم يكن مستوى عيش الفنانين مرضياً ما عدا اذا اتخذوا شاغلاً آخر أو بحثوا عن مورد للعيش كاف عن طريق والد أو زوجة غنية ، وقلما يحصل هذا فالوالد لا يريد أن يكون ولده عالة ، والزوجة ـ ولو كانت من ذوات الذوق والتذوق ـ لا تريد استنزافاً لرزقها

وبغض الطرف عن الاستثناءات فإن بعض فنانينا كانوا مـن هواة الكيوف وغيرها من المغيبات أو المنشطات أو المخدرات لا يهم الاسم بقدر ما يهم المفعول والتاثير وهـم في بعض الاحيان لا يتحملون نفقات ذلك فهناك من ينفق بسخاء يكفي أن يدندنوا هم ويخلقوا جو الانس في المجلس الذي يحضرونـه ومن كثرة المخالطات والتسمعات يصيرون ومعهم كثير من الحذاقة واللطف واللباقة فهم يحسنون الاستماع ويحسنون الاجابة ويحسنون أيضاً التعليق وهم أميل ما يكونون الى المسالمة والحديث الهامس ، والابتعاد عن المشاحنات والمجادلات تنطبع على شفاههم دائماً ضحكة خافتة ، وابتسامة حلوة ، ولهم اشارات لطيفة بأكفهم وحواجبهم

والفنانون ـ أهل العزف والانشاد ـ يشتركون مع اهل الادب في الهيام بالطبيعة والتردد على مجاليها ، والهيام بمظاهرها والتعبير عندها بالاحاسيس عن طريق العزف والترنم وقد تجتمع

الطائفتان في مكان من الامكنة الطبيعيـة الجميلـة فيتبادلون المشاعر والعواطف والطرائف والمتع

ان الرقص لا يوجد في الاوساط الحضرية بين الرجال عـلى الخصوص اذ هز أجزاء من الجسم أمام الناس يعتبر عملاً مشيناً ودالاً على انحراف وعلى مس خطير برجولة الرجل ومعلوم انه لستر أجزاء من الجسم تلبس الملابس الفضفاضة عند الرجال والنساء على السواء حتى لا يثير الانتباه أي شكل من الاشكال وأي جزء من أجزاء الجسم

أما التمثيل فلم يكن له رجال متخصصون ومتفرغون له ، ولا أمكنة معلومة يقصدها الناس في بدء الامر وقبل قدوم الاجانب وانما كان ينبري في أحوال تجمع الافراد شخص من الاشخاص يمتاز بخفة الظل وجمال الحركة وحلاوة النطق يكاد يكون ممتازاً بسلوكه أو أقواله أو حركاته لا يهم المهنة أية مهنة يمتهنها عالية كانت أم وضيعة وياخذ في "تعويج" أحد المعارف أي تمثيل تصرفاته

مع شيء من المبالغة وبذلك يثير الضحـك الصاخب والتصفيق باليدين ، ويزيد كل ذلك في إشاعة المرح والسرور ويكفي "الممثل" أن يحظى بالاعجاب والتقدير

تبقى مسألة الرسوم ـ ولا تدخل فيها التزويقات والتخريمات فلهذه حديث مقبل ـ وهي هواية كانت بلا رجال ولا لوحات ولا معارض اذ كانت هناك إشاعة تقول ان "التصوير حرام" والمحرم حقيقة هو التجسيم اذ ابداع تمثال لانسان أو حيوان قد يؤدي بمبدعه الى تعشقه والتفاني فيه ، وهذا نوع من الوثنية التي حاربها الاسلام اما نقل صورة أو رسم لانسان أو حيوان فلا أظنه يدخل في هذا الحكم وكيفما كان الحال فإن اتصال المجتمع بالوافدين الاجانب ومن بينهم هواة الرسم أو محترفوه قد جعلهم يعجبون بمقدرتهم في نقل مشاهد من الامكنة أو المجالات الطبيعـية أو مـن الافراد العاديين وغير العاديين وكان التقليد

كان التقليد بطبيعة الحال بسيطاً لانه لا يقوم على أساس من دراسات أكاديمية لفن تعاطي الرسم تلك الدراسات التي تسمو بالموهبة وتصقلها وتفتح لها الآفاق للابداع والتعبقر والاتيان بالمبدعات المدهشات اذن كل ما كان هناك هو مداعبات لوحات أو جدران بريشات وألوان لتخرج منها ورود أو أزهار أو وجوه جميلة أو شيء من المحاسن غير أن ذلك كله لم يرسم ليبقى ، ولهذا لم تبق الا آثار فنية قليلة نراها في بعض المتاحف والمنازل وأكشاك باعة الاشياء القديمة

30 ـ اهل العلم والادب

سمعت منذ شهور عن أناس سموا أنفسهم "العلميين" ، وهم من ذوي التخصص في العلوم الحديثة الفيزيقية والكيماوية وغيرها ولعلهم فعلوا هذا لئلا يضايقوا العلماء علماء الشؤون الدينية

والعلماء الدينيون كانوا اما من المتخرجين من الجامعات الدينية بفاس أو مراكش او تطوان أو مكناس أو تارودانت واما من الذين صاحبوا أحد العلماء مصاحبة طويلة فتشبعوا بآرائه واقتنعوا بها ثم قاموا بحضوره ببعض الدروس فتيقن الاستاذ العالم أو كاد أن يتيقن ان التلميذ استوى أستاذاً عالماً وذا خبرة فيجيزه والاجازة تكتب بيد العالم الشيخ نفسه ويوقعها ومن ذلك الحين يصير للعالم الجديد مكانة ومنبراً وتلاميذ وتبقى فرص النجاح متوقفة بعد ذلك على المهارة في التدريس واللباقة في المعاملة وإفادة الناس بصدر متسع وحذق وحسن فهم وتفاهم

وبما أن العلم الديني مرتبط بالدين فان رجاله ينالون من تقديسه ومسؤوليتهم أولا تتجلى في ضرورة المحافظة على المستوى الشخصي والاجتماعي اللائق بالعلم فالعالم ـ مثلاً ـ لا يليق به أن يلبس لباساً تافهاً أو قذراً ولا باذخاً ولا شبيهاً بألبسة السفلة وله أن يتطيب بالطيب المقبول كمقطرات الزهر والورد وغيرهما كما انه لا يجالس الناس في المقاهي اللهم الا اذا دعت الضرورة وكان في سفر مثلاً كما انه يترفع عن مخالطة العامة فـي بعض المنتزهات العمومية غير الموقرة كالشواطئ والتجمهرات الغنائية ومجالس اللهو المتهتكة أو القريبة من أن تكون متهتكـة فحتى الاعراس والعقائق التي فيها صخب يتجنبها وكل هذا محافظة على المروءة وكرامة العلم

هناك قلة تتحرر في معاملاتها واتصالاتها وحضوراتها ولا ترى

مبررا" للتزمت ولكن العموم لا يقبل من المتحررين تحررهم فالوقار موقف إلزامي ومستمر ولا ترخيص فيه

تاتي بعد هذا مواقف العلماء من قضايا المجتمع وهي مواقف ايجابية وفاعلية ومؤثرة في غالب الاحيان خصوصاً من هذه القضايا قضايا الدين فحرص علماء الدين شديد على أن تكون حرمة الدين تامة والا يمس علانية أي مساس وان تتجلى الاخلاق الاسلامية في السلوك العام ولا أقول السلوك الفردي لان علماءنا يصونون مقاماتهم عن التدخل المباشر الذي قد ياتي برد طائش معاند متحد ويتمسكون بقول الله " ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن وإذا تصاممت الآذان وسلك بعضهم سلوك العناد والتحدي فإنهم لا يترددون في المجاهرة وحتى المهاجمة

ثم ان علماء الدين البارزين في الميدان يتخذون المواقف الطيبة التي تتوافق واحساسات المواطنين فهم يؤيدون الافكار الوطنية والخطط التحريرية ويتحملون الاذى من أجل ذلك ويعطون المثال من أنفسهم وأبنائهم وعلماء بارزون آخرون تصرفوا بعكس هذا فكان جزاؤهم النبذ والمقاطعة ، ولم يشفع لهم لا علمهم الواسع ولا خزائنهم العامرة ولا نسبهم الشريف إذا كانوا شرفاء

وفي كل الاحوال يبقى علماء الدين في مرتبة الاحترام والتبجيل تصدوا للتدريس أو الافتاء أو للخطابة أو تفرغوا للاطلاع والتعمق ومقياس العامة في هذا المجال هو السلوك الطيب والسمت الحسن والوقار الكامل وعلماؤنا كانوا دائماً فضلاء وملتزمين وعند حسن الظـن

أما الادباء فهم عند العامة يعرفون بـ "الطلبة" فهم لا يرونهم ملزمين بشيء ، ولا ينتظرون منهم شيئاً ، اذ هم في الاصل غير ملتزمين بشيء ولذلك فهم منصرفون بهدوء وخلو بال الى مطالعاتهـم

وخلواتهم ومؤانساتهم ولا عليهم ان يذهبوا حيثما شاءوا وقتما شاءوا وبالكيفية التي شاءوا في دائرة التعقل والرزانة

لا يعرف العامة شيئاً عن اهتمامات هذه الطائفة من الامة ، ولا عن هواياتها ولا عن مذاهبها الادبية وشواغلها الفكرية انما هم يوقرون الفرد منهم وهم يرونه سائراً وهو يقرأ ويعجبون له وهو ينفق من ماله القليل أو الكثير أو من مال الوالدين لشراء الجرائد والمجلات والكتب ، خصوصاً وانهم لا يرون أحداً غيره له مثل هذه الاهتمامات والانكبابات الشاغلة وسخاء الانفاق

يكاد الادباء يعتبرون طبقة برجوازية مترفعة ، بعكس طبقة العلماء المتواضعة المتقاربة من الناس وما ذلك الا لانهم منعزلون ، يقرأون ويكتبون أو متفردون في الخلوات والغابات وشواطئ البحار يقرأون مقالاتهم أو قصائدهم ويعيدون قراءتها ثم يعودون في شعور سام من الارتياح الى مقرات سكناهم

المزية هنا انهم قد يزاحمون بعلماء أدباء أبطال القول والتحرير في الميادين ، وهذا ما لا يستطيعه الادباء ، إنهم يستصعبون أبواب العلوم الدينية ، ويخشون أن يتيهوا في التفريعات والتخريجات ومع ذلك ، فإن من العلماء من يفضل أن يبقى تعشقه للادب سرا مكتوماً بل لقد سمعنا عن الذي يتبرأ منه جهاراً !

بالجملة ، ان مكانة العلماء الدينيين رفيعة ، ومقامهم مصون في نظر الشعب المسلم ، لانه يرى فيهم مثالاً للفضائل الاسلامية البعيدة عن التظاهر والفضول والتسلط والبعيدة عن الشكليات والطقوس والتقديس ، كما يسمع عن رجال دين آخرين ، انهم من الشعب واليه ، الشعب يجلهم ويحبهم وهم لا يبخلون عليه بالنصيحة والارشاد وخير نصيحة وخير إرشاد يكون من سلوكهم الشخصي وتعاملهم اليومي وما يطابق اقوالهم ـ على الدوام ـ من الافعال

31 ـ المسلمون الصادقون

بقلب مطمئن وضمير فياض واعجاب صادق أقول انني كلما ازددت معرفة بحقائق الاسلام ، وازددت اطلاعاً على توجيهاته السامية واتضحت لي خطط السلوك التي وضعها لمعتنقيه الا وتمثل لي وأمامي كل ذلك بصدق واخلاص فى رجال ونساء كنت أعرفهم في مجتمعنا وما زلت انهم مثال للفضل والسمو والجلال بشكل يحسب الناظر اليهم ومعاشرهم انهم فوق مستوى بشريتهم

حرص منهم شديد على أن يمارسوا بحماس وصدق تامين أركان الاسلام الخمسة فالشهادة لا تفارق شفاههم والعقيدة متغلغلة فى أعماق أفئدتهم وليس هناك أي خبر أو قول أو دعوة أو (ايدلوجية) تغير هذا المعتقد الثابت والصلاة تؤدى في وقتها بشوق وانجذاب واستبشار فلقد تجد الرجل والمرأة ليس لهما حرص شديد على مواعد أكلهما ونومهما مثلا ولكن موعد الصلاة لا يفلت ولا يهمل أبداً وكم هو رهيب ومؤثر منظر الاستغراق فيها ثم منظر مغادرة المصلى والنورانية تسطع على الوجوه ، والطمانينة تشيع في الملامح والرصانة والرزانة تنطبع على الحركات ، ويعجب ، ان رب الاسرة أحياناً يكون هو الامام والماموون هو الزوجة والبنات والابناء

أقول احياناً لأن هذا السيد يفضل الاستجابة لنداء الفلاح الآتي من مؤذن الحي أو الدرب فمعلوم ان الدروب القديمة كانت تشتمل على مسجد واحد على الاقل والا فاثنان أو أكثر بحيث ان الخارج من داره لا يخطو الا خطوات معدودة ثم يجد نفسه في المسجد

مؤذن الحى أو الدرب كان يختار من ذوي القناعة والفضل ويفضل فيه أن يكون من ذوي الاصوات الحسنة ان لم يكن من أصحاب الاصوات الرخيمة المؤثرة وبذلك كان يهيب بالناس أن يغادروا

فرشهم الدافئة لصلاة الصبح وينتزعهم من وسط مجالس أنسهم وحديثهم ليقبلوا على صلاة الظهر أو العصر ، كما انه يحدد لهم موعد ايوائهم الى بيوتهم وأسرهم بعد صلاتي المغرب والعشاء ان المتعبدين كانوا يقومون بهذا ويستجيبون للنداء السامي مهما كانت الاحوال ، اشتد البرد أو عصف الريح كانت اللحظات لحظات سرور أو لحظات اكتئاب ثم ان تأخر واحد من سكان الدرب عن الحضور أو تكرر غيابه فانه يلفت الانظار فيبادر من يبادر الى الاستفسار عن السبب فإذا كان هناك عائق صحي بادر الاخوان في الغد الى العيادة والمؤانسة أو إسماع ما تيسر من القرآن الكريم الذي فيه شفاء للمومنين مع ختم الجلسة الخاطفة بالدعاء الحار الى الله ان يعجل بالشفاء

ومعروف أن المسجد لم يكن مكاناً للعبادة فقط وانما ملتقى لتبادل الحديث الطيب أو لمناقشة في قضايا دينية أو للاستماع الى الواعظ اذا أنعم الله على الحي بسكنى محدث واعظ من المحدثين الواعظين وقد يعقد في المسجد جمع للاحتفال بمناسبة دينية كبيرة وقد يجتمع الناس فيه احتفالاً بعقد قران أو مباركة اتفاق على شأن من الشؤون الطيبة المحمودة

وبنفس المشاعر الطيبة والقلوب السعيدة يستقبل شهر رمضان ، مهما كانت ظروف الصيام في جو شديد البرودة يلسع الجوع فيه الاحشاء لسعاً أو في جو شديد الحرارة يهد الحر فيه الاجسام هدا في كل الاحوال هم مستبشرون متهللون وجوهاً منشرحون صدوراً لاستقبال هذا الضيف السنوي الكريم والعجيب ان المومنين الصادقين يكونون أصفى نفوساً واطيب خواطر اكثر مما يكونون في أي شهر آخر وتتقارب ايام رمضان من الانتهاء فيعتري اناسنا شعور من الاسف المرير والتفجع الصادق يقيناً منهم ان اياماً من الخير والعبادة والابتعاد عن شواغل الاجساد موشكة على الانتهاء وبذهابها تذهب أيام الاستغفار والتبتل والتقوى التي لا تسنح

في الشهور الاخرى نفس الشعور الذي يخامر زائر البقاع المقدسة وهو على وشك مغادرتها الى حين او الى الابد فيما اذا كتب الله ولم يتسع العمر لزيارة اخرى أن هؤلاء الناس لم يكونوا متمسكين بالحياة الدنيا كل التمسك انهم فقط يعطونها ما يكفي لضمان العيش الكريم المطمئن ، المطبوع بالقناعة

والمستطيعون يلزمون انفسهم باداء الركنين الآخرين الزكاة والحج حرصهم على أن يكون اسلامهم تام الاركان متينه قويها والاسلام لا يطلب شيئا اكثر من هذا ولا اكثر من أن ينطبع الايمان على السلوك عملاً بقول الرسول عليه السلام قلت امنت بالله ، ثم استقم "

لقد كنت معجباً بمثل هؤلاء الناس وأكن لهم الاحترام وأتمنى من صميم قلبي أن تكون حالي مثل حالهم ، لأنهم كانوا في قمة السلامة النفسية والجسدية والروحية ومن أجل ذلك كنا نرى الكثيرين منهم يعمرون طويلاً ويتمتعون بنورانيـة في وجوههم وبشراتهم وعيونهم ، انهم قانعون راضون ، ميسر عليهم في كل ما يفعلون وحتى فيما يتجنبون يتمتعون بالثقة والمحبة والتقدير الى أن يلقوا ربهم

ويصل بنا الحديث الى رجال استغرق التدين كل أوقاتهم وأفكارهم ، الا وهم رجال التصوف ونماذج من هؤلاء الرجال كانت تعيش بيننا فنرى تغلغل الدين الاسلامي ومحبة الرسول الكريم عليه السلام في أعماق أعماقهم يسيرون في الطرقات وألسنتهم لا تكف عن الذكر وأصابع أيديهم اليمنى لا تفارق السبحة وأوقات تفرغهم في زاويتهم المخصوصة اذ هم في الحقيقة منتسبون الى عدة " شيوخ " في مستوى العلم والولاية

وما كنا نشاهد بالعين هو أن اتباع هؤلاء الشيوخ أو مريديهم كانوا مثالاً في حسن النية ، والانقياد والزهد في المظاهر وتربطهم مع بعضهم روابط متينة صادقة سامية فهم مع " أخيهم في الله "

في السراء والضراء ، خصوصاً المنتسب الى طريقتهم الخاصة ؛ وان كان هناك تحفظ من اتباع " الزوايا الاخرى وتحفظ أشد من الشبان الوطنيين

وأكيد ان الاجتماع في الزاوية أو في غيرها من أجل الذكر ذكر الله والصلاة على النبي هو خير اجتماع ، ثم تلك المودة الصادقة ، والتعاطف الكريم والمبادرة الى فعل الخير تلقائياً كل ذلك يعتبر من الفضائل وهذه الفضائل وغيرها هي التي جعلت هذه الطائفة من المجتمع تمتاز بمزايا الطهارة في الاطراف والاجساد وحسن السمت والوقار ثم تلك النورانية التي تترقرق في الوجوه مع غض الطرف وكف اللسان، واحتضار أوامر الله ونواهيه في كل ما يؤخذ وما يترك وما يحب وما يكره هكذا كنا نرى الحالة بصفة عامة

مع هذا تقال أشياء ويلاحظ الملاحظون بعض الملاحظات وينتقد المنتقدون بعض الانتقادات تقتضي الامانة التاريخية ان نشير اليها

فالبعض يتساءل ما دام الدين الاسلامي ديناً متكاملاً ، يصلح للفرد أمور دنياه ودينه وما دام القرآن الكريم هو الدستور الديني والدنيوي ، وما دامت السنة النبوية جامعة لكل التفاصيل والتوجيهات فلماذا الطرق الدينية المختلفة ، المتفاوتة في غلوها ، والتي قد ينافر بعضها البعض ؟ ولماذا الاماكن المخصوصة الخاصة وبيوت الله في كل مكان وتسع الجميع ؟ ولماذا الاوراد الخاصة المحددة التي لا تخلط بغيرها التي يحمل المريد على حفظها وترديدها صباح مساء بدلاً من تحفيظه آيات كتاب الله والزامه بها وحدها ؟ ولماذا تبقى السبحات تعطى هكذا في جو خاص وهالة خاصة بدلاً من أن تترك له يتناولها بكيفية عفوية لا تكلف فيها ولا إلزام ؟
تساؤلات تحتاج الى أجوبة وردود مقنعة

على كل ، فإن نية المريدين صالحة ، وان قصدهم طيب وكذلك رغبتهم في سلوك الطريق المستقيمة وفي تجنب مزالق الحياة وعثراتها ، بالاتجاه الى الله كلية ، والزهد في متاع الدنيا وشواغلها والفرار من كل فتنة وإغراء وإلهاء وتلك هي أيضاً نوايا ومقاصد ورغبات بعض الاشياخ لا كل الاشياخ ! ذلك لأن بعض الاشياخ – ويدلي المنتقدون ببعض الاسماء ويذكرون المواقف والاحداث التي لا جدال فيها – كانوا متعطلين عن كل عمل ومع ذلك يلاحظ ان مستوى عيشهم كان طيباً ، بل على مستوى رفيع ، ان لم يكن باذخاً فعلى حساب من ؟ لقد كان على حساب المريدين الفلاحين أغنياء وفقراء وعلى حساب التجار – كباراً وصغاراً – وعلى حساب الصناع مشرفين وكادحين مع ان القدوة الصالحة من الرسول عليه السلام ومن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم كانوا يدبرون أمور معاشهم بعرق جبينهم وليسألوا التاريخ !

ان ظروف التزور سارت بخبرها الركبان من حيث كان يتحين (الشيخ) أوائل الصيف فيخرج الى القرى والمداشر ويبقى هناك مدة ثم يرجع الى المدينة محملاً بأنواع الحبوب والقطاني والزيوت والزبد يحفظ منها ما يكفي لقوته وقوت عياله ثم يبيع الباقي وقد يباع هذا الباقي لبعض المريدين الذين يتسابقون الى شراء " بركة " الشيخ بالثمن الذي يحدده هو وهذا ما يضمن له ولعائلته لباساً جيداً ، ويضمن له ولعائلته مسكناً فخماً مؤثثاً وغير ذلك

ويقولون

كيف تستقيم هذه الامور مع الدعوة الى الزهد والتعفف عما في أيدي الناس والكف عن أخذه بدون حق ؟ كيف تستقيم سماحة الاسلام وبساطته مع مظاهر الاحتفاء الكبير التي يحرص (الشيخ) على ألا يستقبل الا بها وإلا ثار وسخط وصب اللعنات لماذا نصب الخيام ؟ وذبح الذبائح ؟ وتكليف الناس فوق ما يطيقون ؟

ويتسامح بعض المنتقدين في مثل هذه الامور ولكن لا يتسامحون ولا يريدون أن يسكتوا عن تصرفات صدرت من بعض (الاشيـاخ) ذلك ان بعضهم سهل الامور على العدو الصليبي المحتل وعمل على احباط همم المجاهدين وانصارهم ، بل سعى في تفتيت الصفوف بإقناع ذوي الغيرة والفداء بأن البلاء النـازل هـو عقاب من الله للمسلمين على يد أعداء الاسلام ولا مفر من الانصياع لارادة الله وأشاعوا بين البسطاء أن المقاومين الغيورين يلقون بأيديهم الى التهلكة، فعلى العقلاء ألا يتبعوهم وتمادى بعض هؤلاء الاشياخ فاستقبلوا أقطاب الاستعمار وأمدوهم بالمعلومات ووعدوهم الوعود الاجرامية وتسلموا منهم ما تسلموا من نياشين وهدايا ورشاوي ولما انهزم المناضلون الاشداء ووضع المحتل الغاشم اقدامـه النجسة على الارض الطاهرة تجرأ البعض فكان في استقباله والترحيب به وفتح الابواب للتكريم والضيافة !

وتطور الامر الى ما هو أخطر من المسالمة والدعوة اليها بـل تعداه الى تحريض الاستعمار على البقاء والتمكن في الارض الاسلامية، والى تأييد كل التصرفات الفظيعة في حق الوطن والوطنيين وهكذا أيد البعض حركة الاذاية في حق الملك الشهم محمد الخامس كما أيد المظالم والمذابح التي أنزلت بـالوطنيين وبالنقابيين

ويبقى آخرون يدعون أنهم أيضًا ينتسبون للطـرق الصوفية لكن أفعالهم غريبة فهم بعد الذكر الجميل العميق وبعد (الحضرة) يقومون الى (افتراس) اللحم النيء أو الى شق الرؤوس بآلات حادة أو الى شرب المياه الغليانة أو الى وضع السفافيد الحامية على أطراف الجسد كل هذا أمام النـاس حتى الاجانب الحاقدين منهم وكل هذا بدعوى الصوفية ...! وقد تصدى المصلحون لهذا الضلال فقاوموه حتى صدر المنع رسميًا

32 ـ حماة الوطن ومفدوه

الحديث عن حماة الوطن وعن الذين فدوه بأرواحهم ودمائهم وسلامتهم وأموالهم ومواقفهم حديث عظيم القيمة ذلك لأن أدوارهم كانت جليلة ومجيدة ومدهشة وخالدة ووصف المجتمع ـ الذي عشنا فيه ـ لا يكتمل اكتمالاً الا بإثبات انطباعات نابعة من الضمير عن رجال الحركة الوطنية الاماجد وعن القيادة السامية التي تولاها العرش العلوي الخالد

اني لواثق أن نجاح الوطنيين وشيوع ذكرهم وفوزهم بما فازوا به ، انما كان بسبب انهم كانوا مومنين وواثقين بربهم ، ومحبين لنبيهم يغشون المساجد ويقرأون القرآن ويحافظون على وقارهم كمسلمين الشيء الذي فل كل سلاح كان يشهره الاستعمار وأنصاره ضدهم من حيث لم يجد العدو وأذنابه ما يقولون في مروءتهم وفضلهم وحميد سلوكهم

لقد كانوا يبدأون تجمعاتهم بتلاوة القرآن الكريم فيشيعون الخشوع أولاً ويهيئون الافكار لتكون معهم ومتى صارت لهم منافذ الى القلوب استطاعوا ان يبثوا ما شاءوا من الافكار والدعوات والدعايات أيضاً ! ثم جاءوا بمبادرات لم تكن من قبل تلك هي إحياء الذكريات الدينية الخالدة ذكرى الهجرة المباركة والمولد النبوي الشريف ومن أجل ذلك كانوا يقيمون تجمعات أحرجت الاستعمار فهو يعرف خطورتها ولكنه يجد حرجاً في منعها أو المواخذة عليها لأنها ذات صبغة دينية ، وهو ملتزم باحترام الدين ! وكانوا يغتنمونها فرصة سانحة ومواتية فتلقى الخطب ، وترتل الاشعار وتنظم التمثيليات وتنشد الاناشيد الحلوة وضمن ذلك ـ والمناسبة مواتية دائماً ـ فتثار الهمم ويذكر بالامجاد وتعطى الوعود بمستقبل زاهر للاسلام في ارض الوطن المسلم

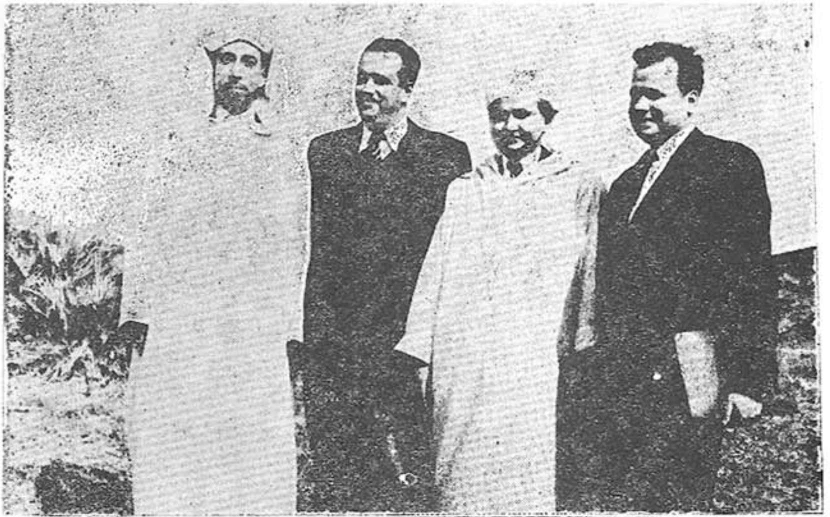

سنة 1951 عقد تحالف بين الاحزاب الوطنية المغربية
الاستاذ بنسودة عن حزب الشورى ، الاستاذ علال الفاسي عن حزب
الاستقلال الاستاذ الطريس عن حزب الاصلاح الاستاذ الناصري عن
حزب الوحدة وانتقل الزعيمان علال والوزاني للدفاع عن القضية
المغربية في المحافل الدولية بدءا بالجامعة العربية في اجتماع
ترأسه الاستاذ عزام

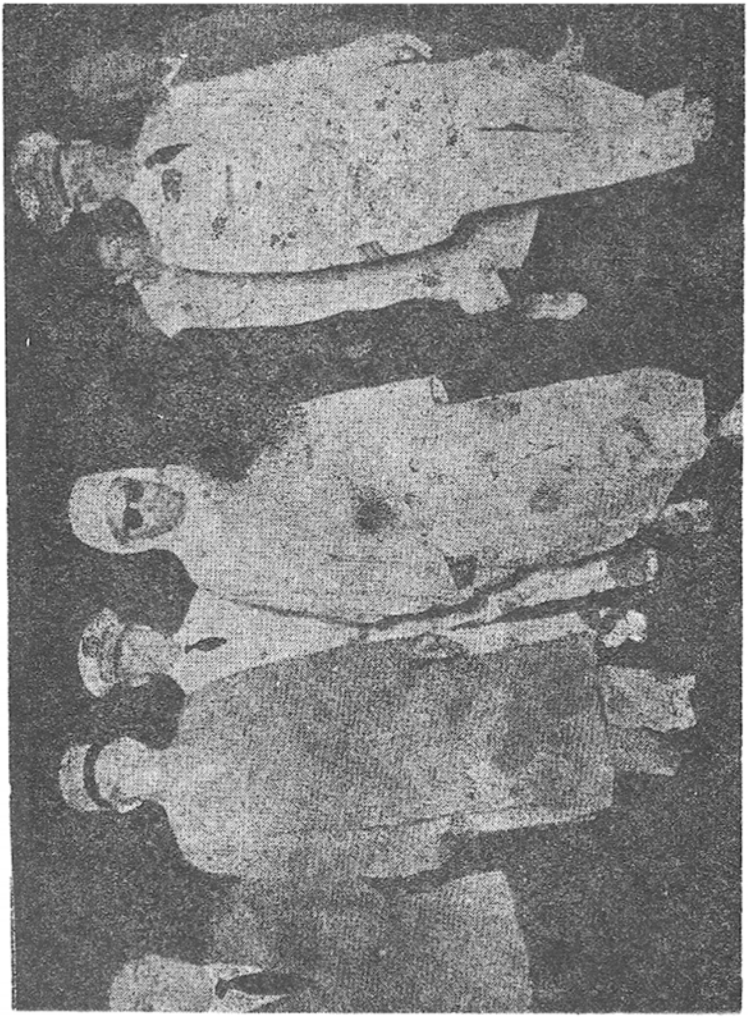

مأخوذ بين رجال السلطة الفرنسية الى المنفى   يسير بينهم في
بطل الاستقلال ومحرر الامة محمد الخامس
شجاعة وثبات ، ويسير معه ولداه مولاي الحسن ومولاي عبد الله
انها صورة خالدة

خلية من خلايا الفدائيين في المحاكمة ، وامامهم اسلحتهم التي كانت لها الكلمة الفاصلة أثناء المحنة المغربية كثير من هؤلاء الشبان نفذ فيهم حكم الاعدام ، رحمهم الله

في سنة 1970 عقد اجتماع للتحالف الوطني ترأسه الزعيم علال الفاسي وحضره الاساتذ
من اليمين بوعبيد ، الدويري ، عبد الله ابراهيم ابوبكر القادري ابن الصديق بوستة
غلاب ، القادري

جلالة الملك الحسن الثاني ، في ندوة من الندوات الشهيرة أمام الصحافة الوطنية والدولية
والتي طالما حلل فيها جلالته الاحداث العالمية وعلق عليها وأعطى تفسيرات للمخططات الوطنية
والمشاريع والمبادرات ، مثل المبادرة التاريخية الكبرى المسيرة الخضراء لتحرير الصحراء

وإذا ما قدر عليهم وأخذوا الى السجون والمعتقلات فإنهم يقلبونها الى مجامع لقراءة القران ، وترتيله وتجويده والى حلقات للدعاء والابتهال وترديد الامداح النبوية الشيء الذي مكنهم من كسب عطف الجميع حتى المجرمين غلاظ القلوب مع تأكيد احترامهم وتواصل تقديم الخدمات والتسهيلات والنيابة عنهم في الاعمال الشاقة ووصل الامر في بعض الاحيان انهم استطاعوا ان يؤثروا حتى على مديري السجون والحراس القساة وأن يدمعوا عيونهم بمواقف الابتهال والجلال

بدون شك ولا ريب ان التمسك بالدين الاسلامي السامي هو الذي مكن هؤلاء الرجال الخالدين من انقاذ وطنهم ودفع البلاء عنه ومكنهم كذلك من تكثيف الجهود وتصعيد أساليب العراك السياسي والفدائي الى الحد الاقصى وأكيد أنه لو كان الوطنيون مفرطين في دينهم لما حققوا شيئاً ، فهم أبناء الشعب ، ويعرفون ان عاطفة شعبهم مع الدين والاستحواذ عليها يكون عن طريق الدين وعن طريقه تكسب السواعد المتينة والقلوب الثابتة والعزائم الحديدية وذلك ما كان

والاحزاب الوطنية التي كانت في الميدان هي حزب الاستقلال وهو أوسعها نفوذاً في المغرب كله ، وهو منبثق من الحزب الوطني ، وبشمال المغرب كان حزب الاصلاح وفي جل المدن كان اتباع متحمسون لحزب الشورى والاستقلال ، وكان هناك حزب الوحدة المغربية بشمال المغرب ثم حزب الاحرار القليل الانصار وأخيراً الحزب الشيوعي

ليس في المستطاع حصر الاسماء الكبرى في هذه الاحزاب ، فكتب تاريخ الحركة الوطنية تغني عن ذلك

مجدداً يجدر بي أنا المواطن العادي حامل القلم الوفي لبناة المجد حماة الوطن أن أقول ان فضل رجال الحركة الوطنية

على المغرب عظيم سواء منهم من بقي على الخطة المستقيمة أو من انحرف قليلاً أو كثيرا

ولقد رفع من قيمة الحركة الوطنية وقوى صفوفها وأعطاها تدعيماً عظيم القيمة وقوف العرش العلوي المغربي الخالد بجانبها، موقف الشهامة والعزة والتأييد بلا تحفظ ولا تردد

انه خلال الخمسين سنة التي نتحدث عن أحداثها عرف مجتمعنا ملكين من مشاهير ملوك الدولة العلوية المجيدة العاهل المرحوم برحمة الله الواسعة وأول ملك للمغرب الحديث المستقل سيدي محمد الخامس والعاهل الحالي جلالة الحسن الثاني نصره الله

محمد بن يوسف أو محمد الخامس كما سمي بعد الحصول على الاستقلال كان قد ولي العرش وهو فتى صغير السن فكان تحت الوصاية وتوهم الاستعمار الفرنسي ان تنصيب سلطان شاب سيمكنه من تحقيق مآربه وتثبيت قدمه لكن السلطان الشاب وعى مسؤوليته جيداً بمجرد ما تولى زمام الامور بصفته سلطاناً شرعياً

انه لم يأخذ التوجيهات من الذين أحاطه الاستعمار بهم وانما أخذها من الوطنيين المحنكين الذين اتخذ منهم أصدقاء أوداء ومستشارين مخلصين ، ومساعدين متفانين كما اتخذ من بعضهم – على سبيل التقية – أساتذة لأبنائه وبناته الكرام ومربين متنورين

وبفضل الاتصالات تعرف السلطان المسؤول الاعظم على أحوال مملكته ، وعلى ما يبيت لها من خطط استعمارية ، وعلى ما يعزم عليه من سيطرة مطلقة دائمة على المغرب كما تعرف جلالته على مخططات الحركة الوطنية وعلى نواياها السامية في صالح الأمة وبذلك اختار جلالته السير في الخط الوطني بكل شجاعة وثبات وإصرار

ومنذ ذلك الحين أخذ يسعى بلباقة وحزم لحل مشكل الاستعمار متساندا مع الحركة الوطنية وكان ذلك إزعاجاً

للاستعمار ومضايقة له وحرمانا له من أن يذوق نعمة الراحة والاستقرار والتمكن لقد كان ذلك فتنة له مستمرة لم تهدأ في أي فترة من الفترات

وقامت مناجزات كثيرة ومتعددة ومتنوعة فصلتها كتب التاريخ للحركة الوطنية ووصلت الحالة الى حد التأزم والمواجهة بين الملك والوطنيين وبين الاستعمار الجاثم بقضه وقضيضه على صدر الامة ووصل العنف منتهاه فأبعد مستشارو الملك واعتقل الرواد الوطنيون والنقابيون وامتدت الايدي الاثيمة بوحي من العقول البليدة الى الملك نفسه والى أسرته فاخذوا الى المنفى

وكنت "نقمة في طياتها نعمة" اذ الشعب تحرك تحركا هائلا ، وفدى ملكه الوفي بالدماء والارواح والعذاب المهين ، وبالاموال والمتاع والدعاية والمقاطعات الصارمة الى أن رضخ الاستعمار بل انهزم ورجع الملك الجليل منصورا مظفرا وتحقق الاستقلال معجزة القرن !

وبوفاة الملك محمد الخامس والدوام لله ،صعد جلالة الحسن الثني العرش المغربي ، وهو من خيرة شباب المغرب ، وطنية ونضالا كما أنه ذو ثقافة قانونية وسياسية عالية وهو خطيب مفوه ومحاور ماهر للصحافة العالمية وله في السياسة نظريات دقيقة ومحددة ومتفتحة وهو كذلك ذو معرفة تامة بأوساط شعبه وبظروفه

لما توفي جلالة الملك والده وجد أمامه صعوبات سياسية واجتماعية واقتصادية وفلاحية كثيرة وواجه اضطرابات كثيرة وتعرض لاخطار محدقة نجاه الله منها ومع ذلك ثبت وحقق أهدافا ومشاريع في الميادين التي كنت تتخبط في أزمات وجعل البلاد تعيش الآن حالة تطور وازدهار وجنبها الصراعات والفتن الداخلية والاعتداءات التي نسمع عنها في جل أنحاء العالم

وقد فاجأ الجميع ــ بالداخل والخارج ــ بالمسيرة الخضراء نحو

موكب صلاة الجمعة أو صلاة العيد كان يجذب أفراد الشعب

ليحيوا ملكهم ويهتفوا له

الصحراء التي تحتلها اسبانيا ، فلم يسع اسبانيا الا أن نسلم المستعمرة لأصحابها الشرعيين أما الذين عارضوا رجوع الصحراء لأهلها عنفاً فلقد أمر جلالته ـ بصفته القائد الاعلى ـ أن يواجه العنف بالعنف ومضى جلالته في مواقفه الشجاعة فاعلن رسمياً أن سبتة ومليلية وما جاورها لابد وان ترجع الى الوطن المفدى وهذه الامنية ان تحققت ـ ولابد انها ستتحقق ـ فستكون انتصاراً عظيماً عجزت عن تحقيقه أجيال الخمسة قرون الماضية

ان العارفين بمصلحة وطنهم العليا يرون ضرورة الالتحام التام بين افراد الشعب المغربي تحت قيادة جلالة الملك خصوصاً وان وطننا يتوفر بفضل نظامنا الملكي الدستوري على حرية الرأي وحرية التكتل السياسي وحرية المعارضة وحرية الامساك عن الممارسة السياسية لمن لا يميل اليها وهذه مزايا أو بعض المزايا لا تتوفر عليها عدة أقطار وأمم

انني أكتب هذه السطور والتضامن الوطني في أوجه فمشكل الصحراء جعل المواطنين جميعاً على اتفاق تام لاتباع ما تراه الحكومة المغربية تحت اشراف جلالة الملك من خطط وبرامج ومبادرات في هذا الموضوع

قد يكون هناك من المواطنين من يرى خللاً هنا وهناك ويرى تقديم هذه المشاريع على الاخرى ويرى أخذ المتلاعبين بالشدة وهذا لا اختلاف عليه انما الاختلاف في طريقة الممارسة إن طريق الخير والداعين اليها بصدق واخلاص لابد وان يقنعوا الجميع بآرائهم في النهاية ان دعوا اليها بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال اللبق الذكي المقنع البعيد النظرة المراعي لمصالح الوطن العليا ، لا المصالح الزائلة

33 ـ المنازعات والاحتكام الى السلطة

نعود فنقول ان المعاشرات والاحتكاك اليومي بين الافراد قد يسير كل ذلك سيرا عاديا ، وقد يثير مشاكل الامر الذي يتطلب حلولاً لتلك المشاكل عن طريق التراضي والتدخلات أو عن طريق الاحتكام الى السلطات سواء في الشؤون المدنية والشرعية أو شؤون الحياة البسيطة قبل أن تتعقد

وفي كل الاحوال يتوقف ضبط الامور ـ مقدماً ـ على ابرامها إبراماً مرضياً ، لتتأكد ولتلزم ولتصح المؤاخذة عند الاخلال وليؤخذ الحق أخذا بيد من أسندت اليهم السلطة

ان من الناس من كانوا يتجنبون كل المنازعات لئلا يجدوا أنفسهم مضطرين الى الوقوف أمام السلطة أية سلطة كانت تجنباً لكل حرج وإحراج لكن أحداثاً تفرض نفسها بين الحين والحين ولا مفر عندئذ من مواجهة الحالة

ان أقرب مستويات رجال السلطة الى الشعب هو (المحتسب) والمحتسب حاكم بلا سلطة واسعة فهو توفيقي وزجري في شؤون المخالفات البسيطة والتجاوزات والغش اذ كان معهوداً أن تسمع رجلاً مورس عليه الغش في عمل أو صناعة أو بضاعة أن يقول (اتبعني لعند الفقي المحتسب) !

والمحتسب له أعوان قليلون ومكتبه بسيط ولا اجراءات ولا تعقيدات من أجل اللقاء به ، اذ هو أحياناً يكون خارج مكتبه وعند باب ادارته ، يرى المارة ويرونه ، ويتقبل بساطة تحياتهم ، وعند هذا الموقف قد ياتيه مشتك من المشتكين فيفصل في الامر حيناً ، وان وجد في المشكلة تعقيداً أمر بحمل القضية محكمة الباشا

وقد كان المحتسب يستعين بذوي الخبرة وهم أمناء الحرف

'ذ ذلك حرفة تختار اختيارا' رجلا" ذا معرفة وخبرة وذا فضل ومروءة يتمكن من الفصل في الشكاوي الاولية البسيطة أو ليدلي برأيه الصادق لدى المحتسب عندما يستدعي ليقول كلمته الحق

أما الباشا (اي حاكم المدينة) فله سلطة واسعة وقد كان يزاحم ـ قبل الاستقلال ـ بمراقب مدني فرنسي أو اسباني أو دولي ، بل ان هذا المراقب كان يتجاوز حدوده ، اذا وجد في شخصية الباشا ضعفاً أو ارتباكاً بسبب جهل أو تواطؤ هذا الباشا كان يفصل في الجنح والجنايات وينفذ مطالب المحتسب وينجز ما يحيله عليه القاضي الشرعي من أحكام لينفذها في الجنـاة

أما القاضي الشرعي فتمر أمامه قضايا الزواج من حيث هو الذي يوقع على عقد الزواج الذي كتبه العدلان بخطهما ، وهو الذي يثبت احكام الطلاق كما يؤكد اعمال البيوعات العقـارات وقضـايا الميراث وقد تمر أمامه قضايا يفض فيها عملية التوفيق والمصالحة ، محافظة على الروابط العائلية وصيانة للكرامات والاعراض ان قضاة فضلاء كانوا فعلا" توفيقيين أبويين قبل أن يكونوا سلطويين

وهناك رجال كانوا يمهدون لكل من القاضي والباشا ، ويجعلونهما على بينة من خطة العمل ، وهم السادة (العدول) بالنسبة للقاضي ، وهم من الفقهاء المحترمين الملتزمين بالاستقامة والنزاهة أما الباشا فهو يستعين بـ (المقدمين) وهم من الوسط الشعبي ، عارفون بسكان الاحياء عن قرب ، وعلى بينة من ماجريات الامور

والواقع انه بهذا التصاعد في الاتصال بالمسؤولين وسهولته كانت تتحقق الحقوق ، وتطمئن النفوس ويزجر المخالفون ، كما كانت تسود العدالة وتحترم السلطة

لقد كانت العدالة قريبة من الناس وغير معقدة وتقل فيهـا الحواجز وان كان ينقصها حيناً الضبط والانجاز السريع والنزاهة التامة

من هنا كانت المشكلة تقوم في وجه العدالة عندما تتوتـــر العلاقات بين المحكومين والحاكمين التسلط والتسخير والابتزاز من هؤلاء والخنوع والتحايل والتذرع بالرشوة من أولئك ومما يستدل به على هذا ، ان قلة من الباشوات والقضاة والمحتسبين تولوا مناصبهم يوم تولوها وهم في حالة بسيطة ، وما أن مرت مدد حتى انقلبت البساطة الى بذخ وترف في اللباس وأسلوب العيش

والمواطنون المتيقظون بطبعهم لم يكونوا ليغفلوا عن هــذا التطور السريع المثير للشبهات وهكذا تنطلــق الالسن وتـــروج الاشاعات ، ولا يجد معطو الرشوة حرجاً من أن يحكوا عما جرى ، ولقد يزيدون ويهولون "ويجعلون من الحبة قبة" وما أثلج صدورهم حين يسمعون بافتضاح امر المرتشين ، أو بحلول مصيبة من مصائب الدهر بهم.

النزهاء من الحكام كانوا في مرتبة التقديس ، يحتلون مكانة في القلوب طيلة حياتهم ويبقون على الالسنة يذكرون كمعطمة من معالم الفضل والنزاهة والتقوى ومخافة الله

لكم يكون التفجع كبيراً عليهم يوم يفارقون الحياة الدنيا ويبكي الناس عليهم بدموع حارة بل قد يصل الامر الى حد ربط ظاهرة طبيعية كعصف الريح واكفهرار الجو وبين موت الحاكم النزيه النزاهة في نظر شعبنا أعظم امتياز ، كذلك كانت ولا تزال

34 ـ العلاقات والشركات والتعاون

في غير نطاق القرابة والصداقة تكون هناك علاقة تفرضها الظروف بحكم ان الانسان اجتماعي وآخذ ومأخوذ منه

قد تفرض الحاجة أن تكون رغبة الناس شديدة في الاتصال بفرد من الافراد وقد تكون هناك رغبة لكنها ليست شديدة وقد يكون الفرد ـ بالعكس ـ هو المحتاج بشدة للناس وفي كل الاحوال يحرص العقلاء على ان تكون علاقاتهم مطبوعة بالمودة والمرونـــة والطيبوبة والخير شعارهم القولة ما بيننا غير الخير " يعدون أن الاخذ والعطاء يجب أن يكون على أساس الرغبة في الخير أولا

وفعلاً كان الرئيس الطيب ، والتاجر اللبق ، والصانع "المعقول" أي الجدي ، والخادم المخلص كلهم يجلبون لانفسهم الخير والسمعة الطيبة والتعلق وبذلك يعيشون راضين ويموتون مشمولين بالرضى والذكر الجميل ان الرئيس الطيب الخير محبوب ولو كان صارماً في اشرافه مدققاً في أداء واجبه وواجب مرءوسيه وهو مكروه مبغوض اذا كان خبيثاً دساساً ذا وجهين كما أن التاجر يكون الاقبال عليه شديدا اذا كان بشوشاً واسع الصدر حتى ولو زادت أثمنته قليلاً على سبيل المثال والصانع لا يجد فراغاً اذا كـــان صادقاً في المعاملة متقناً لعمله محافظاً على مواعده متقبل منه تصرفات أخرى خفيفة حتى الخادم يعتز ويتمسك به اذا كان طلق المحيا ، نقي الضمير عف اللسان ، ويصير بمثابة الابن اذا كان حدثاً وبمثابة الوالد اذا كان مسناً

والعلاقات يتدخل فيها عناصر كثيرة منها التقوى والايمان ويكاد الناس أن يتواصوا على التعامل مع المتقي الله على أساس أنه "موضي مصلى" ومن يتعامل مع الله باستمرار لا يتوقع منه الا يتعامل بإحسان كما ان ذا النسب الطيب تكون للناس رغبة في

التعامل معه على أساس المثل القائل "ايلا غاب عليك أصلو شوف فعلو" كما ان للنظافة والاناقة وحسن المظهر جاذبية قوية للتعامل ومن الناس من لا يود أن يتعامل مع اليد النقية والرجل النقية ؟ واقتداء بالقول الذي يقول " التمسوا حاجاتكم عند حسان الوجوه ترى الوجيه لا يجد مشقة في التعامل فالاقبال عليه شديد ولكم تكون الصدمة مريرة اذا خالف الواقع حسن الظن !

وكما تسري النار في الهشيم اليابس تروج الدعاية السيئة ضد متعامل من المتعاملين من حيث ينفض من حوله زبناؤه ويتركوه يحدق في الفراغ بحسرة وبعيد كل البعد وصعب كل الصعوبة الرجوع الى مكان سبق النفور منه كم رأينا من عدل من عدول الشرع ـ مثلا ـ يتهافت عليه ذوو الحاجات وآخر لا يجد من يصبح عليه وكم رأينا من تاجر يحسن العرض وينتقي البضاعة ومع ذلك يمر به الزبناء معرضين ، والآخر بجواره ، يطول الانتظار بأولئك الزبناء قبل أن يصلوا اليه

ولهذا كنت شخصياً اعتبر أن امهر الخبراء النفسيين هم هؤلاء الباعة فهم من مجرد سؤال وبمجرد نظرة ، يعرفون النية المطوية والقصد الخفي ويعرفون الكيفية التي يجب أن يعامل زبونهم أو زبونتهم الواقفة ، وهل هي قنيصة سهلة ، أم هو صيد عسير المنال ؟ هل تلازم معه الجدية التامة أو نصف الجدية أو يجب ان يحتال عليه ؟

وما قلناه عن الباعة نقوله عن غيرهم من المتعاملين ، عطاء وأخذاً فافراد المجتمع نبهاء ـ غالباً ـ ومتفطنون فمن الصعب خداعهم ، وهم ان خدعوا مرة فلن يخدعوا في كل مرة ما عدا وجود أناس يعدون "غشماء" ، ووجود الغشماء يفيد في تصريف بعض المواد غير الجيدة كل الجودة ويقول المثل " كل فولة مسوسة تجيبلها الله فروج اعور اللي ياكلها "

ويقتضي تشابك المصالح ببعض الناس ان يتبادلوا المنافع

فهذا صاحب مال وذاك صاحب خبرة فيبادر أحدهما الى بسط يده مستعيناً بالآخر وبذلك تولد شركة شركة فلاحية شركة تجارية شركة عقارية وغيرها من الشركات وتقوم الشركات على عدة أسس بادخال عنصر الشهامة واحترام الكلمة أو اشهاد الله على ما يتفق عليه ، أو بحضور شهود من الاصدقاء للجانبين عند ابرام ما يراد ابرامه ، ويبقى هؤلاء شهود الى النهاية ، أو تعقد الامور بصفة مضبوطة عدلياً أو على يد موثق

ويتطور الامر من التعاقد من أجل الشركة بين طرفين أو أطراف أجنبية الى التعاقد بين الاب وابنه أو الاخ وأخيه أعني أن العلاقة العائلية تجعل جانباً وتقوم علاقة منفعية وهذه عقلية متفتحة وعملية

نجحت عدة مشاريع بسبب التشارك المعزز بالتفاهم واستمرت مدداً طويلة الى أن انتهى أمرها بانتهاء آجال المتشاركين ومنها ما بقي امرها كما كان من حيث ورث الوارثون العمل الناجح ومضوا في استثماره

هذه ملاحظات أولى يمكن أن يشرحها ويوسعها بحثاً أهل التخصص فيها

أما التعاون فقد كان يتخذ طابعاً انسانياً وخالياً من المنفعة فالاب يجد ان ابنه متوقف على عمل لانسداد الابواب أمامه فما يكون منه الا أن يمده بما يحتاج اليه ويفسح له المجال لا بحكم البنوة ولكن بدافع انقاذ شاب من الضياع وكذلك بالنسبة لقريب آخر ولربما حتى لغير الاقرباء فكم من رجل نجا من الضياع ومن التشرد بفضل محسن خير بذل الاحسان وعمل الخير لوجه الله ولوجه الاحسان والخير !

وكان بعض الافاضل الميسوري الحال مستعدين دائماً وأبوابهم مفتوحة أمام المأزومين ثقة منهم في قول الرسول عليه

السلام   من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة " ياتي المحتاج أو تاتي المحتاجة فتقترض القدر الذي تحتاج اليه أو يحتاج   ويعطيان موعداً لرد القرض دفعة واحدة أو أقساطاً   طبعاً بلا فائدة ولا مقابل

وكان في هذا حفظ للكرامات من أن تهان   وللنفوس من أن تنحط الى درك الاستجداء والمذلة   ولا ضرورة أكيدة تدعو الى التحدث عن الصدقات وظروف اعطائها   فالخيرة من المتصدقين كانوا يبذلون من أموالهم وأرزاقهم ما وسعهم البذل   سرا أكثر مما كان في العلن   وباستمرار   ودون تقطع أو انقطاع   حتى ان من أهل الفقر والحاجة من كان يجهل كيف كانت طريقة تسديد حاجاته   وما ذلك إلا لان فاعلي الخير كانوا يعملون خيرهم بنية خالصة لوجه الله الكريم   وذلك بدافع من الايمان الصادق والاريحية المتأصلة

ان مجتمعنا وجدناه يستورد من الخارج كل الادوات وبعض الادوات التي يستعين بها في فلاحته وبستنته كما وجدناه يستورد الكثير من ملبوسات رجاله ونسائه لأنه يجد قلة جودة في المنسوجات المحلية وبعض الخشونة

أما ما يتعلق بالمساكن وما يتعلق بها فلا مفر من الصناعة الوطنية والصناع المواطنين ، منهم البناء والنجار والحداد والجيار كان الامر في الاول ينحصر عند التفكير في انشاء دار أو دويرة أو قصر أو دكاكين أو حمامات فيستدعى مقاول عريف ويتفق معه بنوع من انواع الاتفاق ويبدأ البناء ، ولكن دخول الاجانب ألغى هذا النوع من بدايات الانشاء والتعمير ، وصار من اللازم اعداد تصاميم على يد مهندس معماري وصار من اللازم الحصول على موافقة السلطة على ان يكون التشييد في دروب مخططة مجهزة بمجاري المياه المشروبة والقذرة ومجهزة بالكهرباء والمصابيح العمومية وبطبيعة الحال تغير قليلاً نموذج البنايات ، لكن دون تحوير جذري اذ بقي البيت منغلقاً من الخارج مفتحاً من الداخل وقد اخذ هذا البيت أوصافاً ذكرتها في الفصل الحادي عشر

النجارون بفضل الاحتكاك بالاجانب وبفضل الآلات الواردة اليدوي منها والميكانيكي ، تحسن مستوى الصناعة عندهم وصار ممتازا بمتانته وجماله ويذكر أن تأثير الصناع الاسبان والايطاليين والفرنسيين كان واضحاً حتى شاع بين العامة " خدمة رومية ماشي خدمة بلدية وهم بذلك يرمزون الى أن المصنوعات جيدة الصنع متينة ، والى ان الصانع ماهر متقن ومتفنن أهل للثقة فيه وما قيل عن أهل النجارة يقال عن أهل الحدادة خصوصاً وان بعض الاشياء استبدل فيها الخشب بالحديد كالدرابزين والشبابيك وحتى مصاريع الابواب أما الصباغون فقد كانوا مقلدين للصباغين

الاجانب ، ومقتدين بمهاراتهم ، اذ يظهر أن الطلاء اللامع هو من انتاج الكيماويين الاجانب من عهد قديم وبالجملة فإن الصناعات والصناع تمت لهم الاستفادة الكاملة من الاتصال بالاجانب قبل الاحتلال وتقوى ذلك بعد الاحتلال

أما حرفنا التقليدية الموروثة فقد بقيت مستمرة مغالبة الظروف السيئة والخصاص والاهمال كانت حرفة صناعة الحصر وصناعة الزرابي ، وصناعة الجلد ، وصناعة الدباغين ، وصناعة الخرازة ، وصناعة النسج وصناعة تجديل الحرير والخيوط الذهبية وصناعة النقش على الخشب ، وصناعة النقش على الحجر والجبص وصناعة الزليج وصناعة الخزف وصناعة التطريز على الجلد والثوب وصناعة تليين الحديد

والواقع ان رجال الصناعات الاروبية زاروا بلادنا وأعجبوا بصناعاتنا التقليدية وقدروا صبر وقناعة صانعنا المواطن وكان أن عادوا الى بلادهم وخرجوا علينا بما ينافس صناعتنا ، يخنقها أو يقضي عليها بالمرة الحصر والزرابي زوحمت بالمنسوجات الآلية الامتن والاجمل والدباغة والجلديات زوحمت بنفس الاشياء انما بكيفية أجود وربما أرخص واستغنى في بعض الاحيان عن النقش والزخرفة بتوخي البساطة التامة واضفاء جو من الجمال الهادئ البسيط عليهـــا

ومن شدة المضايقة ان وصل الصناع الحرفيــون الى مستوى من البؤس والانهيار فشاهدنا منهم من شاهدنا وهم يبدلون الحرفة الى حرفة شاقة أو ركنوا الى الاستعطاء في مناظر مؤلمة والسعيد من وجد ابنـًا يتعلق به ليطعمه ويسقيه ويكسوه وما عادت الحالة الى مستوى مقبول الا بعد الاستقلال

بعض الحرف لم يكن مرغوبـًا فيها ولم تكن مستهجنة في نفس الوقت مثل حرفة الحلاقة ولو أن الحلاقين طبقة من الناس يمتازون

بنظافتهم وأناقتهم وظرفهم فقلما تجد حلاقًا غير معتن بنظافته وترجيل شعره ، ان لم تره مبالغًا في ذلك ، ثم ان دكانه يكون مرتبًا عامرا بالرسوم الجميلة ، وبأقفاص الطيور المغردة الشيء الذي جعل بعض الحلاقين اختصاصيين في تربية الطيور ثم بيعها كما انهم يعتنون باستنبات النبات والزهور ليمتعوا أبصارهم وأبصار زبنائهم بالمنظر الجميل ولا ننسى أن بعض الحلاقين كانت مقصد المعارف والزبناء لتبادل الحديث والاخبار ولشيء من الغيبة والنميمة وقد يعلو المستوى فتصير بمثابة خلية وطنية تجاذب فيها اخبار الوطن وقضاياه وقضايا أهل الملة والدين

(قيم الحمام) هو أيضًا كانت حرفته مستقبحة لأنه ـ حسب قولهم ـ يصبح على غير الطاهرين ! ولكنه على كل حال رجل أمين ، ودود ، ومتودد ورطب اللسان وساهر على راحة الزبناء الذين يترددون عليه أسبوعيًا ـ مرة أو مرتين أو أكثر ـ فيكون لهم معه حديث وتسار وملاطفة

36 ـ الحرف الدقيقة الممتازة

ووجدنا من الحرف ـ وما زلنا نجد ـ ما ينجزه المحترفون بنوع الاستغراق والتفاني والصمت والخشوع والاعتكاف فكنا نرى من يبكر الى دكانه مع شروق الشمس ويحمل معه كأس شاي وسجائر أو أنبوبة (السبسي) ان كان من المدخنين ومنذ الشروق يعتكف على العمل وقد يمر به مار ويجالسه مجالس ويحدثه محدث فلا يعطيه من الاهتمام بل ان موعد غذائه أو عشائه يحين فلا ينقطع عن العمل بل يرفض اغلاق الدكان الى أن يكمل ما بين يديه

انما أقل ازعاج أو فضول أو أدنى اشارة تجعله ينفر ويفر وينقطع، وقد يصخب ويصير على درجة كبيرة من الاقلاق لراحات من يتعامل معه
أليس هذا طبع الفنانين الشغوفين الواهبين أوقاتهم وراحتهم لانجاز الاعمال الفنية إلتي يتعاطونها وللاسف يحترفونها بقصد التعيش وكيف هو هذا التعيش انه الاكتفاء بأصدق قول ولم نسمع قط عن محترف فنان ، انه يعيش في بحبوحة عيش اللهم الا اذا كانت الكفاية حصلت عن طريق الميراث أو البرور من والد أو أخ أو ولد

كثيرة هي الحرف الفنية الممتازة التي تتجلى فيها العبقرية كالنقش على الخشب وعلى الجبص خاصة كم للمحترفين من آيات رائعات في الابداع عند النقش على أخشاب السقوف ومصاريع الابواب أبواب الحجرات وأبواب الخزائن وجوانب وأغطية الصناديق وما يحيط بالفرش العالية التي كانت تسمى الناموسيات " و " المرافع " التي كانت تلصق بالجدران وتوضع عليها أشياء من تحف البيت

أما الجباصون فكانوا يلصقون الجبص على السقوف أو الجدران أو الاقواس ثم يضعون الورق المقوى المخرم ويرشون الفراغات

المعلم الخبير يخطط

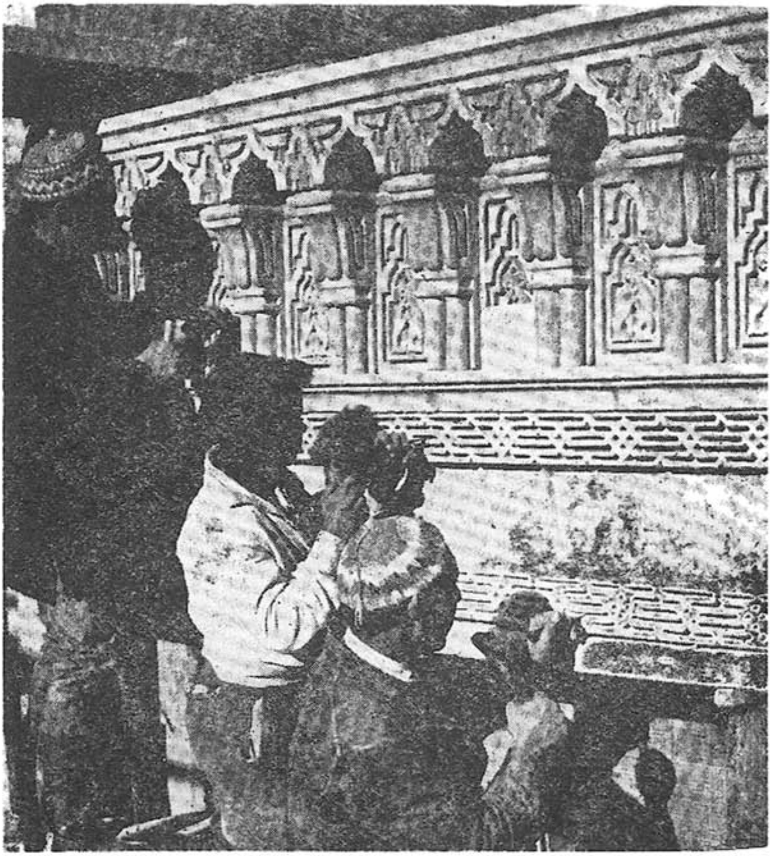

صناع فنانون ينجزون على اختلاف أعمررهم

والصانع الفنان ينفذ

الزخرفة على الجبص بالايدي الحاذقة

صينية من النحاس بين يدي مزخرفها الصانع الفنان

نسيج مغربي بديع ، لم تستعمل فيه الالات ، ورب المصنع
ينبه الصانــع

معلم نجار (رقايقي) ، مستغرق في الحفر على الخشب ،
ومن ورائه بعض الاعمال الفنية المنجزة

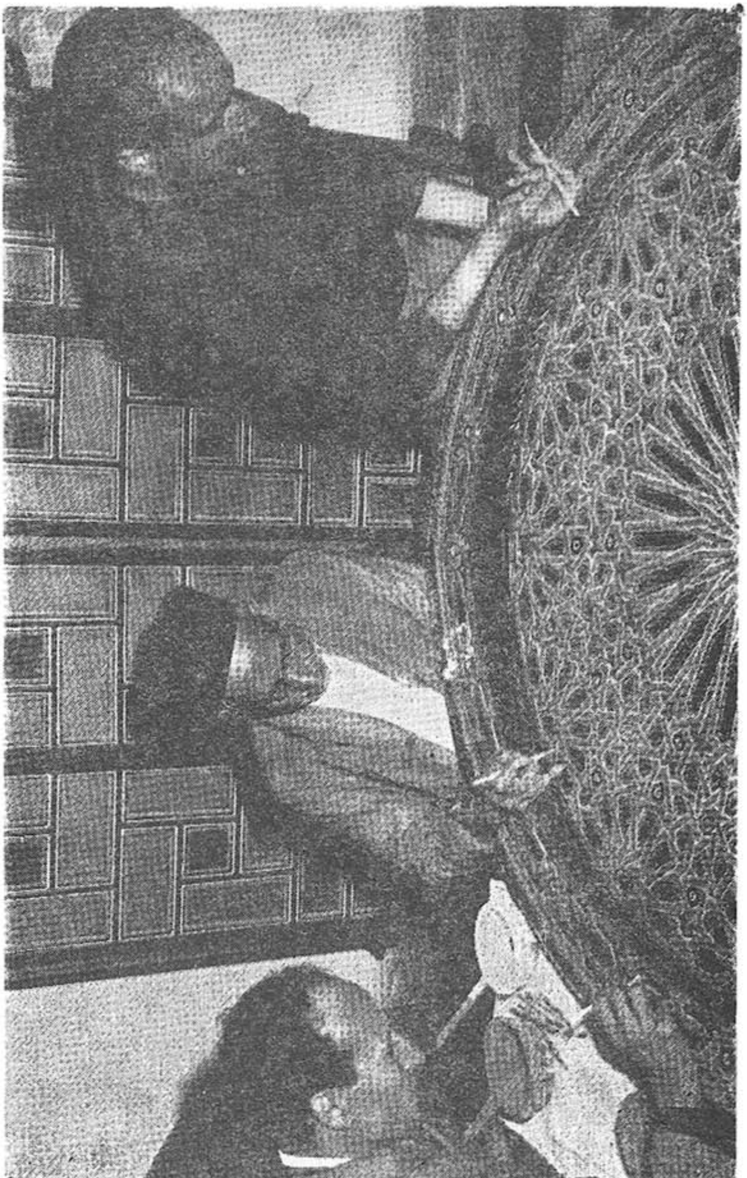

صناعة .... بل فن الزخرفة بتعشق واهتمام

صانع شيخ يتفنن في تجليد وزخرفة الكتب فالعناية بالكتب قمة الحضارة

بمسحوق أسود أو غير أسود وبعد هذا ياتي العمل بعد المعلم المختص ويأخذون الازاميل ويشرعون في حفر الاماكن الملونة لتتبقى حفر بأشكال مختلفة وهكذا يتجلى من الرؤية البعيدة ان هناك دوائر أو مربعات أو مستطيلات داخل بعضها في بعض أو محاطة بتزويقات رائعة وكما تقوم عملية الحفر تقوم عملية النحت وهكذا تنحت الاقواس نحتًا متفننًا فيه بشكل كبير

أما الزلايجي فيصاحب عمله عمل النقاش الذي يقسم الزليج قطعًا على شكل معين ويؤتى بتلك القطع لتلصق بالجدران لصقًا دقيقًا هندسيًا وبعد اتمام العمل ينجلى تناسق الالوان كما يتجلى ان الاشكال متلائمة مع بعضها كلما كانت القطع صغيرة كان ذلك دالا على مهارة ودقة الصنع

كم هو طريف جو العمل عند هؤلاء الناس فتراهم يتبادلون النكت حينًا والاقاصيص حينًا آخر ويكون لاحدهم صوت رخيم فيشبعهم غناء أو مدحًا أو مواويل وقد يكون أحدهم متشبعًا بالروح الدينية فيكثر من الحديث عن شؤون العقيدة والعبادات وتراهم في أوقات الصلاة يغادرون المرقت والسلاليم ويتوجهون الى الوضوء فالصلاة وأحسن الاويقات ، خصوصًا اذا ما تعبوا أن يجدوا من بينهم ساذجًا يمازحونه ويستنطقونه فيحكي لهم ما لا يجوز أن يحكى عن بيته وأهله ...! وبما أن هؤلاء الحرفيين لا يعملون في الغالب الا بمنازل الميسورين فإنهم يستبشرون عندما يعملون بمنزل مسكون اذ المعهود في هذه الحالة ان يضمن لهم غذاء طيب وشاي قبيل الزوال وعند العشي والا فالشاي دون الغذاء ولكم يكون الاسف قويًا عندما لا يكون هناك لا غذاء ولا شاي فهنا تسمع لهم سخرية وتعليقات لاذعة وقد يصل بهم الامر الى تعمد الغش من حيث يجد صاحب البيت ان الزليج بعد سنوات قليلة اخذ يتساقط أو أن الالوان أخذت تبهت وعندئذ يغضب ويندم على عدم التكرم على

العمال والصناع بكؤوس ساخنة من الشاي يبللون بها أفـــواه الجافة ، من طول السكوت أو من كثرة الكلام !

وباستثناء البنائين والنجارين والمزخرفين الذين يعملون داخل انبيوت فإن بقي الحرفيين الفنانين يعملون في دكاكينهم أو مصنعهم وهنا يختلف الامر بوجود " المعلم " أو عدم وجوده ، فإذا كان المعلم ملازماً وهذا ما يكون في الغالب فإن الجو يكون مثقلا بالسكوت الطويل والكبت المجهد انما المعلم يفهم " فينسحب بـين الحين والحين للصلاة ، أو لقضاء بعض الاغراض أو لاطلاق الرجلين " فقط ففهنا يثور الضحك والتنكيت والتعليق وبذلك يتجدد النشاط

اما اذا كان المعلم منعزلاً في مكان خاص به ، فإن الحيوية تكون أشيع بين الصناع والانتاج يكون في مستوى جيد حرصاً عـلى رضى المعلم وثقته ، وضماناً للاجرة الاسبوعية التي يمدهم بها ومعاونة العيد ومساعدة المناسبة التي تطرأ على الصناع عند الزواج أو العقيقة أو غيرهما

حرف النسوة الفنية كانت لطيفة وشاذئة تتناسب مع جنسهن اللطيف وهدوئهن الطبيعي فمن تطريز الاثواب وتخريمها وتقنيف الابرة كوضع الحواشي المعروفة بـ (الشبكة) الى الوصلات بين الاطراف. وما يزين به حوالي العنق وتطريزات أخرى ـ على سبيل الاحتراف أو على سبيل الهواية ـ كانت تنجزها بعض النساء والعذارى على الجلد والملف بالخيوط الحريرية أو الخيوط الذهبية أما الهواية فقد كانت تشغل النساء في أحوال تفرغهن

وبالاحتكاك مع الاجنبيات الفرنسيات والاسبانيات وحتى مع اليهوديات دخلت هوايات أخرى كنسج الابر وصناعة صدريات وجوارب للاطفال والازواج وغيرهم اتقاء للسعات البرد

تبقى حرفة شاقة بعض الشيء وهي الاشغال التي تتعلق بالصوف كغزله والغزل أنواع قد يصل الى حد بعيد من الرقة

والشفافية ثم حرفة النسج نسج الاغطية والحايكات والزرابـــي و " الحنابل وهذه كلها تكون على سبيل كسب العيش وغالباً ما تتعاطاها النسوة المنحدرات من البوادي من مدة قريبة أو النسوة الحضريات سبق لهن ان ورثن هذه الصناعة المربحة من أمهاتهن عن جداتهن والحق أن الحذق والتفنن لا تخطآن هذه الاعمال كلها

27 ـ حرفة البستنة

حرفة حضرية ـ بدوية !

القائمون عليها ولو انهم حضريون من أهل المدن الا أنهم عند أنفسهم وعند مواطنيهم من بدويي الحاضرة !

البستان عبارة عن قطعة أرض من نصف هكتار أو هكتار أو أكثر داخل المدينة أو على أطرافها والبقعة عادة محاطة بسياج شوكي دفعًا لتطفل اللصوص المولعين بسرقة الخضر والفواكه والبقعة عادة ذات تربة جيدة (حمري أو تيرس) ومسمدة بسماد عضوي هو عبارة عن أزبال المدينة أو روث دواب الحظائر والبستاني له خبرة دقيقة بمواعد زراعة الخضر أو غرسها بل ان ذكاءه وبعد نظره يتجلى في هذا التوقيت بالذات ، اذ لو جاء انتاجه مبكرا لباعه بالثمن الجيد (وغنم السوق) كما يقال والا فإن خضره أو فواكهه تاتي في دفعات مع الفواكه والخضر الاخرى فيكثر العرض ويقل الطلب وتنخفض الاثمان اى الحد التي لا تكفيه المداخيل حتى لسد المصاريف

ورقعة البستان مقسمة بشكل هندسي بديع مقسمة الى أحواض وبين كل حوض وحوض حاجز (حردوف) وبين كل صف من الاحواض تمر ساقية يجري فيها الماء من أولها الى آخرها ويبدأ العامل بادخال الماء من الساقية الى الحوض الاعلى ثم يسد الفتحة ويتسرب الماء الى الحوض الثاني فالثالث وهكذا ، ثم يحول الماء من الساقية التي سقيت أحواضها الى الساقية المجاورة الى ان يسقى الجزء من البستان المتوقف على السقي دون غيره من الاجزاء

وهذه المياه تتسرب الى السواقي من الصهريج والصهريج عبارة عن مستودع عار مربع الشكل تنصب فيه المياه الآتية من القواديس الصاعدة عامرة من البئر لتخرج من فتحة واسعة في

الاسفل عند الرغبة في السقي والمياه تصعد من البئر بكيفية مخصوصة من حيث تصعد من البئر في قواديس متتابعة ثم تنصب في جفن وهذا له فتحة منها يخرج الى ساقية توصله الى الصهريج

وحرص البستاني شديد خصوصاً في أوقات الحر أن يكون الصهريج عامراً ليتمكن العمال من سقي البستان كلـه ولذلك يظل أحد العمال الصغار ساهراً على أن تظل البهيمة دائرة حول الناعورة اما بالليل فيكلف عامل خاص يبيت ساهراً ليراقب البهيمة فتبقى مشتغلة طيلة الليل

ومنظر البستان وهو مزدهر نام معطاء يسعد النفس حقاً كما أن منظر الخضر بألوانها المتعددة ، وبنضارتها الفائقة يشرح الصدور أيضاً وبفضل الجهد والمثابرة واليقظة والحذق نجد جميع المدن متوفرة على الخضر النافعة وبثمن مناسب جدا ويكاد الفقراء من الناس يشبعون بطونهم من هذه " المفتنمات بدون ثمن مرهق

ويزيد في العطاء وسخائه وفرة الحرارة الآتية مـن الشمس المشرقة الشيء الذي يرهق العمال بطبيعة الحال ورب البستان نفسه ، ولكنه يوفر لهم جميعاً متانة في الابدان ، وملاحة في الصورة ، وحيوية دائمة

ان زوجات البستانيين لا يرتحن الى هذه الحيوية الزائدة فهن يعرفن ان المثل يقول مول الطاحونة والسانية والمرا الثانية حتى ليلة مايبات هانية " ! انه ملزم بتفقد البستان كل يوم ، كل يوم حتى ولو كان اليوم يوم عيد ولكن يغفرن هذه المزاحمة بسبب مزايا أخرى تتوفر في رجال البساتين ، ومن جملتها وفرة الدراهم ...!

أصحاب الجنينات ذوات الاشجار المثمرة أقل أعباء مـن البستانيين فهم يتركون الجنينات وقت همود الطبيعة ويتفقدون كل شجرة عند التشذيب ثم عند الازهار أما عند الاثمار واقتراب

النضج فيتخذ حارس للجنينة ليحرس الثمار ولا شك أنه يكــون على بال من أجود الثمار ليتحف بها نفسه !

ليس من المغالاة أن نقول ان المغرب بلاد الخضر والفواكه وهي فيه من ألذ نوع وقد ذكر لي أنهم في أروبا يوصون بائع الخضر عندهم أن يحتفظ لهم ببعض الخضر والفواكه المغربية مهما كان الثمن !

38 ـ الحرف الشاقـة

لابد للمجتمعات من أعمال يتوقـف سير الامـور في المنازل والحياة العامة ، وبعض هذه الاعمال مهينة وشاقة مثل كنس الطرق وحمل الازبال ، **وتنظيف المجاري ، وحمل الاثقال** ، ومسح الاحذية

كانت هناك حرفة خبيثة جدا الا وهي فتح الحفرة الموجودة خارج الدار والمتصلة بالمرحاض وحمل ما هناك من روث كريه الرائحة الى خارج المدينة أو الى ساحل البحر والملاحظ أن هذه الحرفة المهينة اندثرت بعد وصل جميع المنازل بالواد الحار أي مجاري المياه القذرة

بعد هذا لا مناص من بقاء الحرف الدنيا الاخرى وهي كلها شاقة ويتعاطاها أناس نزحوا الى المدينة أو أعياهم التشرد أو كانت أيديهم خالية من كل حرفة والملاحظ ان متعاطي هذه الحرف يمارسونها بصبر وثقة من أنفسهم على اعتبار أنهم يترفعون عن الاستجداء والوقوف على الابواب وقديماً قال المثل الشعبي الصريح " ارفد خراهم لا تسعاهم " أي احمل عنهم روثهم بالمقابل ولا تمدن يدك اليهم مستجدياً !

ان النسوة هن أيضاً ينزلن الى مستوى الاحتـراف الادنـى المنهك فهن يصبن الملابس للناس مقابل أجر ويقمن بتنظيف المنازل وطبخ اطعمة في الافراح العائلية وبعضهن يقمن بتوزيع الاطعمة وغسل الايدى وبعضهن يقمن في المنازل بصفة دائمـة كخادمات أو (سخارات) أو (متعلمات) وهذا لفظ وتسمية أنسب لكرامة هؤلاء النساء وكان بعض أرباب البيوت يمعنون في اهانة بعض الرجال من حيث يجعلونهم يقفون على الابواب أطول وقت أو أقصر وقت حسبما ما يعن لهم وقصدهم من ذلك أن يكونوا رهـن إشارتهم للسخرة لقضاء بعض حاجات الدار ويجعلونهم يسيرون من ورائهم في الطريق الى السوق ليعود كل واحد محملاً ـ مـن

وراء سيده ـ بالقفف والسلال وغيرها ، والمعاملة قلما تطبع بالحسنى ، فالعبوس والانتهار ولربما الاقذاع   كل هذا مقابل   أجر زهيد أو مقابل ملء البطن وكفى

وقد يتفضل سيد الدار على خادمه بخادمته فيزوجهما زواجاً بسيطاً ، ينتج عنه بنون وبنات يكونون بدورهم خدماً وحشماً   لقد كانت هذه النكبات تنزل بذوي وذوات البشرة السمراء   ثم صارت تنزل بغيرهم   وهؤلاء وأولئك كانوا يختطفون من أمهاتهم بمكر على أيدي النخاسين   الى أن بطلت هذه السخرة الكريهة

لقد صارت الاستعانة بالخادمات نوعاً من التبني ، ينتهي معه الامر بأن يصير الخادم سيد نفسه   بعد تـوفر الاسباب وحصـول الامكانات   أو أن يصير عاملاً تحت إشراف سيده   كما ان الخادمة تجهز لبيت زوجها ، ولا يهم أن تتردد بعد ذلك على المنزل أو لا تتردد ، المهم ألا تبقى مقهورة

39 ـ مقارنة مركزة وشاملة

1 ـ الاجيال الحاضرة التي قرأت فصول الكتاب الثمانية والثلاثين الماضية قامت في نفسها مقارنة أوجدت لنفسها معها رأيا حول ما كان وما هو كائن ولكن هذه المقارنة ستكون عسيرة بعض الشيء أو عسيرة كل العسر للاجيال الآتية بعد مدة طويلة من حيث ستكون أعمالنا وتصرفاتنا ومبادراتنا انتهت وصارت بمثابة خرافة من الخرافات

ولكن هؤلاء الاحفاد يهمهم أن يعرفوا ما هو حاضر بالمقارنة مع ما كان وهذا الذي كان هو ما أثبتناه بايجاز غير مخل فالاكيد ـ كما قلت في المقدمة ـ ان ما حصل في الخمسين سنة الاخيرة 1350 1400 كبير الاهمية وبالغ الخطورة وباعثا على الدهشة فى بعض جوانبه ، واقل من ذلك في جوانبه الاخرى فلنعقد المقارنة السريعة من حيث يقابل كل فصل بفقرة أو فقرتين أو أكثر قليلا اذ الاشارة تكفي عن التطويل مبينين الحالة الحاضرة كما هي ونتمنى الا يخطئنا التوفيق

2 ـ إن الطبقات الاجتماعية لا تزال كما هي الطبقة الموسرة والطبقة المتوسطة والطبقة الفقيرة انما وقع تغيير في دنية كل طبقة لا نقول بالزيادة أو النقص انما فى التركيب فالموسرون بالوراثة وعن طريق الجاه القديم اخذوا يقلون ويقل معهم الدور السلطوي الاجتماعي والاقتصادي الذي كانوا قد نعموا به طويلا وزاحمهم على هذه الادوار كلها طبقة موسرة اخرى ولجت الميدان عن طريق الارباح الارباح الناتجة عن الوظائف المهمة أو التجارات الرائجة أو الزراعات المنتجة انما نرى انه ليست للطبقة الموسرة الجديدة أية مطامح للمجد الاجتماعي والانعزال البورجوازي وهكذا صرنا نرى صاحب الملايين ، وحتى الملايير في لباس عادي ، ومسكن عادي ، معاملاته عادية ، لا تكاد تميزه عن أواسط الحال من الناس

الطبقة المتوسطة ـ من جهتها ـ كثر عددها وتقوم بنفس الادوار التى أشرنا إليها في الفصل الاول وسبب هذا التوسع والتكاثر هو أن التعليم اتسع نطاقه والتعليم سبب كل خير ثم كان نـزوح طائفة من الطموحين من أجواء القرى الى أجواء الحواضـر وكذلك عودة طوائف من العمال بعد الاقامة في أروبا يضاف الى هذا شيوع الخبرات والمعارف بأسرار الدنيا وخباياها عـن طريـق وسائل الاعلام من اذاعة وتلفزة وسينما وصحافة ولا يوجد إنسان في الدنيا لا يطمح نحو الاعلى والاحسن

الطبقة الفقيرة لا ينتظر ان تنعدم فهي موجودة في كل أنحاء الدنيا ، وفى جميع انظمة الدنيا ، انما الفقير عن عجز لا بحد ـ حتى الآن وأنا أكتب هذه السطور في الشهور الاولى من سنة 1400 هـ ـ أقول لا يجد من يأخذ بيده ، يكثر الحديث ، وتكثر المقترحات ، وتتنوع المشاريع ولكن المشكل لا يزال قائماً مستويات منخفضة في المعيشة وفى نوعية اللباس وشكل السكن ثم في صحة متدهورة وفي تكدس أبناء وفي تمزق تعليم وانبتاره وفي انتشار تسول وتفاحشه

والكيان العائلي لم يعد متماسكاً شديد التماسك كما كان فسلطة الآباء ـ في الحواضر التي يدور حولها الحديث ـ أخـذت تتارجح بين الشدة والسهولة فالاولاد والبنات وحتى الامهات تظهر منهم ـ جميعاً أو بعضاً ـ انتفاضة عصيان أو تذمر أو نفور بـين الحين والحين وسنورد بعض التفاصيل بعد قليل

3 ـ تكوين أسرة صار هدفاً كريماً لعدد من الشبان فالتبذل أخذ النفور منه يشيع قليلا قليلا وشيئاً فشيئاً وهكذا صرنا نلاحظ اقبالاً على الزواج وعلى ربط العلاقات شرعياً وعلى مبدإ التراضي

وما أشاع هذا الا حالة السفور التي عمت ثم كثرة الاختلاط التي اقتضتها ظروف الدراسة بالكليات والمعاهد العليا واقتضتها

ظروف العمل بالمكاتب والمعامل والمدارس واقتضتها مناسبات اللقاء في الطرقات ومحطات الركوب وفي المنتزهات وفي الحفلات العائلية العامة والسهرات الحبية الخاصة وهذه الاحوال الدقيقة من التعارف وما نتج عنها دفعت بالكثرة من الآباء والامهات الى أن يتخلوا عن العديد من شروطهم التي كانوا يضعونها مسبقًا ، وفضلوا تسويه الاوضاع سترا ً لاعراضهم وحدا للمشكل من أن يتطور ، ودفعا لمزالق المعاشرات فلأن تكون زوجة لشاب تعرفت عليه وتعرف عليها خير من أن تكون شيئًا آخر وهكذا تمت عدة زيجات بدون تكاليف مرهقة لأي من واحد من الطرفين ومن يتصل بهما

ويغتنم كل شاب وشابة تزوجا أحسن فرصة وأقربها للانفراد ببيت يخصهما وحدهما ، ولو كان (عزوبية) أي (كارسونيير) لا غير ....! ومن حسن حظ هؤلاء الراغبين في الاستقلال بانفسهم انهم يجدون تسهيلات القروض من الابناك والشركات من أجل المنزل وتجهيزها

4 ـ والبنت المغربية تكاد تكون أخطر العناصر التي دخلها التطور في حياة المجتمع ، فالبنات جلهن كن قد تعلمن في المدارس الاجنبية ـ الاسلامية على أيدي معلمات أجنبيات فأسفرن عن الوجوه ـ اقتداء بهن ـ ولا بأس في السفور ، ثم كشفن عن الاعناق والصدور ، وحسرن عن الاذرع وشمرن عن السيقان وما فوق السيقان ، ودخلن السينما وردن الشواطئ وخالطن الحفلات المختلطة (ميكست) كما تسمى ، ولما وردت أنواع " الموضا تلقفنها أحر تلقف ، وما بالك ببدعة (الميني جيب) و (الميكروجيب) و (الديكولتي) ؟ لقد سارت بعض بناتنا في الطرقات مكشوفات الى ما يقرب منتصف أجسادهن وعاريات الصدور والاذرع الى أقصى حد بل منهن من جالست ذويها ومن ليسوا من ذويها وهي على هـذه الحال المخجلة المحرجة التي لا نبالغ انها من فعل الشيطان ، ألعن الشياطين

وذهبت هذه (الموضة) الخبيثة ، واستحيت البنات والنساء فعمدن فقط لبس السراويل الرجالية والسير في الطرقات وبعض الشر أهون من بعض كما يقول المثل

5 ـ بعد هذا لم يعد زواج البنت هما من هموم الابوين ، فالبنت المتعلمة ـ كانت متابعة لدراستها العالية أو موظفة مــن جملــة الموظفات ـ تبحث عن رفيق الحياة أو يبحث هو عنها ويطرحان المشكلة مع بعضهما بكامل الصراحة والوضوح بتأثــير قليل أو كثير من العاطفة ، ثم يدخلان الوالدين ، على سبيل الاخبار أو الاقناع وأمام هذا لا يجد الوالدان أيضًا مفرا من القبول خوفًا من التنطع وفرض الواقع عليهما هذا الفرض الذي قد يقابل بالرفض !

تدبير التجهيزات يتغلب عليها بوسيلة أو بأخرى وأحيانًا أمر ذلك يؤجل الى أن يصبح الزوجان الشابان قادرين على اكفاء نفسهما بنفسهما ، المهم الا تخدش كرامة الابوين ، ابوي الفتاة على الاخص وعندئذ يؤخذ الامر على أساس أن من باب المساعدة على الخير

6 ـ واتسع نطاق الاختلاط ، فالمرأة الحضرية التي كانت تتحرج من لقاء الرجل كل التحرج صارت تلقاه بعفوية ولا يخامرها الا القليل من الخجل والتضايق وقد يكون اللقاء مطبوعًا بطابع الثقة بالنفس وبالشجاعة الادبية اذا ما كانت هذه المرأة سبق أن تعلمت في مدارس مختلطة ابتدائية وثانوية أو هــي مــن العاملات في مؤسسة من المؤسسات اللاتي يعمل فيها الرجال بجانب النساء حذو بعضهما النعل بالنعل

وهكذا فكما تقضي الظروف باللقاءات الجماعية فكذلك تقضي باللقاءات الفردية لغرض من الاغراض من حيث يحضر صديق العائلة ويطرق الباب ويدخل الصالون ويأخذ في محادثة رفيقــة المهنة وبينهما كؤوس الشاي وفجأة ـ على سبيل المثال ـ يحضر الزوج فيجد الزائر فيبتهج لوجوده ورؤيته ويتبادل معه تحية حارة وقبلة أخوية ويميل على الزوجة ويطبع خديها بطابع الاعتزاز والحنان ويأخذ مقعده ثم يسأل اذا ما كانت هناك جرعة شاي يبلل بها حلقــه !

ومجالات الاختلاط من مثل هذه ، في داخل البيوت وخارجها ووسط الجماعة أو على إنفراد فتحت العيون كامل التفتح فزوجة المسالم الطيب أحست من نفسها ميلاً واندفاعاً نحو الرجل الآخر الصارم العنيف ، وزوجة المحدود الدخل والموارد هز مطامحها ومطامعها وفرة النقود وسخاء اليد ويسر الحياة عند المعرفة الآخر ، وزوجة الرجل الملازم بيته ، رب الاسرة الودود اشتاقت وتطلعت الى الرجل الشارد الكثير الحركات الذي لا يستقر الذي من ان يدخل حتى يخرج ، ومن أن يخرج حتى يغيب لمدة ، صار بودها أن تكون هائمة مثله وعلى نفس الحال ضاق زوج ربة البيت المصون القارة الصابرة وتطلع الى تلك الصديقة التي تفيض حيوية ورعونة ومرحاً ، تتحدث في كل موضوع ، وتضحك فتقهقه ، وتسير وهي تتلولب

وهكذا اضطرب استقرار البيوت وتطلع بعضهم الى (السعادة) دون ان يلمح خفايا الشقاء وبذلك كثر زبناء المحاكم الشرعية !

7 – ويحرص الشبان والشابات على أن يكون لهم نسل محدود العدد ويفرحون بالمواليد فرحاً عميقاً ويعكر صفو الفرح والهناءة الا تكون للابوين رغبة في استمرار العشرة لوجود تطلعات من نوع التطلعات التي أشرنا إليها منذ قليل

ويخفف من عبء مسؤولية الاولاد في هذه الحالة وجود الكفيلة شرعاً ، أمها أو أمه ، هذا اذا ما تغلب هوى النفوس وتوهم كل طرف من الطرفين ألا جدوى من استمرار العشرة ولو مع وجود الابناء الذين يعتبرون عادة لحمة قوية في العشرة

أما الذين تغلبوا على الهوى ، وصمدوا في وجه المغريات فإنهم – والحق يقال – يقومون بواجبهم كاملاً نحو أبنائهم من حيث يضمنون لهم طفولة مرفهة وصحة مراقبة مصونة ودراسة متقنة من الحضانة الى ما بعدها ويبذل المال والجهد بلا تقتير و لافتور من اجل الاكساء المتنوع والمتناسب مع تبدل الفصول ومن أجل

القيام بنزهات أسبوعية ورحلات دورية الى السهول والجبال والمشاتي والمصطافات وأظن ان بعض أطفالنا من أسعد أطفال عدة بلدان اما ان طفولتهم اسعد من طفولتنا فهذا ما لا شك فيه

8 ـ وقد خصصنا فصلا لاحتفالات العقيقة سابقًا اما الآن فلا يحمل لها هم كبير اذ تكفي سهرة عائلية بسيطة تدار فيهـا الاسطوانات أو يركب شريط المسجلة ويقدم ما تيسر من الطعام والشراب وفي نهاية السهرة يروح كل الى حال سبيله هذه هـي العادة التي صارت سارية في أوساط الشباب انما قد يخرقها والدان متمسكان بالتقاليد وبالسخاء الاصيل من حيث يصران عـلى اقامة حفل مزدهر سخي يدعى له الاقارب والاباعد ويتم الحفل في جو بهيج حافل يسعد النفوس ويبقي فيها آثاراً طيبة

9 ـ أما الحفيلات التي كانت تكرم بها شخصية الطفل خلال سنوات طفولته الاولى فإنها أخذت تضمحل ان لم نقل اضمحلت بالمرة ، فلا ذكر الآن للحلاقة الاولى ، ولا للجلسة الاولى على الجلاس ولا ليوم الفطام ، ولا الختان ، ولا (للحذقات) القرآنية ، ولا ولا حتى الختان وهو عملية ضرورية لكل طفل مسلم يقوم به في الاغلب طبيب جراح ، بكيفية لا تكاد تثير الانتباه ، فإن كان ولابد من حفيلة فإنها تقام في نطاق محدود

نعم هناك احتفال بالطفل سنويًا هو ذكرى الميلاد اقتداء باحتفال الاروبيين بذكرى ميلاد أطفالهم وطفلاتهم ومعلوم أن الحفل عندهم يقتصر على الصغار والصغيرات من الرفقاء لكن عندنا قـد يتطفل الكبار والكبيرات ويأتون لقضم وسرط و (تغزيز) ما يتيسر من الحلويات

10 ـ ومما لا شك ان تنشئة الاطفال هو الميدان الذي تفوق فيه شباب وشابات هذه الايام من حيث ان الطفل والطفلة يعطيان حقهما ويزيد من العناية سواء عند الحمل أو عند الولادة أو

عند النمو أو عند إنحراف الصحة ان العطسة العادية تلفت نظر الابوين أما صعود درجة الحرارة قليلاً فيدعو الى توقف العمل كيفما كان وحيثما كان ثم الالتحاق بعيادة الطبيب المختص في أقرب وقت والدراسة يشغل أمرها البال وتتبع يوماً بيوم وطوراً بطور، وسنة بسنة، ومما يعجب ان كل مجهود، وكل انفاق وكل تضحية تتحمل في سبيل الابناء المهم أن تكون ظروف الانجال طيبة وسعيدة وهانئة ومبشرة بمستقبل سعيد

11 ـ ولن تزول من الوجود المساكن المغربية شكلها الموصوف من قبل لأن هناك ارتباطاً تاريخياً بها، والكثيرون يفضلون انفتاحها من الداخل لا من الخارج، وشموخ جدرانها يدفع من فضول الفضوليين ومن تطفل المتطفلين ومن تطاول المتطاولين غير أن الشكل السكني الذي جاء به الاجانب أعجب الناس أعجبهم المسكن المحدود المساحة المعدود الحجرات، المفتح النوافذ على الحدائق الغناء بأزهارها وأشجارها، وبالنور والهواء والعطر يتدفق من الجهات الاربع أعجب بعضهم السكن في " الحومة العمودية أي العمارة من حيث الجيران بعضهم فوق بعض لا متجاورين ! يكفي ربة البيت القليل من الجهد لتنظيف البيت وترتيبه وخطوة ونصف خطوة وها هي قد انتقلت من حجرة الى حجرة، ومن حجرة الى مطبخ ومن مطبخ الى حمام أنيق ومرحاض أشد أناقة !

12 ـ لقد تحدثنا في الفصل المرقوم برقم 12 عن جو الضيافات العائلية الذي كان حافلاً وباباً ـ يكاد يكون وحيدا ـ للتفريج عن النفس، وتحقيق الاتصال الطيب بين أفراد العائلة لكن شواغل الحياة المتعددة والتي صارت تأخذ حتى ربة البيت الى خارج مسكنها للعمل، لم تعد تسمح الا بإتصال قصير قد لا يتعدى ساعات معدودة بالليل أو تحت ظلال أشجار الغابة أو فوق رمال الشاطيء

ان المنازل العصرية المحدودة الساحة والحجرات وعدم وجود خدم أو امرأة قوامة على البيت كل ذلك لم يعد يسمح بابقاء

الزائرين والزائرات للضيافة ولهذا يجد بعض الناس صعوبات جمة وحرجاً ما عليه من مزيد عندما يقدم عليهم ضيوف من مدينة بعيدة ويكون رب المنزل وربته مضطرين الى الاطعام والايواء والاسعاد في ظروف مادية وأدبية غير مواتية مطلقاً اننا نكاد نصل الى التصرف الذي كنا نسمع عنه والذي كان يقضي على بعض أرباب المنازل الاوربيين بأخذ ضيوفهم الى المقاهي لتناول فناجين قهوة مع بعض الحلويات ومن هناك يكون الافتراق !

13 ـ طبعاً ، لم يعد الرجال ـ بحكم تقلص الحجاب ـ يتنزهون ويسمرون ويقيمون الضيافات فيما بينهم أي وحدهم تاركين النساء يفعلن مع بعضهن نفس الشيء انما صارت هذه الترويحات عن النفس تتم في جو مختلط " ميكست وهكذا يتواعد الزملاء ويصطحبون زوجاتهم أو تتفق الزميلات ويصطحبن أزواجهن !

والاكثر شيوعاً هو أن يتفق الاصهار ذوو الزوجات الاخوات على الالتقاء في مكان معين ولا صعوبة مطلقاً ولا مشاكل تستحق الذكر في مرافقة الاخت لأختها في هذه الاحوال انما الصعوبة كل الصعوبة والمشكل أعقد مشكل هو اجتماع النساء خارج نطاق الاخوة اللهم إلا اذا كانت الاخت تغار من أختها عندئذ كان الله في عون الرجال !

على كل حال وعلى أي حال تتفق النسوة وتحضر كل واحدة وجبة الغذاء أو على الاقل وجبة العصرونية وتسعى أن تصطحب شيئاً يلفت نظر المرأة الاخرى كنوع نادر من الشوكلاطة أو الحلوى " أو البسكوي وعند ظلال أشجار الغابة أو فوق رمال الشاطئ يكون اللقاء ويكون التباهي المتستر !

بعض الناس يفضلون الرفقة الثنائية الزوج وزوجته ومعهما أولادهما وكفى ! فإذا كان لقاء فيكون لقاء على غير موعد وتميل النساء عندئذ الى بعضهن وينغمرن في الحديث وكذلك يفعل الرجال يشيع الانشراح بوجود (الورق)

والجميل في هذه اللقاءات الخارجية هو التعاون على حمل المتاع ، وعلى فرش المكان ، وينطبع على الشفاه وعلى الوجوه علامات الانشراح والرضى والتآلف والمودة وبينما يذهب الاولاد ليمارسوا ألعابهم يميل الزوجان الى سماع الموسيقي أو يقومان بين الاشجار بجولة طويلة بعيدة عن فضول الاولاد الصغار والكبار منهم !

14 ـ وأكيد أن الاسمار الليلية لم تزل ولن تزول فما فتئت لعبة الورق " مستولية على بعض العقول ، وان كان هؤلاء المتعاطين لها يفضلونها على أن يجتمعوا من أجل الاغتياب في الناس ويلاحظ أنه لم يعد اللعب مقتصراً على النوع الاسباني ، وانما دخلته الانواع الاروبية ـ الامريكية والحشيش الذي كان يتعاطى بكثرة في مثل هذه المجالس قل قليلا وحل محله ما هو أفظع وانهك الجيوب والصحة

وحلت الآليات محل المطرب والمؤنس ، واضمحل جو الانس حول الادبيات وما يتصل بها فإن صادف وأثارها أحدهم عد من الثقلاء ويفضل الحديث حول شؤون وشجون كرة القدم ، وأخبار السينما والممثلين والممثلات والطرائف والنكات التي توردها الصحف والمجلات في حواشيها كما ان حديث السياسة مقبول إذا كان المتسامرون من اتجاه حزبي واحد

15 ـ ورغم ما عرف عن بعض أطعمتنا الوطنية من مساس بالصحة ، ومن أضرار ببعض الاجزاء من الجسم خصوصاً الاجزاء الداخلية منه مع ذلك ما زالت لذة الوجبة المغربية لا يفلتها أحد كل ما يفعل الآن هو التخفيف من الابازير والملح والسكر ما أمكن التخفيف

بعض الاطعمة الاروبية وأساليب اعدادها دخلت المطعم المغربي وأعجبت الناس فأقبلوا عليها خصوصاً أنواع المخللات والمصبرات و المقليات و " الشربات وما أعجبتهم الا بتأثيرها

السليم على الابدان ففضلوا أن تكون هي غذاءهم المفضل والدائم خوفاً منهم على ابدانهم من أضرار المواد الدسمة والمتوبلة التي لا تخلو منها موائدنا

16 ـ بعد هذا لم يعد الشاي والقهوة في مكانتهما الكبرى التي كانتا هما فالقهوة لم يعد هناك وجود لطريقة اعدادها فهي الآن تشترى محمرة ومطحونة ويصب مسحوقها في الابريق المقطر آخر المبتكرات في الميدان والشاي قل الاحتفاء باعداده كما كان من حيث صار يعد في المطبخ كالطعام ويقدم عن طريق الخادمة في كؤوس ليشرب ساخناً أو دافئاً أو بارداً أي كما تيسر وهكذا احتفظ بالاواني ولم يعد استعمالها الا بين الحين والحين

والشيء الملاحظ ان المشروبات الغازية احتلت مكاناً في المجالس المغربية نظرة الى وسائل الاشهار وتركيز الدعاية على المشروبات ، تبين المدى الذي وصل اليه الاهتمام بالمشروبات الغازية هناك اهتمام جيد بالمعصورات الفاكهانية مثل البرتقال والحوامض الاخرى والتفاح والعنب والرمان وغيرها وهذا اهتمام طيب بالفاكهة المغربية

17 ـ من جهة أخرى لم يتخل المجتمع عن لباسه التقليدي فطائفة متمسكة به في كل الاحوال وحتى الآن أما المتفرنجون والمتفرنجات لباساً فقد بقوا مسايرين للموضة كما أشرنا رجالاً ونساءً وان كان الرجال لم تنزلق بهم الموضة الى الدرك الاسفل غير انهم كلهم عادوا الى اللباس التقليدي فكثير من الشبان يطيب لهم مثل الكهول والشيوخ أن يرتدوا (الفرجية) والسروال الفضفاض وفقهما الجلباب وفي الارجل أحذية مغربية رشيقة وكل هذا لا يكلف تكاليف باهظة انما الذي يكلف ويرهق هو لباس النساء البراق الهفهاف الذي يتطلب الكثير ثوباً وخياطة ثم لا تبقى له قيمته الا في أيام قليلة اذه ليصعب على الشابة الانيقة أن تحضر ثلاث أو

أربع حذلات بثوب واحد ، ان ذلك يعتبر دليلا على استطاعة محدودة والمرأة – في مجتمعنا – لها ميل للرفاهية وترفض أن توسم بالخصاص أو عدم الاستطاعة ولربما تفضل أن تقتل على أن يقال لها انها فقيرة القليلات هن اللواتي يفضلن الانقطاع عن مجامع الابهة ما دمن غير مستطيعات أو يتباهين بأنهن غير مستطيعات وانهن راضيات بذلك !

الاطفال يكلفن آباءهن مصاريف من أجل الكساء اللائق ، والمتنوع، والمتناسب مع الفصول وذوو الاستطاعة المحدودة يقبلون على البضائع الرخيصة تريكو وسروال وصندال والحمد لله على ان دماء الصبا الحارة تشيع الدفء بلا مقابل ، في أنحاء الجسد الفتي !

18 – داخل البيوت وإرضاء للذوق السليم ولغريزة الامتلاك المشروعة وتحقيقاً لرغبة التباهي والامتياز ما زال أفراد مجتمعنا حريصين على اقتناء الطرائف والتحف والاشياء العجيبة والنفيسة وبالاضافة الى المقتنيات الموروثة عن الاجداد ، والتي هي من التراث الاندلسي والابداع المغربي فإن الافراد ماضون في المزيد من الاقتناء ، سواء للاشياء الاثرية أو التقليدية الفنية أو المبتدعة العجيبة ان النسخ المنقولة عن الرسوم العالمية الخالدة صارت متداولة وهي تستهلك على نطاق واسع ويسعد الكثيرون باقتنائها والاستمتاع بها اذ هي نسخ طبق الاصل كما ان هواة الرسم الجديد سخوا من أجل اقتناء لوحات من الرسوم العجيبة بغموضها وتداخلها واختلاط أشكالها والوانها كما ان أي بيت لم يعد خالياً من (المسجلات) ومعها عشرات الاشرطة والكاسيطات المشتملة على فنون عديدة من العزف والغناء على هذا ، صارت الفنون قريبة من الجميع وفي متناول الجميع فهل أثرت التاثير الطيب الرفيع في الجميع ؟ ثم ان أي بيت لم يعد تنقصه التلفزة العادية وحتى التلفزة الملونة حتى الاكواخ والبيوت البسيطة تظهر على سطوحها الاعمدة اللاقطة لبرامج التلفزة !

19 ـ وعن الافراح الاجتماعية والاعياد الاسلامية نقول بأنها محترمة وتعطي لها العناية المعهودة عائلياً واجتماعياً والذكريات الوطنية السارة والمحزنة منها ما لا يزال ومنها ما تعدل ومنها ما أضيف فمن الذكريات الحزينة التي زالت ذكرى 30 مارس يوم عقد الحماية الفرنسية على المغرب وذكرى 16 ماي يوم صدور الظهير البربري اما عيد العرش الذي كان يوم 18 نونبر بالنسبة للمرحوم الملك محمد الخامس فلقد عدل بيوم 3 مارس يوم جلوس جلالة الملك الحسن الثاني وصارت لنا اعياد مجيدة أي 16 و 17 و 18 نونبر وهي على التوالي عيد العودة والانبعاث والاستقلال ، وهذه لا تحظى الا باحتفالات محدودة وصارت لنا ذكريات جديدة ذكرى المسيرة الخضراء يوم 6 نونبر وذكر انضمام وادي الذهب يوم 14 غشت

20 ـ وعن الصحة العامة يلاحظ انها تحسنت بشكل عام وان الخدمات الصحية ارتفع مستواها بفضل جهود واخلاص وتفاني الاطباء الشبان المواطنين وعلى ذلك اخذ أفراد الشعب بمختلف طبقاته يقبلون على العلاج تحت إشرافهم وعلى اجراء العمليات الجراحية حتى الخطير منها واثقين فيهم وسعداء بهم ولا يسمع هنا الا التذمر من بعض ظروف التمريض والعناية والرعاية

عيادة المرضى ارتفع مستواها قليلاً من حيث صار العائد وحتى العائدة يقومان بزيارة خاطفة مصحوبين بكلمات عطف وببعض الزهور

أما المآتم فما زالت مآتم بحق إذ العائلة الحزينة لا تترك لأحزانها وضيق نفوس افرادها وانما يكلفون بأعباء مالية باهظة من أجل الاطعام حيث ان طائفة من النساء ، ولم لا نقول حتى من الرجال كذلك تستطيب المقام بقصد المواساة ظاهرياً وبقصد الثرثرة ولوك الكلام ونبش الاعراض فى الواقع لكم تترك المآتم ـ حالياً وكما كانت ـ من ديون ولكم تكلف من مصاريف

21 ـ ونتحدث عن روابط الصداقة فنقول انها تفوت عما

كانت عليه والسبب هو النساء ! فهن بسبب سفورهن وعدم تحرجهن من مجالسة الرجال صار الاصدقاء ياتون بزوجاتهم ولربما تاتي الصديقات بأزواجهن فتكون جلسة طريفة وطيبة عامرة بالانس والحديث اللبق والمباهاة الخفيفة أو الثقيلة والضحك أو الصخب أو التهريج حسب الميول وحسب الاذواق وحسب مستوى المتسامرين وحسب متانة علاقاتهم ، وحسبما يتسامرون حوله !

أما الجوار والسكنيات فقد صارت الفيلات أو العمارات تطبع ساكنيها بطابع خاص هو طابع الحياة الاروبية سكانها الاصليين بكل ما عرف عن الاروبيين والاروبيات من انقباض وعدم اندماج ومن تباطؤ في بذل المعروف وإغاثة الملهوف انك لتجد الجار لا يعرف اسم جاره ولا المسكن الذي يسكنه بالذات ولا يكلف نفسه بمواساة أو تعزية أو تهنئة شيء فظيع !

22 ـ وبتاثير من انتشار التعليم وشيوع الافكار الدينية الاصلاحية ونظرا للطابع الذي طبع به الاروبيون حياتنا المدرسية والاجتماعية فإن العادات والتقاليد دخل عليها تغيير محدود في بعض النواحي وغير محدود في نواح اخرى وعلى كل فما زال بعض الذي اشرنا اليه في الفصل 22 موجوداً ويلاحظ بتعجب أن بعض المتنورين والمتنورات ينساقون مع أوهام وتقاليد القدماء خصوصاً في ساعات الضيق والتازم والياس

كما انساق بعض المتفرنجين ـ هم ايضاً ـ مع العادات الموروثة والاوهام الشائعة وزادوا عليها من عادات وأوهام الاروبيين كقراءة زوايا البخت والحظ المنشورة في الصحف والتردد على قارئات الفناجين والكارطة ، وحتى التشاؤم من رقم 13 وكذبة أول ابريل ولا نبالغ إذا قلنا ان السحرة وكتاب التمائم صارت لهم سوق رائجة مربحة جدا

23 ـ الامثال الشعبية فن وفن دقيق ومؤثر واستعماله

كذلك أمر فني فإذا استعمل المثل في غير محله ، وفي غير مناسبته، وبغير صياغته عد ذلك اخلالاً شنيعاً ولا ينكر ان المثل لم يضمحل، ولكنه زوحم بالمثل الفصيح من أقوال الحكماء والشعراء ولا بأس بهذه المزاحمة انما المزاحمة الخطيرة هي الاستشهاد بالمثل الفرنسي أو المثل الاسباني وهذا المثل ــ عادة ــ يلقى بلفظه وتركيبه الاجنبي ثم يحاول المتمثل به أن يترجمه ولكن قلمــا يوفق ولذلك لا يجد الانشراح لا في نفسه هــو ولا يلمس الاقتناع ولا الرضى به في نفوس وعيون الذين يتحدث اليهم

حركة طيبة تروج في الاوساط الثقافة الاكاديمية في شأن الامثال استماعاً وتذوقاً وإعجاباً وجمعاً وتصنيفاً وبحثاً وتحليلاً وكل هذا جميل ولكن أجمل منه أن يستعمل المثل الاستعمــال الدقيق الذكي اللبق

أما النكات فما زال العمل مستمراً بها بنفس الظروف المشار اليها في الفصل 23

24 ــ ميدان الاحاجي والحكايات أصابه فتور فلم يعد أحد يهتم والمؤسف انها ذخيرة في طريق الضياع وقد كان المعتاد ان النساء كن يتسلين بالحكايات والاحاجي فيما بينهن ويليهن بهــا الاطفال ويظهر أن للثقافة علاقة ــ بسيطة أو قوية ــ في تدهور هذا التراث اذ بدلاً منها انصرف الناس صغاراً وكباراً عن الحكايات والاحاجي الى مطالعة الكتب والمجلات خصوصاً التي تهتم بالقصة والاقصوصة كما ان إلهاء الاطفال بالاشياء الجميلة واللعب أثر هو أيضــاً

25 ــ وباتساع نطاق التعليم وخروج الكثير مــن الامهــات والآباء من الامية وشيوع الآلات السمعية البصرية الراديو والمجلة والتلفزيون غزت الفصحى العقول وثبتت على الالسنة ، واذني لا أعجب من الاميين والاميات في أسرنا يتتبعون الروايات التليفزيونية الفصيحة،

كتمثيلية (النهر) التي تبث في هذه الايام ، ولاحظت ان هذا التتبع قوي ومصبوغ بالشغف كما انني رأيت بعيني سيدة عجوز أمية تحمل المذياع وتتنحى به جانباً لتستمع الى حصة تفسير القرآن الكريم التي تذاع كل مساء

وهذا لا يعني أن الدارجة انمحت أو زالت من الوجود المجتمعي، وانما يعني انها غزيت غزواً قوياً بالفصحى اللغة الام وقد سألني منذ أيام أحد الشبان ما هو (الفريول) ؟ قلت انه كان لباساً لنا ونحن أطفال وهو جبة ذات أكمام وطوق مزرر وهو يستر ستراً تاماً كل ما هو تحته !

وواثق أن القارئ الشاب يتساءل ما معنى قولي، 1 سبنية 2 حنطوز 3 خيط الريح 4 التكليسة 5 الزلاكبة 6 التهليل 7 گطاية ، 8 حايك محربك 9 طقطيقة دالسروال 10 التغنبيرة وتفسيرها اسفله

26 ـ وننتقل إلى تلك التهويمات الجميلة التي كانت النساء يؤنسن بها انفسهن أو ينومن بها أطفالهن فنقول انها قلت ونوع الامداح فيها انتهى ، فمن النادر أن تجد شابة تهلل أو تبتهل ، ولقد تعوض ذلك باغنية شائعة عربية كانت أم غير عربية والا ففي الاذاعة المرسلة والتسجيلات المحفوظة ما يغني عن فتح الفم ، إلا أنها سرعان ما تمل ويصل الامر الى حد اهمالها وهكذا ترى الآلات

(1) غطاء حريري ملون للراس (2) عقدة السبنية قائمة وسط الراس (3) حلية ذهبية دقيقة توضع على الجبهة (4) حلية بحجم الكف توضع وسط الراس (5) خف مطرز تلبسه العروس (6) علبة يحفظ فيها حجاب الطفل وهى من الفضة (7) ضفيرة تتدلى من راس الطفل من وسط الراس (8) ستار للمرأة محبب (9) غطاء الساقين للمرأة (10) ثقب تتركه بعد تخالف الغطاء الملفوفة به عند عينيها

معطلة أو معطوبة وترى الاسطوانات مخدوشة والاشرطة مبعثرة هناوهناك والصغار والصغيرات يعبثون بها عبثاً لا يبقي عليها ولا يعني هذا أن الامور هكذا في كل مكان ولكن شواغل الحياة تشغل الآباء والامهات عن الاهتمام بهذه الاشياء ولا يبقى ألا أولئك المتفرغون المتذوقون الحريصون

27 ـ أما عن مسليات عامة الشعب التي يتمتع بها في حلقات عمومية فما زالت تقام في أطراف المدينة أو وسط ساحات عمومية ، ولكن يظهر أن انتشار التعليم ولو أنه غير شامل فانه جعل الناس يبغون تسلية أرقى وأنظف وأليق بالذوق فالقصة تؤخذ في كتبها والتمثيل في قاعة ، والطرب في مجلس خاص ، والرقص يبغونه بغير ابتذال .

ويظهر أن المشعوذين الذين اشرنا اليهم في الفصل المرقوم بـ 28 انمحى أثرهم فـ (الحيل) لم تعد تنطلي على احد ولكن خلفهم " سحرة " عصريون يقومون باعمال خارقة فعلاً ، وهؤلاء اتخذوا قيافة جيدة ، فاللباس من نوع " السموكين " الممتاز والادوات عصرية ، جديدة ولامعة ولكل واحد منهم مساعدة جميلة ورشيقة البعض من هؤلاء المساعدات تقدم خدماتها للساحر وهي في لباس السباحة ربما سعياً لتأكيد انبهار المتفرجين !

29 ـ عالم الموسيقى والغناء والرقص العصري والرسم والنحت والمسرح ليس فارغاً ولا يوجد في حالة حرمان مطلق خصوصاً من هؤلاء المغنون والموسيقيون والرسامون بغض الطرف عن مدارس الرسم الشائعة أما الرقص والنحت والمسرح فلأصحابه مكانة لا يستهان بها

لكم طربنا ـ نحن الشعب المغربي ـ ببعض التلاحين القوية الجميلة ، ولبعض الاصوات الرجالية والنسوة ذات الرخامة والعذوبة والتاثير النفاذ وبفضل هذا ذاعت شهرة الاغنية المغربية في عدد

من الاقطار الخارجية ولست أدري لماذا يشعر الانسان بالاعتزاز وهو يسمع ان صوتاً أو أصواتاً مغربية نالت الاعجاب وان تسجيلات أغانيها على الاشرطة والاسطوانات تتخطفها الايدي في كل مكان وان أموالا طائلة تروج في شأنها ينوب واضع الاغنية وملحنها ومغنيها ومغنيتها قسطاً لا بأس به منها

الرقص عندنا ليس مبتذلاً اذ لا علاقة له بهز البطن والارداف في الاوساط الراقية بل هو رقص مزدوج بين ذكر وانثى يقولان عنه انه بريء ولا علاقة للاحاسيس السفلى به لأن فن الرقص في حد ذاته فن راق وسام فمن يصدق هذا ؟ من يصدق ان ملامسة جسد امرأة دافئ ووضع اليد على أماكن مغطاة أو عارية منه ملساء أو نائئة لا تسبب أي ازعاج ؟ من يصدق ؟

أما الرسم فهو مطبوع بطابع تجديدي والتجديد يتخذ أسماء كثيرة الانطباعي والتجريدي والتكعيبي اما الفن الكلاسيكي الذي يحاكي فيه الرسام الطبيعة في وجه جميل ، أو جسد رشيق أو منظر طبيعي أو حركة فردية أو جماعية ، ويبلغ في كل ذلك مبلغ الدقة والتفوق والاتقان فياتي أصحابنا المجددون ويقولون هذا عبث آلــة التصوير هى التي من شأنها أن تقوم بهذا أما الرسم الفني فهو عفوي تلقائي ثوري يتحدث بالرسم عما في طوايا النفس والعقل الباطن واللا وعي وعلى كل حال ، ومهما كان رأى القدماء فالجدد يملأون المكان بالمعارض وبالاحاديث الصحفية والتليفزيونية والاذاعية لقد فرضوا انفسهم وضيقوا على أصحاب المدرسة الكلاسيكية حتى صار أصحابها يخشون الظهور وتلك سطوة ما بعدها سطوة

النحت فن ليس شائعاً لا من ناحية الانتاج ولا من ناحيــة الاقتناء ، فبيوتنا خالية من التماثيل ، اللهم إلا ما كان منها مستورداً وفنانونا إن تعاطوا فن النحت وهم قلة فانهم يفضلون عدم الظهور لئلا يحيوا آثار الوثنية الممقوتة والعجيب ان النحاتين المعاصرين

يبدعون أشكالاً لا (رأس لها ولا رجل) فلهذا لا وجود لهم في الميدان يستحق الذكر

حركة طيبة في ميدان التمثيل المسرحي والسينمائي والتلفازي والاذاعي ، والواقع ان عبقريات ومبادرات ظهرت في الميادين المذكورة. لقد سهر الناس وطربوا وانتعشوا بالادوار التمثيلية وضحكوا واهتزوا وحلقوا في أجواء المعاني والرموز والموحيات السامية ثم هبت أساليب جديدة في التمثيل أبدعها كتاب معقدون مثل (كافكا) و (بروست) فصرنا نرى تمثيلاً ثقيلاً على النفس ان كان على الخشبة لا يقصده أحد وان كان على الاذاعة والتلفزة لا يعبأ به أحد أيضاً

وكيفما كان الحال فالشعب بجميع طبقاته تعاطى فنوناً يهواها لانها من تراثه المتوارث ، وفي نفس الوقت لا يجافي الاخرى ، فكم رأينا من مثقفين ثقافة غربية عالية يصيخون بخشوع الى نغمات الاطلس ، وآخرين لا يملكون نفوسهم الا وهم يجدونها وسط حلبة الرقص الشعبي احواش وحيدوس او غيرهما او يخالطون حلقات الامداح النبوية او اجواق الطرب الاندلسي او طرب الملحون وغير ذلك

30 ـ ويصل بنا الحديث ـ بعد استعراض الحياة الاجتماعية الداخلية ـ الى علماء الشؤون الدينية الذين ما زالت لهم مكانتهم في المجتمع ولا تزال لهم غيرتهم على الدين وحرماته ، وكلمتهم مسموعة ومقامهم كريم .... والمؤسف انه لا تمر فترة الا ويفرغ الميدان من احد الجهابذة بالانتقال الى رحمة الله هؤلاء الجهابذة الذين كانوا على درجة من الاطلاع والتبحر شخصياً ادهشني احدهم رحمة الله عليه حينما حدثني عن فن القصة وعن اعلامها قديماً وحديثاً مع ان البعض يتوهم ان علماء الدين تنحصر خبرتهم في قضاياه فقط !

ويوجد في الساحة العلمية شبان علماء انما يلاحظ انهم لم يعودوا متمسكين بلباس معين وبتعامل معين مع المجتمع وانما نراهم في صميم الحياة الاجتماعية آخذين معطين يرتدون الزي العصري ويرجلون الشعر ويحلقون اللحي ويتتبعون الاحداث عن كثب ولا يجافون مبتكرات العصر ، وهم متتبعون للصحافة جرائد ومجلات ، العدي منها والمصور ، المكتوب بها باللغة العربية وبغير اللغة العربية وهم لا يحرمون أنفسهم من شيء ما لم يخل بمقامهم العلمي والديني والاجتماعي

أما الادباء فقد ارتفع شانهم عما كان فهم لم يعودوا منعزلين عن المجتمع مع احلامهم واما لهم وتسلياتهم ، اذ وارثو التراث والجاه منهم كادوا ينقرضون فلا بد لهم من ولوج ميدان الحياة لكسب القوت ، مع التفرغ لارضاء الهوايات الفكرية مطالعة وتحريراً وهكذا ظهر في الميدان كتاب للمقالة والقصة والبحث والنقد من المدرسة الاصلية (الكلاسيكية) المحافظة ومن المدرسة العصرية صاحبة المبتكرات والمبتدعات وحتى المضببات والمعميات وما يعتبره (التقليديون) ميوعة وانحرافاً عن جادة اللغة العربية لغة البيان والديباجة والاشراق

ولا أغالي اذا قلت ان الامة ، أية أمة يمكنها أن تستعير من غيرها رجال العلم أي علم كان ولكنها لا تستعير ولا يمكنها – لو أرادت – أن تستعير أديباً ، فالاديب المواطن هو ضمير الامة وغير الاديب المواطن هو أديب زميل ، لكنه غير أصيل

انه لو أدركت الجهات المختصة هذه الحقيقة لقامت قيامتها الجادة الخالصة المخلصة لايجاد أحسن الظروف لازدهار الادب ولهيأت التسهيلات والتدعيمات ولاغناها ذلك عن الاستضافات والاستعارات والتكليفات لكن على كل حال ان دعاة الايدلوجيات الاجانب جادون في الدعوة لانفسهم ويعرضون أفكارهم ونظرياتهم ودعاواهم

في أنواع جذابة من المطبوعات والمنشورات وحبذا لو اقتدينا
أليس تضحية أن يقوم الاديب عندنا بنشر إنتاجه على حسابه
وان يتحمل بعض المعاملات كالاهمال والتأجيل والسكوت ولا أقول المحاربة أقول هذا للتاريخ ذلك لان التعصبات الايديولوجية تعمل عملها فلو كان الكاتب ذا ميول (يمينية) لمقته اليسار ولهجـر أدبه دون أن يعمل حتى على التعرف بوجهة نظر يميني (رجعي)
ولم كتب الاديب اليساري لاخزاه ـ مقدماً ـ أهل اليمين ، ولحكموا بعدم صلاحية آرائه ومواقفه والعجيب ان المنظمات التي حملت اسم (الوحدة الادبية) لا تحقق أهم أهدافها ....!

باختصار لا آسف بمرارة على شيء في بلادي العزيزة كمـا آسف على حالتها الادبية انها ازرى حالة على الاطلاق بالنسبة لجميع الميادين حتى ميدان دبغ الجلود وصنعها ....! والمسؤولية يتحملها الادباء أنفسهم لانهم فضلوا أن يبقوا مشتتين ويتحملها القراء لانهم لا يغارون على أدب أمتهم كل الغيرة ثم يتحملها المكلفون بشؤون الثقافة الوطنية والذين لم يلفت نظرهم تسابق الآخرين في ميادين الفكر

31 ـ لست في حاجة الى تأكيد حقيقة كبرى حيرت الملاحظين الاجانب ، ولم تحيرنا نحن المسلمين المعتزين بديننا السمح الكريم الخاضع للعقل والمنطق ، والمغذى بما يكفي للعواطف والجوانح
تلك الحقيقة هي ان محاولات الحاقدين والهدامين والملحدين والشاكين المشككين ذهبت سدى فبقي الاسلام في مقامه سامياً صامداً عزيزاً أبياً متحدياً ، وأقصد الاسلام الحقيقي ، الخالي من الزوائد والخزعبلات الاسلام المتنور المتفتح المتجدد المساير لطموحات المسلمـين
ومنذ حركة رجالات السلفية والكتب الاسلامية تتوارد على المكتبات حافلة بالدراسات الاسلامية ألفها مسلمون وعاطفون على الاسلام بروح منهجية تطبعها الرصانة والعمق والاقناع ورد الحقائق الى نصابها

مع كل هذا ليست الساحة الاسلامية في هناءة وخير كلا فالمهاجمون لم ينقصوا بل تكاثروا ، ولم يعودوا من أولئك الاجانب الحاقدين فقط وانما صاروا كذلك من أحفاد المسلمين الذين انحرفوا منخدعين بالآراء الاستشراقية والالحادية والايدلوجيـة التي تجعل الحق باطلاً وتحاول أن تطمس نور الله ومن حسن الحظ أن أبناء الاسلام العاقين سرعان ما تتجلى لهم الحقيقة ويعرفون أنهم خدعوا وانهم يسخرون للكيد لأوطانهم ومواطنيهم فيكون منهم رجوع الى الله .

هذا ، ولما سالمت الطرق الصوفية الوطنيين ولم يعد مـن مزالقها المساس بالمشاعر الوطنية أخذ المتصوفون يمارسون نشاطهم الديني التصوفي الذي لا ضرر فيه ، ما لم يقعد بالعاملين عن أعمالهم وبالطامحين عن مطامحهم وما لم يشيعوا الزهد الكـاذب والقناعة المؤدية إلى المسكنة والانهيار

32 ـ الاحزاب الوطنية أو الاحزاب السياسية كما يمكن أن نسميها الآن متعددة حزب الاستقلال العريق وقد توطدت مكانته في المجتمع باندماج حزب الاصلاح الذي كان بمنطقة الشمال يمارس نشاطه في مواجهة الاسبانيين ، بنفس القوة والصرامة التي كان يواجه بها حزب الاستقلال الفرنسيين بباقي المناطق وسنة 1959 انفصلت جماعة من هذا الحزب وانضمت اليها جماعات من احزاب أخرى وتكون "الاتحاد الوطني للقوات الشعبية" وهذا الحزب انقسم الى قسمين احتفظ القسم الاول بالاسم المذكور آنفًا وتسمـى القسم الثاني "الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية" وبرز تنظيم سمى نفسه "جبهة الدفاع عن المؤسسات الدستورية" لكن لم يعد له ذكر أو وجود ، وقام تنظيم جديد بعد انتخابات 1978 بعد نجاح عدد كبير من الموظفين ومن التجار ومن الفلاحين الكبار وهؤلاء تكتلوا بعد دخولهم البرلمان في تنظيم تسمى بـ "التجمع الوطني للاحرار"

هناك حزب يضم طوائف معينة من الشعب يقول منافسوه انه

قام على أساس اللهجة والسكن وهو حزب "الحركة الشعبية" وقد انشق عنه حزب آخر هو "حزب الحركة الشعبية الدستورية الديمقراطية" وأخيرا ومنذ شهور وقع انقسام آخر لم يظهر حتى كتابة هذه السطور في أي تكتل سياسي معترف به

أحزاب أخرى لا نقول عنها صغيرة أو كبيرة انما لها وجود وذكر وصحافة تنطق باسمها تلك حزب التقدم والاشتراكية "الشيوعي" سابقًا وحزب العمل

أما حزب الشورى والاستقلال الذي تسمى بحزب (الدستور الديمقراطي) فهناك محاولات وحماس لابقائه في الميدان وفعلاً جدد إصدار الجريدة الناطقة باسمه أما حزب "الوحدة المغربية" فقد سبق أن أصدر بلاغًا يحل فيه نفسه بنفسه

33 ـ بعد هذا ، نعود الى رجال السلطة بجميع درجاتهم لقد اختفى دور الامين ذلك الرجل المختار من طرف أصحاب كل حرفة للفصل في المنازعات البسيطة كما أن دور المحتسب اختفى وهو صاحب الدور الزجري في المشاكل الصغرى وهكذا لا يجد المواطن حكمًا عند عدم انجاز عمل من الاعمال أو عند الغش وعدم الوفاء سوى الالتجاء الى المحاكم العصرية وهذا يتطلب مصاريف ، وقد يفوت الوقت في انتظار موعد المحكمة وحضور الشهود وغير ذلك لقد راج حديث في هذه الايام عن رجوع دوري الامين والمحتسب وهكذا تكون مشاعرنا وأمانينا واحدة

الباشا ـ حاكم المدينة ـ في الانظمة الجديدة لم يعد له نفس الدور السابق واقتصر دوره على تمثيل السلطة الادارية بينما تولى رئيس المجلس البلدي المنتخب تسيير عدة شؤون ضبطها القانون قد تصل الى حد أن يبقى الباشا مراقبًا ولا أقول متفرجًا هذه هي الحال سنة 1400 هـ ـ 1980 م

أما القضاء الشرعي فقد صار في الميدان قاضيان أحدهما

للتوثيق والآخر للاحكام أما القضاة العصريون فهم يعملـــون في محاكم عصرية مستندين الى مساطر قانونية ويفصلون في القضايا بحضور مدع عام ومحامين وكتاب ضبط سواء في ذلك المحاكم الجنحية أو الجنائية وكل هؤلاء السادة مثقلون بالقضايا لأن بعض القضايا في الحقيقة لا تستحق الاتعاب اذ كان من الممكن فصلها بالتراضي والتسامح وقبح الله "اللجاج" كما يقول المثل الشعبي

بعد الاستقلال صار لنا وزراء فعليون لا صوريون كما كانوا في عهد الاستعمار ومنصب الوزير سام ورفيع لكنه لم يعد مقتصراً على أبناء طبقة معينة من المجتمع وانما الاحزاب هي التي ترشح من رجالها ذوي الكفاءة والمقدرة أو يستدعي جلالة الملك من يتوسم فيه المقدرة والكفاءة كذلك وغالباً ما يكون الرجل عند حسن الظن ، والمخلون بالواجب قد يواخذون بشدة وقد حصل هذا فعلاً

34 ـ هناك دعوات حارة للعمل بأسلوب التعاون والتشارك ليس الاقبال عليها شديداً في الوقت الحاضر لأنها خطة في التعاقد على الاعمال وانجازها وتجهيزها ثم اقتسام الارباح على أسس علمية دقيقة وترابطات قانونية وبذلك تتوزع الجهود فيقوم كل فـــرد بنصيب منها وتنجز بأقصى ما يمكن من السرعة ، وتحت إشراف دقيق متساند وهذا يحقق ربحاً في الوقت والجهود

عديدة هي المشاريع التجارية والصناعية على أساس الشركات والتعاونيات وأفضل مظهر الآن للتعاون هو التعاضدية الصحية من حيث يستطيع ان يتردد الموظف على المستشفيـــات والمصحات وعيادات أطباء الاسنان دون ان يؤدي شيئاً وان يسترد المريض جزءاً من ثمن الادوية مهماً وجزءاً من ثمن الفحص غير مهم على كل حال هو مظهر طيب للتعاضد بعض المصالح الادارية خصت متاجر ملحقة بها تبيع المواد الغذائية بثمن الكلفة لا غير ويظهر أنه كلما حصل تقدم في ميدان التعليم والتهذيب والوعي الاجتماعي

الا وحصل التقدم أيضاً في ميدان التفتح لعقد شركات وصفقات وتعاونيات

35 ـ أهل صناعاتنا نشيطون مثابرون ورابحون كذلك فحركة العمران الكبرى التي تعرفها البلاد ، خصوصاً في العشر سنين الاخيرة جعلتهم في أحوال طيبة وربح متوافر يحسدهم عليه أصحاب الارباح المحدودة من مثل الموظفين

وكم كان مؤلماً أن يفر العديد من الصناع بعد الاستقلال من صناعاتهم وحرفهم وتوسطوا وألحوا ليصبحوا موظفين في أبسط أنواع الوظيفة كمهمة عون أو منظف مثلاً ولكنهم عادوا فندموا على هجرهم لحرفهم ومنهم من صار يقتطع أوقاتاً حتى من أوقات راحته ليقوم ببعض الأعمال الاضافية

36 ـ أما الحرف الدقيقة المعروفة الآن بالصناعة التقليدية فهي تعيش في أوج الازدهار ، فأصحاب حرف الجبص والزليج والنجارة والحدادة والخزافة والنساجة والترخيم والتزويق كلهم مشغولون ومشغولون جداً وانتاجهم مطلوب في الداخل والخارج والدولة تجني من وراء جهودهم أرباحاً طائلة ، بحصولها على ملايير من العملة الصعبة

والجميل أن أي بيت مغربي ـ عتيق أو عصري ـ لا يخلو من انتاج فني أو تقليدي ، بل هناك من يعدل من تصميم (فيلا) مثلاً ليدخل شيئاً من الانتاج الجميل الدقيق الصنع

37 ـ تطور محمود دخل حرفة البستنة فالتطور الاول هـو ادخال المضخات الآلية وبذلك اختصرت الجهود وصارت المياه بين يدي البستاني وافرة كما أن البستاني أخذ يتخذ من البذور أجودها وأكثرها عطاء ولم يعد تقليدياً في انتاجه فبعض الخضر والفواكه غير المغربية أصلا اتخذها واجتهد في انتاجها على أحسن مستوى ولا تكاد توجد فاكهة أو خضرة في الاسواق الاروبية لا توجد في

الاسواق المغربية بل انها إذا دخلت السوق لاروبية زاحمت الانتاج الاروبي ، وانفضلت عليه ولا أظن انه بقي غائباً عن أسواقنا سوى بعض الفواكه والخضر من آسيا وبعض بلدان افريقيا وامريكا الجنوبية. والتي يمكن استنباتها اذا تم التعرف عليها وعلى خصائصها ومنافعها لقد صار المغرب ينتج القطن كما ينتج الارز وقصب السكر وأخيراً سينتج الشاي الاخضر !

ان المغرب الجيد التربة والمناخ ذو عطاء والحمد لله على ان هذا العطاء حالياً في المستوى إجمالا

38 ــ ونختم بالحديث عن أصحاب الحرف الشاقة وهؤلاء ما زالوا في وضعيتهم لأنهم مضطرون الى احترافها ليتعيشوا ، وما زال المثل المغربي " احمل روثهم ولا تطلب صدقتهم هو هامس ضميرهم وكل مسير لما خلق له

40 ـ آفاق المستقبل وتوقعاته

نعتقد عن ايمان بأن الغيب لا يعلمه الا الله ، ومع ذلك فبعض التقديرات وبعض الاستنتاجات وحتى بعض الاحلام والاوهام يمكن أن تلهمنا تصوراً لما ستكون عليه أحوال مواطنينا في المستقبل

والمقوم الاول وهو الدين أظنه سيبقى على المستوى الذي هو عليه فالمسلمون الصالحون سيبقون ممثلين لأغلبية المتدينين أما المتشددون فقد يعظم أمرهم ، وتتطور خططهم الهجومية اذا ما تفاحش أمر الالحاد ان الملحد ـ كما هو معروف ـ وهو فاقــد للوازع الديني ، ولذلكم الرضى الذي يملأ النفس ولتلك الطمانينــة التي تسكن الجوارح انه يريد أن يشارك الناس في اتجاهه ـ ولا أقول في معتقده ـ بأساليب المعاندة والتحدي ، لكن في قالب ذكي وخبيث في نفس الوقت من حيث يقوي صفوفه بوسائل الاغراء والتحبيب ، وهي وسائل براقة وجذابة لا يستطيع كل واحد من الناشئين الفكاك أو الهروب منها لكن لما يتكاثر الضالون المضللون تقوم قيامة أهل الغيرة فيخرجون من طور الاعتدال الى طور التطرف المقابل ومع ذلك سيبقى أهل التوسط والاعتدال هم أصحاب الكلمة الفاصلة لأنهم يعتقدون بالآية الخالدة ويطبقون محتواها تمام التطبيق أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ''

واذا عمد أنصار الصليب أو أنصار الالحاد من الشيوعيــين أو الصهيونيين الى المساس بالاسلام ، فسينقلب الامر الى مواجهة صارمة لا يبقى معها مجال للاعتدال بل يكون تطرف جماعي ومهاجمة ضد مهاجمة واني لأكتب هذا واحداث افغانستان المسلمة بعد مهاجمة روسيا لها ، تشغل الدنيا كلها ، وسوف تجد روسيا الجبارة ان افغانستان الصغيرة المتخلفة ليست باللقمة السائغة ان إفغانستان المسلمة

كلها الآن واقفة ضد أنصار روسيا وجنود روسيا والصهيونية الماكرة الغاشمة التي خدعت العالم كله وتسعى في احكام قبضتها عليه لم تجد في فلسطين المسلمة المحتلة مجالا سهلا للسيطرة والاستحواذ

وامريكا العتيدة ترهقها ايران السيد الخميني " ارهاقا وتذلها اذلالا" والعجيب ان ايران تقف موقفها هذا ضد أمريكا باسم الاسلام ، لا باسمها " الخاص " ولا عجب ، فزعيم ثورة الريف عندنا رحمه الله واجه جيوش دولتين كانوا يحاربون تحت قيادة أربعين جنرالا وماريشالين واجههم بمحاربين مسلمين ،معتزين وأشداء بفضل دينهم

المقوم الثاني هو الوطنية ولا أظنه سيكون في المستوى الذي فتحنا عليه أعيننا ، فالسنوات ما بين 1930 و 1955 لن تتكرر في تاريخ المغرب انها الخمسة والعشرون عاما الجوهرة في حقب التاريخ التاريخ الوطني والتاريخ الاسلامي والتايخ الانساني بلا مبالغة لقد كنا وطنيين من ساكن الكوخ الى ساكن القصر فكادحونا وبورجوازيونا وارستوقراطيونا وملكنا وأسرتنا الملكية كلهم كانوا في مستوى الاحداث والمسؤولية الا من فضل الانعزال عن الجماعة ، فما كان من الجماعة الا أن نبذته

انه ليس من قبيل الصدف التاريخية أن تخرج فرنسا واسبانيا ومن تحالف معهما ومعهم جيوشهم الجرارة واسلحتهم الضخمة اذ فرنسا وحدها كانت تتوفر بوطننا على عشرات الآلاف من الجنود بريين وبحريين وجويين على أهبة الاستعداد للتدمير والافناء ومع هذه الجيوش جيوش مماثلة من السياسيين المختصين ، ومن الضباط الحكام الجبابرة مع طائفة من الجواسيس والمخدوعين

ومع عبارات الاعتزاز هذه يتأكد أن المغاربة أحرار أباة ولن يكونوا الا وطنيين محبين لبلادهم مستعدين كل الاستعداد لحمايتها والدفاع عنها وتفديتها بالانفس والابناء والاموال وكل شيء

هناك شوائب لا يمكن تجاهلها لأنها تظهر جلية للعيان في

بعض التكتلات والمبادرات والمخططات تلك هي النزعات القبلية والحضرية ولا أحد يجهل الاضرار العظيمة التي ترتبت عن مثل هذه النزعات طيلة تاريخنا الوطني والاندلسي

وأعتقد أن الاحزاب الوطنية وهي عندنا كثيرة ومتعددة الاهداف السياسية والاجتماعية والاقتصادية من شأنها أن تمتص هذه النزعات وتحولها إلى منافسات مشروعة لصالح الوطن حاضراً ومستقبلاً مستقبلاً قريبًا ومستقبلاً بعيداً

ورغم هذه الشائبة فإن وطننا سليم من النزعات الدينية والمذهبية، ولو كانت عندنا نزعات من هذا النوع لفعلنا بوطننا ما فعله اللبنانيون بوطنهم الجميل الذي جعلوه أكواماً من الانقاض وصفوفاً من الهياكل الخربة المحروقة ولا حول ولا قوة الا بالله انها أمانة عظيمة ومسؤولية خطيرة في أعناقنا نحن الاحياء وفي أعناق الاجيال المقبلة ولا يسعني إلا أن أردد النصيحة الكبرى من أخ لبناني ـ سبقت ـ ألا وهي " اتقوا الله في مغربكم " !

المقوم الثالث هو اللغة وكاد ألا يكون هناك مشكل في شأنها لولا وجود مدارس البعثات الاجنبية التي هي معاقل خطيرة تمس مواطنينا الناشئين وتضايق لغتنا وحضارتنا ان المغاربة الذين تعلموا ويتعلمون في هذه المدارس لا حظ لوطنهم فيهم الا الانتساب والاسماء الشخصية والعائلية وإلا فإن عقولهم وقلوبهم ووجدانهم مع الآخرين ، انهم ليسوا معنا في حديثهم اليومي ولا في لغتهم التي يكتبون بها ولا في أساليب جدهم وهزلهم ولا في طرائق تسليتهم وافراحهم وحتى ميولاتهم واختلاطاتهم هي نحو ومع الاجانب

والمؤسف أن بعض الآباء والامهات المسؤولين عن هذه الاجيال الصاعدة الناشئة يرون هذه الانحرافات فيأخذونها مأخذ الاعجاب والسرور ولا يرون أي بأس في ممارستها والغرق فيها لأنها عندهم بوادر نجاح وتفتح ومعاصرة

ومهما يكن من أمر فإن إرجاع هذه الاجيال الفتية الناشئة تدخل في نطاق مسؤوليتنا نحن المواطنين جميعاً خصوصاً من بيننا الذين يأخذون مقاليد أمور التربية والتوجيه والتعليم بين أيديهم انها مسؤولية وطنية خطيرة وعظيمة وأبسط حل لها هو أن يعين بجانب المعلمين الحاذقين المتفانين الدهاة ان نعين معلمين من عندنا لا يقلون مطلقاً عنهم حذاقة وتفانياً ودهاء والا كان أبناؤنا هؤلاء يوماً ما عبئاً ثقيلاً على وطنهم

أما اللهجات بجميع أنواعها فليس فن شانها أن تفرق الامة لانها تخص ناحية من نواحي الوطن والقاطنين أو المنتسبين اليه وما أكثر النواحي ولا يوجد مكان في الدنيا خال من لهجة ولكنة وفنون خاصة به المهم والاكيد ألا يحاول المحاولون خلق لغة من اللهجة ثم تقعيدها وتفصيحها على غير أساس ثم التمادي الى اختلاق حروف لها ولو باقتباس من اللغات الاجنبية ان الفرقة تبدأ من أبسط الاشياء والعاقل من اتعظ بغيره ولنتق الله في مغربنا !

المقوم الرابع الحرية والديموقراطية فشعبنا في كل مكان من الوطن يتعشق الحرية ويتوق الى ممارستها لأنها تجري منه مجرى الدم منذ أطوار التاريخ العريقة ، وكل من يحاول أن يمس بهذه الحرية يتسبب للوطن والمواطنين في متاعب ، ويدفع عن قصد أو غيره الى المغامرات ، انني وانا أكتب هذه السطور أجد وطني يعيش حياة سياسية أسعد وأحسن من كثير من الدول الشقيقة أو الصديقة كما يقال أو من غير الدول الشقيقة والصديقة اذ لدينا نظام ملكي يتبوأ العرش فيه ملك محنك ، له قدم في ميادين الوطنية والنضال والصراع مع الاستعمار ، ولا أبالغ اذا قلت انه كان يمثل العدو الاول للاستعمار وقد تحمل مع والده والاسرة الملكية كلها متاعب النفي لمدة 25 شهراً بالتمام كما أن لدينا برلماناً يختلف الراي في طريقة انتخابه ، ولكنه على كل حال موجود ، وميزته الكبرى انه يضم

أصوات جميع الاحزاب الموجودة بالمغرب وان الاعضاء جلهم مؤهلون ثقافيًا فأظن أن عدد الاميين فيه محدود جداً بل ان هناك عدة أساتذة جامعيين وحملة الشهادات التقنية العليا ولعلهم قصدوا من هذا البرلمان أن يجمع بين الانتخاب والنخبة حسب النظرتين الديموقراطيتين المتعارضتين ولدينا حكومة تضم رجالاً في السن المتناسبة مع الاعباء وهم مثل الذواب من المؤهلين تأهيلاً عاليًا ومن ذوي الاختصاص في الغالب ولنا صحافة تعبر عن مختلف الآراء بكامل الحرية ولا تواخذ حتى لو بالغت أو مست المشاعر ولدينا قضاء محترم مستقل

وأعتقد متيقنًا بأن أحسن من هذا – في الوقت الحاضر – لن يكون .لقد (جربنا) في الامم الاخرى الشقيقة والصديقة عدة انقلابات وأنظمة وأيدلوجيات فكانت النتيجة السير من سيء الى أسوأ ، اذ أهين الرجال ، وشرد الاحرار وعمل بالرأي الواحد والحزب الواحد والنقابة الواحدة والقضاء المسخر والحكومة الخانعة والبرلمان الصوري ونعيذ وطننا بالله أن يقع في مثل هذا

وانني ككل مواطن محب لوطنه يشغل بالي حاضره ومستقبله وأدنى أزمة يمر بها تحرمني الراحة والاطمئنان وتؤرق جفني ، وتجعلني أقدر الامور تقديرا كأنني مسؤول من المسؤولين أما الازمات الكبرى فالله وحده أعلم بحالي عندها وأعتقد أن المواطنة الصالحة تفرض هذا وما أكثر المواطنين الصالحين

ان المغرب – كما يعلم الجميع – بلد تاريخي أصيل ومسلم أبي صامد وصانع أمجاد على مدى العصور إلا أنه في نفس الوقت بلد يجمع عناصر من السكان ليسوا مختلفي الاصول الاصلية ولكنهم مختلفو اللهجات والعقليات والمشارب والاذواق فلكأنه – كما أتوهم – مجموعة مغارب لا مغرب واحد وأعتقد أنه لولا رابطة الدين الاسلامي المتينة لما قامت لنا وحدة متينة أبداً

مع هذا يجب أن يكون هناك رابط وطني أساسي ومتين فوق النزعات والخلافات والمنافسات رابط تجتمع عليه القلوب وتتوحد حوله الكلمة وتتعلق الآمال ولا رابط هناك أسمى من العرش العلوي المغربي

والعرش المغربي أسسه الادارسة رضي الله عنهم وورثوه لدولة ماجدة بعد دولة ماجدة ولندع جانباً الثغرات فالمهم هو أن الحلقات المحكمة المترابطة بقيت متصلة حتى الآن

وأفشي سرا فأقول ان أستاذاً سورياً محترماً وعزيزاً عبر لي بتاثر والدموع تملأ عينيه بسبب الانقلابات العسكرية المتتابعة التي كان يتعرض لها وطنه الكريم قال خذوا العبرة منا اننا لا نجد دعامة تجتمع عليها كلمتنا أتمنى أن توحدوا كلمتكم حول ملككم وان تتدارسوا معه مشاكل وطنكم وان تعينوه على محاربة الانحراف والضلال فذلك خير لكم من فتن لا تبقي ولا تذر

المقوم الخامس هو تنظيمنا السياسي يتمثل في قيام عدة احزاب ، يمكن أن نصنفها بأنها يمينية أو يسارية أو معتدلة والصراع بينها بالمساجلة الكتابية أو الخطابية على صفحات الجرائد أو في المجالس أو تحت سقف البرلمان نفسه وطبيعي أن يكون على خطط بعضها ظلال من خطط الاحزاب العالمية خصوصاً اليسارية منها

وكانني بالاحزاب اليمينية وهي تسير نحو التقلص فخطط اليمين لم تعد كافية لهذا العصر ولا للعصر الآتــي فالمشاكــل الاجتماعية والاقتصادية والصناعية والفلاحية والعمرانيـــة مطروحـة وتتطلب حلولا والرأي المحافظ اليميني بطيء في حلوله ومتحفظ في تخطيطاته وحريص كل الحرص على مصالحه لهذا لن يكــون لاحزاب اليمين ازدهار اما احزاب اليسار فهي خلابة التخطيطات تعد بالكثير فتهز المشاعر الفتية فتتعلق بها الآمال ولكن الامكانات تقف أمام كل طفرة لتقول جميل هذا وساحر ولكن بماذا تحل

المشاكل الكثيرة ، والوسائل محدودة ؟ لهذا يبقى منظور ممكن واحد هو الاخذ بالحلول المعتدلة المعتدلة بصرامة ان صح التعبير تاخذ بالمشاكل الكبرى وتوجد لها حلولاً بلا تردد وتأخذ بالمشاكل المستعجلة الطارئة فلا تتوانى فيها أما المشاكل العادية التي لا تخلو منها بقعة في المعمور فتوجد لها تخطيطاً لتحل بتوالي السنين

هذا فيما يتعلق بالتنظيم العام للدولة ترى ما هي الآمال والتوقعات للتنظيم الخاص للفرد مع نفسه ؟ ومع أسرته ؟ ومع بني قومه اجتماعياً ؟

ان الفرد في المستقبل سيكون ذا معرفة وذا ثقافة متفاوته المستوى فالتعليم الابتدائي والثانوي والجامعي في ازدهار ، ونحن نشاهد الآن تطلعاً الى المستوى العلمي الاحسن ونشاهد رغبة جامحة في التعليم والتحصيل بشكل لم نره من قبل ، ويقيني انه لن تكون هناك رجعة في هذا الاتجاه الحميد الكريم وإذا دقـق المتخصصون والمسؤولون عن التعليم في جميع مستوياته وجعلـوه متطوراً ومتجدداً فلا شك أن الحالة ستنتج عنها طبقة متنورة وواعية وحبذا لو تكون كذلك مهذبة وذوقية ومنسجمة فإن بلادنا ستكون مثالية

مقترحات جديدة سمعتها في هذه السنة من المسؤولـين عـن التعليم تلك هي ادخال التعليم التقني الصناعي وهذا ان خرج الى حيز التطبيق فلا شك أنه سيكون تطوراً محموداً لصالح وطننا فالامم لا تنهض بالنظريين وحدهم ولكنها تنهض بالتقنيين فألمانيا المنهارة بعد الحرب الاخيرة ـ وكذلك اليابان ـ نهض بها التقنيون والصناع وهي الآن في وضعية أحسن من الذين غلبوها في نهاية المطاف لن نبالغ في التفاؤل فنتمنى أن نتوفر على صناعة تضمن للأمة حاجاتها من الابرة الى المدفع كما يقال ولكن نتمنى الا نبقى عالة كما هي الحالة الآن

والشخص المثقف ذكرا كان أم أنثى سيكون حسناً في مسكنه ومطعمه ومشربه وملبسه وكان وسيكون مشرفاً لنفسه ولأسرته ولوطنه في سلوكه ومنطقه وتعامله وجده وهزله بمعنى أنه متزن حكيم لطيف محبوب محب ، معتدل ذواقة

والمرأة التي كانت أهم عنصر في حالة التطور خلال حياتنا التي عشناها ، والتي تحدثنا عنها في فصول سابقة ستصير من بعد جدة أو والدة الجدة وسيكون همها أن تصون أولادها وأحفادها وأبناء أحفادها من المزالق والهفوات خصوصاً من النوع الذي سبق أن وقع فيه أبناء وبنات جيلها وتركت في نفوسهم حسرات وآلام زالت أو لم تزل أو غطتها طبقة خفيفة من الرماد فقط !

ويتوقع أن طائفة من النساء ، سيكففن عن الجري وراء الوظائف البسيطة ما دامت الحاجة اليها ستكون غير ماسة وما دام مدخول الزوج المؤهل سيكون كافياً وما دامت الضمانات الاجتماعية ستعم وتبعث الطمأنينة في النفوس التي هي عادة تخاف من مفاجآت الحياة والمهم ان يملأ الوقت بما يفيد ويمتع ويشرف

أما الاولاد فيظهر أن العائلات ستفضل عدم الاكثار ، نظراً لتوفر الوسائل الطبية ، وليس الدافع لهذا سوى ان تكاليف الاطفال إعاشة وإكساء وعلاجاً ودراسة لم تعد هينة ولا بسيطة ورغبة الوالدين أن يعطوا لوطنهم مواطنين صالحين وفي مستوى عال ليواجه متطلباته أما الذين يسعدون بالذرية الكثيرة ويرتأون ان خير الوطن هو كثرة المواطنين فلهم ذلك

العلاقات العائلية لن تنفصم فالتعاطف والتوادد أصيلان فينا ولكن لن تعود أيام الاندماج الكلي ، ستستمر رغبة الشباب في الاستقلال بسكناهم ويستمر حرصهم على ابراز شخصياتهم في مساكنهم الخاصة
علاقات الصداقات والمعارف وزملاء المهنة ستستمر ولربما تطبعها مروءة أكثر ، فالميوعة وتجاوز الحدود لم يكن كل ذلك مرضاً كل الارضاء ،

ولا باعثاً على الاطمئنان ولا على الثقة الكاملة ، ولهذا قد يعمل الناس من جديد بالمبدأ الموجز الحكيم التقار مزيان " أعني (ان التعامل في حدود شيء طيب)

وأتوقع أن المروءة ستشيع فشعبنا ـ برجاله ونسائه ـ أميل الى العفة ، والتقليد الاعمى هو الذي أدى به الى أن يمارس أفراده بعض الانزلاقات الخلقية وان يتعاطى وان يفعل ما يفعله الاجانب الذين تهتكوا الى حد فظيع أواسط السبعينات عهد الميني جيب و " الميكرو جيب " والافلام والصور المروعة وقد تساءلنا يومئذ ماذا بقي بعد هذا بعد أن سارت النساء شبـه عاريات في الشوارع ؟!

يبقى بعد هذا الحديث عن المجد الادبي والفني على مستوى الوطن وأرى أن البوادر لا تبعث على الارتياح فحصيلتنا خلال الخمسين سنة الماضية لم توجد لنا رفاً واحداً عامراً في الخزينة العالمية ولا أوجدت لنا رصيداً من الاشرطة يستحق الذكر فهل تاتي الاعوام القريبة بمجموعة من الادباء وأهل العلم والبحث يتخلون عن تعصبهم الايدلوجي ويضعون يدهم في يد غيرهم لايجاد نهضة أدبية كبرى تاليفاً ونشراً وتوزيعاً شبيهة بنهضة الشقيقتين مصر ولبنان ولم لا تكون شبيهة بنهضة اسبانيا ان محبة الوطـن لا يفوقوننا فيها ، ولكن التعبير عن ذلك الحب بالاعمال النافعة المخلصة الدائمة هو المقياس الصحيح

رب ان وطننا كريم وفضله علينا عميم فوفقنا لنكون في مستوى جلاله وجماله ومكانته العظيمة بحب له واخلاص يملآن منا القلوب الطاهرة

نبـــــــــدة

— ولد المؤلف بمدينة سلا ، 1925

— تعلم بمدرسة النهضة ، وعلم بها

— قضى سنة تدريب بقسم المعلمين بالرباط سنة 1948 — 1949

— علم بمدينة سلا وبمدينة بنى ملال

— تزوج سنة 1953 من السيدة كنزة رحمانية ، وهذا شىء يستحق الذكر عن المؤلف

— انخرط فى سلك التفتيش بالمدارس منذ 1957

— تولى مهام رئيس المصلحة التربوية بنيابـــــة الرباط ، ومدير مدرسة المعلمين بالعاصمة ، ورئيس مصلحة التفتيش العربى بوزارة التعليم الابتدائـــــى والثانوى

— عاد الى ميدان التفتيش ، حيث ثم يواصل مهامه حتى الآن

اصدر الكتب الآتيـــــة

— التشريع المدرسى — اربع طبعات مع السيـــد المنيـــــــار

— التراكيب الجديدة — طبعتان

— قدر العدس — مجموعة قصصية

— المعركة الكبرى — رواية تاريخية

— شرح موجز لقصيدة البردة

— 40 اقصوصة تاريخية ووطنية واجتماعية

وسيصدر — بعون الله — الكتب الجاهزة الآتية

— صبح العاشقة — مجموعة قصصية اندلسية تاريخيـــــــة

— عيون عائشة تدمع — مجموعة قصصية اندلسية تاريخيـــــــة

— دموع الفرح مجموعة قصصية وطنية

— زينب الليبية — مجموعة قصصية مغربية تاريخية

— نداء القلب — مجموعة قصصية مغربية اجتماعية

— اسود البحار — رواية تاريخية

— طالب فى فاس — رواية اجتماعية

— مزاجها ،،، والبحر — رواية اجتماعية

تصحيـــح أخطــاء

وقعت اخطاء لاتخفى على فطنة القارىء الكريم ،
انما ننبه على الاخص الى ما يأتى

صفحة 13	الفقرة 1	الصواب	ولا تنتهى احداها الا بعد تخلف
صفحة 98	الفقرة 3	الصواب	طريقة معينة فانهم يقولون
صفحة 111	الفقرة 2	الصواب	الكسكس بخليط التفاية
صفحة 139	الفقرة 3	الصواب	اما عيد الاضحى فيتميز
صفحة 217	الفقرة التعليق	الصواب	ينصت بشغف واستغراق
صفحة 225	الفقرة 1	الصواب	ولا تنتهى احداها الا بعد ان تخلــــــف
صفحة 243		الصــــواب	السطـور 2،1،3
صفحة 301	الفقرة 2	الصواب	المساكن المغربية بشكلها
صفحة 304	الفقرة 4	الصواب	وفوقهما الجلباب

الفهـرس :

الفصل	العنوان	الصفحة
1	تمهيد للكتاب	7
2	الطبقات الاجتماعية وتعاملها مع بعضها	13
3	تكوين اسرة	21
4	تربية البنت	25
5	زواج البنت	38
6	المرأة بين الاستقرار والاضطراب	50
7	الاولاد ، الاحتفاء بهم	55
8	العقيقة وحفلاتها	59
9	حفيلات متلاحقة فى حياة الطفل	64
10	تنشئة الاطفال	70
11	المنازل ومرافقها	77
12	الضيافة العائلية	93
13	النزهات العائلية ومع الاصحاب	96
14	الاسمار وتقصير الليل	100
15	الاطعمة	105
16	الاشربة	115
17	الالبسة	118
18	المقتنيات والتحف	134
19	الاعياد و الذكريات	139
20	العيادات والمآتم	145
21	علاقات الصداقة والجوار	150

الفصل	العنوان	الصفحة
22	من العادات والتقاليد والاوهام	154
23	الامثال الشعبية	159
24	الاحاجى والحكايات والنكات	172
25	من الالفاظ العامية	180
26	التهويمات والاغانى	210
27	مسليات عامةالشعب	215
28	المشعوذون	222
29	اهل الفنون	224
30	اهل العلم والادب	228
31	المسلمون الصادقون	231
32	حماة الوطن ومفدوه	237
33	المنازعات والاحتكام الى السلطة	258
34	العلاقات والشركات والتعاون	261
35	اهل الحرف والصناعات	265
36	الحرف الدقيقة الممتازة	268
37	حرفة البستنة	290
38	الحرف الشاقة	293
39	مقارنة مركزة وشاملة	295
40	آفاق المستقبل وتوقعاته	320

مطبعة الرسالة
11 شارع علال بن عبد الله
الرباط (المغرب)

1980

هذا الكتاب

المجتمع المغربي الحالي، الذي نعيشه فيه ومعه، ونحن الآن في أواخر القرن الرابع عشر الهجري وأوائل القرن الخامس عشر مجتمع مختلف كثيرا عن المجتمع الذي فتحنا أعيننا عليه، ونحن أطفال أو فتيان... فيهمنا أن نحكي للأجيال الشابة الحاضرة، وللأجيال التي ستأتي من بعدنا الى ماشاء الله... نحكي لها عما شاهدناه بأعيننا وما عشناه بأنفسنا، نحكي لهم عما كان وهو كثير ونصور لهم مشاهد من أنماط الحياة، ونذكر لهم أنواعا من العقليات، ومن التصرفات وأشكالا من السلوك الاجتماعي، ومن التقاليد والعادات التي كان يأخذ بها المجتمع، ثم نعرج على واقع المجتمع الحالي باقتضاب وبذلك تصح المقارنة...

ان اعتقادنا الجازم بأن ما حصل في الخمسين سنة الأخيرة ليس له مثيل في أية فترة من فترات التاريخ لوطننا./.

من مقدمة الكتاب

18 درهم